
ساحر الكتب
ملحمة العدم
رواية
د. محمد الفقي
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

ملحمة العدم

محمد الفقي

إلى أمي

أول من علمني القراءة..

أول من أمرني بها بعد الله..

أول من أهداني كتاب

**

إلى أبي

الدكتور/ عبدالله الفقي

الحياة..ومعناها..وزيادة

**

إلى أمي الثانية

السيدة/ زينب محمد علي

❋❋

إلى شقيقتاي

روحي .. وقلبي

❋❋

إلى قرتا العين

ياسين..ونور

❋❋

إليكم أهدي هذه الملحمة



يَا جَسَدَ العَرَبِ يَا جَسَدَ الأُمَّةِ

لَمَّا بَلَيْتَ وَالرُّوحُ فِينَا فَضَاعَتْ الأُمَّةُ ! !

يَا جَسَدَ العَرَبِ يَا جَسَدَ الأُمَّةِ

لِمَا بَلَيْتَ وَالرُّوحُ فِينَا فَضَاعَتْ الأُمَّةُ

يَا إستكانة زولي وذلي لِأَمَانِيِّنَا

يَكْفِينَا مَا صَارَ بَعْدَ إِذْ بِكِ بُلِينَا

مَا لعربي أَنْ يَسْتَكِينُ لِذُلٍ وَالمَوْلَى رَاعِينَا

مَجْدُ العَرَبِ قَدْ لَاحَ بِالأُفُقِ وَلَنَرْجِعَنَّ أعالينا

وَعَدُونَا فِي الذُلِ يَوْمَ قَرِيبٍ لَسَوْفَ يَسْتَكِينَ

وَتَتَبَدَّلُ الأَدْوَارُ أَنْ نُرْجِعَ لِلتُّرْبِ مهطعين

نحن والباقي عدم..
وسنذيقكم العدم!!

وكأول ما رأته عيناه حين فتحهما كان الشخص الممدد أمامه على الأرض كالنائم يحلم ويهلوس، وكان أول ما التقطته أذناه ما كان يردده من هذه الكلمات ذات الدلالة غير المحددة مرارًا وتكرارًا، وكأنما يتلقنها من أحدهم ليحفظها!

- متى بدأت النهاية؟

شده على الفور صوت محدثته عن يمناه على مقربة منه تسأله السؤال الذي لم يدر فيما هو، فتنبه لها وحاول الكلام إلا أنها واصلت وكأنما تُحدث نفسها:

- بالتأكيد سيكون هذا أول سؤال لك بعد استفاقتك ولكني لا أتذكر على وجه اليقين التاريخ ولكني أتذكر السبب، وأتذكر جيدًا تسلسل الأحداث.

منذ نعومة أظفاري وأنا أخشى شيئًا ما..

كنت أخشى فقدان والدي وغياب والدتي حين نخرج للتنزه، وحينما كبرت بدأت أخشى من فقدانهم بالموت، وإذ زاد سني واتسع معه استيعابي

وتفهمي للأشياء بدأت أدرك حقيقة أنَّ كلَّ شيء مُعرضٌ للزوال والمحو وبغمضة عين كأن لم يكن!!!

البيت يُهدم والسيارة تُسرق والأموال تفنى والصحة تتدهور والأطفال يُخطفون أو يُفقدون والأبوان يشيخان ويمرضان ثم يموتان ....

هكذا الدنيا دوام الحال فيها من المحال، كل شيء يحتاج إلى مجهود للحفاظ عليه وإبقائه على حاله إن استطعت؛ حتى جسدك الذي يشكلك يحتاج منك إلى مجهود لابقائه على حاله بالرياضة وإلا فإنك ستتغير وتتهدل بفعل الأيام، و..

- استوقفها بيده بإشارة منه أن اصمتي قليلًا، وقال وهو يجاهد: من أنت وأين أنا؟!

وقبل أن تجيبه أدار عينيه في الصحراء المقفرة من حوله وهذه الجلسة الغريبة التي وجد نفسه بها حول هذه النيران المشتعلة التي أشعلها أحدهم مؤكدًا للتدفئة في هذا البرد القارص.

أمعن النظر فوجد رجلًا يجلس أمامه القرفصاء على تبة صغيرة قرب النيران، غير مبالٍ به يبدو عليه أنه بالعقد السادس من عمره، مربوعًا شديد البنيان، تبين على ملامحه غلظة في وهج النيران، رغم الظلام المغلف والمسيطر لما حوله، وسيدة تجلس تحت قدميْ الرجل ذات هندام مهلهل وبشرة بيضاء ووجه صبوح، كانت تنظر إليه في بشاشة سمحة، إلى جانبها الصبي في مرحلة المراهقة الذي كان يهلوس كأنها يداهمه كابوس منذ دقيقة استيقظ واعتدل من رقاده لينظر إليه بغضب وكأنه زوج أمه..

لم يكترث له وتجاوزه لينصب بنظره وفكره على محادثته التي تجلس عن يمينه، الفتاة الفتية التي ولعجبه شدّه إليها شيء ما بمجرد أن وقع نظره عليها للمرة الثانية، جميلة، ذات وجه متسخ ولكنها جميلة حقًا، جبهة واسعة وأنف دقيق ونغزتين بوجه صاف زانته عينان فاتحتان لم يستطع تبين لونهما داخل محجرين واسعين وأهداب مكحلة كحلًا طبيعيًا تزداد رقة كلما أغلقتهما على جوهرتيهما وفتحتهما.

وجدها تنظر إليه الأخرى وتحدقه، وكانت تنتظر منه أن يفرغ من تمعنه وتعرفه فيمن حوله وما حوله.

- أفرغت؟!

- فرغت مم؟!

- من تفحصك فينا

- أنا فقط أريد أن أعرف أين أنا ومن أنتم وما الذي أتى بي ها هنا؟!

- لإجابة سؤالك أخبرنا أولًا من أنت؟
- أنا......أنا......!!

- أنت ماذا؟!!!!

- شرد قليلًا ثم قام من مجلسه وهو ينفض الغطاء المحكم حوله الذي

دثره به أحدهم من قبل، مشى خطوات بعيدًا عنهم وهو يستشعر حرارة جسده ترتفع مع محاولته التفكير المنطقي قال وهو يمسح جبهته بكف يده وينظر للفتاة التي تتبعت خطواته:

أنا لا أذكر من أنا!!

*****

بمكان ما بقارة أخرى جلس جمع من الرجال ببزات عسكرية تعلوها بعض النياشين والأوسمة حول مائدة كبيرة، وكانت الحجرة شبه مظلمة إلا من بعض النيران المشتعلة برؤوس عصي خشبية كبيرة معلقة بكل ركن من جوانب الغرفة لتُضفي منظرًا غريبًا على القاعة وكأن عصرين تداخلا معًا ليصنعا المشهد، فالغرفة وما تحويه من أثاث فاخر وهيئة الرجال وملابسهم توحي بالحداثة، بينما المشاعل المعلقة تذهب بمخيلتك للعصر الحجري فور أن يقع عليها نظرك.

- نظر أحد الحضور بتحسرٍ إلى محتويات الغرفة من حوله وقال بأسًى بالغ:

أيعقل أن نملك كل هذه الامكانيات وهذا التطور ولا نستطيع استخدامه ولا حتى تدويره؟!!!!!

- نظر إليه رجل ذو بزة رسمية غير عسكرية كان يتوسط الجلسة وكأنه يترأسها وقال بتجهم:

هؤلاء الملاعين المحظوظين، كنا قد أبدناهم بثانية واحدة لولا تدخل القدر...

!!!!ِ قدرهم حليفهم للأسف..

رغم تخلفهم وبدائيتهم إلا أن القدر أنقذهم، ولكني سأقضي عليهم مهما كلفني الأمر حتى معاندة القدر ذاته..

ما هي إلا مسألة وقت

ثم اعتدل بجلسته ووجَّه حديثه لشخص آخر يجلس على ناحيته الأخرى وقال بلهجة شبه رسمية:

- أما من أخبار عن حاييم؟!

- سيدي، تعرف أننا نعتمد على السفن ذات الوقود الأحفوري لإيصال مددنا، هذا يستغرق أسابيع وربما شهورًا فلا شيء يجري على وجه الدقة كما السابق، صبرًا سيدي.

تجهم وجهه وبانت عليه إمارات التعاسة بعد ما سمع رغم علمه المسبق بفحواه، نظر أمامه محدقًا بلاشيء وهو يزفر زفرة كادت أن تحرق الغرفة بما فيها من فرط غيظه.

*****

- تقدم يا سامرائي، لا تخش شيئًا بحضرة مولانا البغدادي.

تقدم (مشعان السامرائي) من الكرسي الجالس عليه مولاه (المعتصم حسين البغدادي) وهو منكسر النظر مطأطئ الرأس، وحالما اقترب مسافة معقولة تسمر مكانه ولم ينبس ببنت شفة، وظل صامتًا واجمًا في انتظار مولاه أن يبدأ الحديث.

- نظر إليه البغدادي بعين متفحصة لم تخلُ من ازدراء لفعلته وقال بصوت جعل قدميه ترتعش:

ما بالك يا سامرائي لا تطيع أوامري!!
أما نهيتك عن الاقتراب من النهر المنحسر؟!!
أتراني ألهو معك أم استخففت بي وبما أقول؟!

- مولاي..

- قاطعه البغدادي ناهرًا وقال:

أنا لست بمولاك ولا مولى أحد، وقد نهيتك أنت وحيدر من قبل عن هذا القول، نحن لسنا بخلافة ولا مملكة هنا، إن عراقنا جمهورية ولا مجال لهذه الألقاب ها هنا

- تكلم حيدر الذي كان يقف عن يمينه قائلًا:

أمرك سيدي الرئيس، نحن لا نقصد شيئًا، إنما هذه الأيام التي نحياها تحتاج إلى خليفة للمؤمنين، ونحن نتوسم في سيادتكم ذلك، فلا أفضل ولا أخْيَرُ منك على الساحة وهذا جلي للكل

- عاجله الرد بلهجةٍ متأففةٍ وقال:

إنما الخلافة ستكون للمهدي ولا غيره.. سيدنا الإمام المهدي.. أتعرفونه؟!!

ألا وإن كان لم يخرج علينا بعد، فلا مجال للخلافة ولا الحديث عنها حاليًا حتى لا نزرع بذرة الخلاف والتشتت بين زعماء أمتنا العربية، لقد هرمنا من أجل جمعهم على قلب رجل واحد

- أمرك يا مو.. أقصد سيدي الرئيس
- نظر البغدادي للسامرائي وتابع قائلًا:

تكلم، ولتكن حجتك قوية وإلا فالويل لك مني

- رفع السامرائي نظره تجاه رئيسه وقال محاولًا جمع شتات نفسه:

سيدي، تعلم أن الأمم تتقاتل حاليًا على جبل الذهب الذي انحسر عنه نهر الفرات، وتعلم أنهم شرازم مجمعة من أسافل الناس من كل حدب وصوب، وأنا رئيس جيشك وقائد قواتك وهذا نهرنا، فراتنا، نحن وليس غيرنا؛ وجدت القوات تريد أن تأخذ نصيبها من الذهب وقد صارت فتنة بالجيش فخفت على جيشنا من القلاقل والفتن الداخلية والتشرزم فأمرت بفيلق أن يذهب ويحضر ما يجد تهدئة لنفوس الجند، ولم ولن أفكر أن أعصيك يا سيدي..

أنا فقط كنت أحل موقفًا ليس إلا من خلال سلطاتي المخولة إلي وموقعي الذي شرفتموني بثقتكم الغالية ورسمتموني عليه، ولن أتخطى أبدًا أكثر من ذلك

- تابع البغدادي حديثه بترقب وقال سائلًا:

ولكن نبينا الكريم ﷺ قد نهانا عن هذا الذهب

- سيدي.. أنا.. أنا..

- نظر إليه بغضب وقال بصوت عال:

أنت لا تدري شيئًا عما أتحدث!

أنسيت أني عينتك بموقعك وأنت فارسي قائدًا لقواتي وحيدر الكردي ابن جلدتك كرئيس وزرائي طلبًا للوحدة بين صفوف المسلمين جميعًا (سنة وشيعة وسلفية وهابية وصوفية وقرامطة وجميع طوائفهم)، الوحدة كما فعلنا بين زعماء العرب نريد تفعيلها بين صفوف جميع المسلمين في وجه عدوهم، وقد نهيتك عن ذاك الفعل ولكنك لم تنته، أما وإني رئيسك ورئيس جيشك ولا تنسى هذا وأنا أأتمر بما أمر به (محمد بن عبدالله) ﷺ وأنتهي عمّا نهاني عنه وأنت عليك أن تنصاع لهذا شئت أم أبيت أو أترك موقعك لغيرك!!!

- سمعًا وطاعة سيدي الرئيس

- وجه إصبعه إليه وقال بحزم:

لو تكرر منك ذلك سأحولك لمحاكمة عسكرية، مهما كان عذرك

- لن يتكرر، أعدك بذلك حتى لو وجدت الجيش سيحترق فلن أتصرف من عقلي إلا بعد الرجوع إلى معاليكم

أدار البغدادي رأسه له عقب انتهائه من كلامه معه، فنظر السامرائي إلى حيدر نظرة ذات مغزى، لم يدر بها البغدادي، وأنّى كان له أن يدري بها!

من أين كان له أن يدري بها وهو من كانت خطبته أمام الشعب تتغنى بها جميع الطوائف.

فقبل انقطاع الطاقة بعدة أيام أذاع التلفاز العراقي بيانًا هامًا على جميع القنوات الوطنية شهدته جموع الشعب، وكان قد نُوِهَ له من قبل فانتظره الجميع بشغف لمعرفة القرارات المصيرية..

– حيث ظهر الرئيس البغدادي وقال:

لقد جاء أوان رأب الصدع ولم الشمل وتوحيد الصفوف، لقد جاء أوان كلمة مسلم لتسود فوق سني وشيعي وسلفي وكل الطوائف، وكلمة عراقي فوق عربي وكردي أو فارسي.

فعندنا من الأعداء ما يكفينا وزيادة، فلماذا تستجلب عداوة بعضنا بعضا؟!

ولماذا نساعد في زرع مزيد من الخصومة بين جنباتنا تشلع لُحمتنا وتهدد بقاءنا!

لقد اتحد الروس البلاشفة مع خصومهم الرأسماليين الإنجليز والأمريكان لمحاربة النازية الهتلرية، ونسوا خلافاتهم وقاتلوا معا جنبًا إلى جنب حتى قضوا عليها..

فلنتعلم الدرس لنواجه المحنة، ولنقف معًا سنة وشيعة يدًا واحدة..

فليس لنا إلا الاتحاد بجميع طوائفنا..

ففي هذه الظروف العاصفة والنهايات التي باتت وشيكة، أعتقد أن تصفية القلوب التي باتت تتنازعها الأهواء بعد الإرهاب الغاشم الدخيل الذي أتى مع قوات الاحتلال لعنها الله لم يعد خيارًا، إنما طريقًا وجب المضي فيه قُدمًا، فنحن ورغم التعددية عندنا لم نكن من قبل نُلقي بالًا لذلك وكنا نعيش بسلام ووئام أتمنى من الله أن يعيده علينا بفضله وكرمه ورحمته ومغفرته.

ولهذا فقد قررت كرئيس للدولة..

تعيين (السيد/ حيدر علي) بمنصب رئيس الوزراء..

و(السيد/ مشعان السامرائي) بمنصب وزير الدفاع..

والله ولي التوفيق

*****



أنا أدحض ! !

εγώ αντικρούω

ايجو افيكرولو

- أنت..

أنت يا من لا أدري له اسمًا

اتبعت خطاه التي كانت قد اتسعت بعد أن ترك المجموعة ومشى على غير هدى، لا يلوي على شيء، وزاد اتساع خطواته فبدأ يهرول فهرولت خلفه وهي تسمع ولا تعبأ بنداء أبيها الجالس فوق التبة في مكانه لم يتحرك:

- فاطمة، فاااااطمة..

سوف يصيبك التهاب رئوي بابتعادك عن النار بهذا الجو، لقد نفدت منا المضادات الحيوية وأنت لا زلت متعبة، أيتها البلهاء اتركي هذا المجنون وشأنه وعودي أدراجك

- قالت محاولة إسكاته وقد أزعجها صوته الأجش:

حاضر يا أبي حاضر

لكنها تابعت خلفه الركض كان قد وصل لطريق إسفلتي يقطع الصحراء المجدبة، فتوقف للحظة يتأمله وهو يمتد يمنة ويسرة بغير نهاية متعجبًا، حين مد بصره أمامه كان ضوء الفجر بدأ يلوح فرأى على مرمى بصره ليس ببعيد بحرًا، فقطع الطريق الإسفلتي ليكمل بالصحراء والرمال المترامية على الجانب الآخر منه جريًا تجاه البحر وهو يشعر بصدره يضيق

ومشاعره تجيش اختلاجًا وخوفًا، حتى وصل للشاطئ فتوقف أمامه وبدأ ينتحب وهو يرتعش.

- أدركته فاطمة بعدها بلحظات فوقفت خلفه تلهث وانحنت واضعة كفيها على ركبتيها محاولة جمع أنفاسها، وسمعت صوت نحيبه فاعتدلت وأمسكت بذراعه ولفته ناحيتها ونظرت بعينيه المغرورقتين بالدموع وصدره الذي يعلو ويهبط بلا انقطاع ورقت لحاله، فقالت بصوت غلفته حنية غير خافية:

اهدأ

- قال وهو يبكي:

أنا لا أتذكر أي شيء، حتى اسمي، من أنا؟!!!

أنا خائف، أشعر بضيق الدنيا رغم رحابتها

- واصل نوبة بكاء هيستيرية جعلتها تنهره وتهزه بقوة من منكبيه وهي تقول بحزم:

اسمع، أنت تمر بنوبة هلع (panic attack)

لا تقلق لقد كنت طالبة طب قبل أن ينتهي كل شيء، توقف عن البكاء، وتنفس بعمق وردد ورائي (كل شيء سيكون على ما يرام).

لم يعرها انتباهًا فعلت نبرة صوتها تغلفها بحزم أكثر وقالت:

- ردد ورائي

وكالطفل بدأ الترديد وراءها بالفعل حتى هدأ روعه وتوقف نحيبه وبكاؤه، فوجد نفسه يخالجه شعور بامتنان تجاهها..

وللمرة الثانية عاوده احساس الانجذاب ناحيتها الذي لا يدري كنهه هذا، ووجد نفسه يسرح بعينيها، وهي الأخرى لم تكن تختلف عنه حالًا فقد أبحرت بعينيه وتركت عالمها خلفها.

- حتى قطع شرودهما أخوها لحق بهما قائلًا بصوت غليظ حاول تغليفه بنبرة خشنة ليبين أغلظ كعادة المراهقين:

فاطمة، أبوك يتعجلك، هيا ارجعي

- لم تكترث قالت محدثة الآخر وهي تبتسم:

سوف أسميك عبدالله ..

من اليوم أنت عبدالله ودعنا لا نحفل بما فات.

نظر لها وشبه ابتسامة ترتسم على شفتيه وهمَّ بالكلام حين وجدا أخاها الأصغر يقع أرضًا ويتأتى بحركات هيستيرية عنيفة والتواءات يستحيل فيزيائيًا أن تأتي من جسد بشري..

ثم بدأ يتمتم بشيء ما لم يتبينه، بصورة متكررة بصوت كالفحيح خافت في البداية ثم بدأ يعلو تدريجيًا ليصير كأصوات الملبوسين إن جاز التعبير، وعلى وجهه علت ضحكة أقل ما توصف به أنها شيطانية وهو يحرك وجهه

يمنة ويسرة بوتيرة غير منتظمة سريعة بصورة لا معقولة حتى قذف الرعب بقلب عبدالله وهو مايزال يكرر ويعيد حتى صار ما يردده واضحًا جليًا للأسماع:

ايجوافيكرولو..أنا أدحض..ايجوافيكرولو..أنا أدحض..

أنا أدحض، أنا أدحض، ايجوافيكرولو، ايجوافيكرولو!!

*****

اليوم ١٢٠

مبنى الكينيست - أورشليم (القدس المحتلة)

- حتَامَ سيظل الحال على هذا المنوال يا حاييم؟!

لقد طال أمد الحصار علينا، كسرنا حاجز العشرين يوم بعد المائة، وإن طال علينا الأمد هكذا دخلنا نطاق الخطر من قلة المؤونة، فإلى متى؟!

تساءل أحد أعضاء الكينيست السؤال المكرر على مسامع رئيس جهاز الموساد (حاييم اشمعون) للمرة المليون هذه الأيام حتى أنه سئم الإجابة المعتادة منه هو شخصيًا.

فتغيرت ملامح وجهه فور سماعه السؤال الذي بدا كعذاب سرمدي لا ينتهي وشعر بفورة غضب اجتاحته فأخرجته عن شعوره .

- صاح موجهًا حديثه للجميع:

إلى متى، إلى متى، إلى متى..

ألم تسأموا السؤال الممل غير المنطقي؟!

ألم أحذركم من قرار هذا المتهور رئيس الولايات المتحدة بضرب القنبلة النووية؟!

ما نحن فيه ليس صنيع يدي، لقد حذرتكم وأنذرتكم، ولكنكم انسقتم خلفه وخلف قراراته الصبيانية، طوال عمرنا الصغير بالمنطقة من العام ١٩٤٨ ونحن نتحكم بالعرب بالعقل والدهاء والتلصص والتجسس والذريعة والوقيعة مع القليل من القوة، فما كان الداعي إلى هذه القوة المفرطة واستعراض العضلات!!

لقد انقلب السحر على الساحر يا سادة وانتهى الأمر، عطلت القنابل النووية الأمريكية والسوفيتية المضادة كل ما يعمل بالطاقة ورجعنا عصورًا وعصورًا للوراء.

- قاطعه أحدهم قائلًا:

لم تكن القنابل هي السبب، لقد أشرقت الشمس من مغربها مما خلق حقل كهرومغناطيسي ما جعل الطاقات تتعطل

- رد عليه باقتضاب وقال:

أتصدق هراء وتخاريف العرب بقيام القيامة وعلامات الساعة هذه؟!!!

- هناك أنباء حديثة من الموساد أيضًا عن انحسار نهر الفرات بالعراق عن جبل من الذهب

- نظر إليه باستهتار جليٍّ وقال وهو يعوج فمه ويضحك:

مؤكد أني أعلم ذلك قبلك، وقبل الضابط الصغير الذي أخبرك..أتريد أن أذكر لك اسمه!!

ثم واصل بجدية مقاطعًا ضحك بعض الحضور على تهكُّمه:

- وإن يكن، فماذا في هذا؟!

- هناك أحاديث مؤكدة عن نبيهم (محمد) أن هذا من علامات الساعة وأشراطها

- ضحك ضحكة بجانب فمه وقال:

لماذا لا تعلن إسلامك أخي الحبيب!!

كل هذا محض هراء في هراء، القنابل النووية هي السبب، وانعدام أشكال الطاقة المختلفة هو ما مكنَّ البرابرة العرب أعداء السامية منا، بالطبع فأعدادهم تفوقنا بأضعاف مضاعفة، ونحن بوسطهم كنملة وسط حقل!!

أما الشمس فوكالة ناسا أعلنت أن هذه ظاهرة كونية ولسوف تتراجع في حينها، وليس قيامة ولا أي شيء من هذا الهراء.

وإني أعيد على أسماعكم للمرة المليون أسوارنا التي بنيناها حديثًا والشكر ل (يهوه) الرب على هذه الخطوة منيعة إلى أبعد مدى، والمدد العسكري بطريقه إلينا من بوارج ومدافع وعدة وعتاد، فأرجوكم لا داعي للقلق والتوتر، لا داعي أبدًا فنحن على الحق ومن كان على الحق فلا يحق له أن يرتاب.

ختامًا وأذكر من نسي.. هذه أرضنا حقنا كما يذكر كتابنا وكما وعدنا جدنا.. النبي نوح الأب الثاني للبشرية، وكل الكنعانيين كانوا ومازالوا وسيظلون خُدامًا عبيدًا لنا، أم نسيتم؟!

*****

وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خبائه. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كنعان عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ ويافث الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ. فَقَالَ: مَلْعُونٌ كنعان! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ. وَقَالَ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كنعان عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ ليافث فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كنعان عَبْدًا لَهُم..

(سفر التكوين - الأصحاح ٩/ ٢٠: ٢٧ - العهد القديم)

*****

جمهورية مصر العربية

القوات المسلحة

المخابرات العسكرية

السادة/ المعتصم البغدادي و معالى/ خادم الحرمين

رئيس جمهورية العراق الشقيق العاهل السعودى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيط سيادتكم علما أن البوارج المعادية تحركت من شواطئ العدو الأمريكي لمساندة العدو الصهيوني، متجهة صوب الأراضي المحاصرة من قبلنا، وأغلب الظن حسب المعلومات الواردة إلينا أنها ستتخذ تشكيلين:

- *تشكيل يتخذ طريق مضيق جبل طارق حيث ستتحد حينها بقوات حلف شمال الأطلسى الناتو (عدا تركيا المتخلفة عن الحلف نصرة للإسلام والمسلمين) وباقى القوى الأوروبية وذلك للمواجهة مع قوى الحصار العربية المرابضة بالجهة الغربية.*
- *وتشكيل آخر يتخذ طريق رأس الرجاء الصالح حيث نغلق عليهم مضيق باب المندب وقناة السويس، ثم يعبر الحدود اليمنية غير المدعمة بقوات التحالف العربي وذلك لتشتيت قوى الحصار الشرقية وربما*

الالتحام معها فيما بعد إذا نجحوا في عبور الأراضي اليمنية والسعودية دون هزيمة.

وقد قمنا بإبلاغ نص الرسالة لجميع الزعماء العرب

وتحركت قطعنا البحرية التابعة للجيش العربي المشترك للتصدي لهم من الجهة الغربية.

وفقكم الله بحصاركم للعدو الصهيوني داخل أسوار القدس الشريف فقد قمتم بدوركم المرسوم في الجهة الشرقية مع باقي الإخوان العمانيين واليمنين والأردنيين ببراعة تُشهد لكم..

نصرنا الله جميعًا بدحرهم وفتح أولى القبلتين بالقريب العاجل كما فعل جدنا الأكبر الناصر/ صلاح الدين..

ولندخل المسجد للمرة الثانية كما فعل جدنا العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه بالمرة الأولى كما وعدنا الحق سبحانه وتعالى..

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير..

الله.العروبة.الأخوة

*****

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا (٧)﴾

(الإسراء: ٥ - ٧)

*****

مبنى الكرملين - موسكو

تقرير جلسة لقاء الزعيم الروسي (ديمتري ألكسندروفيتش) بالرئيس الصيني (وانغ جين تاو) ومبعوثي الرئيس الإيراني والهندي والتي أسفرت عن:

- فتح خط امدادات ملاحي دائم بين الاتحاد السوفيتي وإيران عبر بحر قزوين، وبين الهند والصين عبر المحيط الهندي لمناصرة القوات العربية من الجهة الشرقية عبر الأراضي العراقية حسب الاتفاقيات والنصوص الأخيرة المتفق عليها (بمجلس العالم الشرقي).

*****

البيت الأبيض

المكتب البيضاوى-واشنطن

- آسف يا سيدي على هذا الاجتماع العاجل فهناك أخبار سيئة

- رد عليه باقتضاب:

ما عندك

- البوارج الروسية تحركت من مرافئها ببحر قزوين

- عقف ما بين حاجبيه وقال يتبرم:

الدب الروسي اللعين

ثم سكت هنيهة وهو ينظر بسقف الحجرة كأنه يتأمل شيئًا ما ليقول بعدها بلهجة سريعة:

-ما أخبار حاييم؟!

- الحق يا سيدي أن هذه تتمة الأخبار السيئة، الحصار يشتد عليهم يومًا بعد يوم وهناك أنباء بتحرك وحدات الجيش العربي المشترك بعد تحرك قطعنا البحرية

- رجع لشروده وتجهمه وهمهم محدثًا نفسه:

الاتحاد السوفييتي بعد أن التأمَ شمله ثانيةً يأبى إلا أن يدخل حربًا لم نشركهم فيها، يعادى قنابلنا النووية والآن يعادي قطعنا البحرية دون أن نعاديه، هم يسعون لاستفزازنا بشتى الطرق، وهذا الاتحاد اللعين مع الصين التي أصبحت هي الأخرى قوى عظمى ومع الهند يفت حقًا في عضدنا..

ولكننا قوة لا يستهان بها..نحن أسياد الأرض وحكامها.. نحن القوة العظمى بلا منازع، سوف يرى الدب الروسي العجوز المتعجرف واتحاده نتيجة تهوره..

يريد حربًا عالمية ثالثة..

لشد قرب ما تمنى، حقًا كما قالوا(خذ حذرك مما تتمنى)..فلربما تتحقق أمانيك، لسوف أحقق لهم أمانيهم..ولأذيقنهم بأسنا الحقيقي لأول مرة بالتاريخ..سوف أجعلهم يعلمون أن كل سِجالنا بالماضي كان محض هراء ولعب أطفال..الويل لهم

- ثم التفت لمحدثه وقال بحزم:

جهز لعقد اجتماع فوري بالبنتاجون حالًا

*****

بعد أن حملوه حملًا فور أن هدأت نوبته، توجهوا به ثانية ناحية المكان الذي كانوا يجلسون فيه، وقد رأى عبدالله (الذي أطلقت عليه فاطمة هذا الاسم لتوها) أن يتحاشى الكلام عمّا بدر من أخيها توًا لسببين أولاهما

خوفه من أن تراه فاطمة جبانًا، وثانيهما حفظ ماء وجهها إن أرادت أن لا تفصح بمكنون صدرها عن أمر أخيها فأمسك عن الكلام بهذا الموضوع، ثم تراءى له جبلًا على مرمى البصر فجعله علة وفاتحة للكلام..

- فسألها والفضول يغمره:

أين نحن بأرض الله؟!

- قالت وهي تلهث من ثقل أخيها:

نحن بالواد المقدس طوى

- قال بتعجب وقد بانت على وجهه إمارات عدم الفهم:

أين!!!

ثم استدرك وقال:

- تقصدين سيناء

- ضحكت قدر ما استطاعت رئتاها نتيجة حِملها ولهاثها البادي وقالت:

نعم، نحن بأرض سيناء المباركة، أصر أبي بعد الفاجعة أن نرتحل لسيناء لسببين، الأول كما قلت لك إن هذه الأرض مباركة، والثاني أن يلحق أخي بالخدمة العسكرية بجيش العرب الموحد

- قال بتعجب وقد فغر فاه:

جيش ماذا؟!!!

- ألم تسمع به؟

- يبدو أنني فقدت الذاكرة من فترة طويلة

- ما هو آخر ما تتذكره؟

- أتذكر أني كنت راجعًا من عملي بالقاهرة ووو..

- وماذا؟

- نعم وسمعت صوتًا مدويًا عاليًا مفزعًا فزع الناس جميعًا له، ثم .. ثم لا أذكر شيئًا من بعد ذلك!!!

- ابتسمت وقالت وهي تلهث:

هذا هو الانفجار النووي، لقد فاتك الكثير تقريبًا فاتك نصف عمرك.. أفلم تسمع إذن بشروق الشمس من مغربها؟!!

- توقف عن الحركة وترك أخيها يقع أرضًا من يده من فرط المفاجأة وقال بتعجب:

ماذا؟!!!

- أسندت أخيها أرضًا هي الأخرى وقالت لاهثة:

لقد شرقت الشمس من مغربها، يقولون إن هذه هي النهاية وأن الأقلام قد رُفعت ولا يُقبل من بشر عمل، انتهت الحياة التي نعهدها..

هذا ما جعل أخي يكفر بل ويعلنها صراحة أنه كافر وملحد ولا يؤمن بوجود إله وأنه حالف الشيطان ذاته بالفعل..

أما بالعالم الغربي وبالأخص وكالة ناسا فقد ذُكر أن هذه ما هي إلا ظاهرة كونية كالكسوف والخسوف لن تلبث إلا أن تنتهي ويتلاشى آثرها..و..

- قاطعها معترضًا:

ما هذا الهراء الذي تذكرينه، شمس من مغربها وقنابل نووية، وإذا افترضت صحة كلامك فكيف بالله نحيا أنا وأنت بعد هذا النووي

- بنفاد صبر قالت:

وهل تسعفك ذاكرتك أم هو التكذيب وكفى؟!!

إنك فاقد للذاكرة فقط اسمع للنهاية..

شروق الشمس من مغربها أبطل كافة الطاقات وعكس تأثير القنابل فأبطلها، هذا ما تردد وتناقله الناس جميعًا وهذا أقرب سيناريو للتصديق، فإلى جانبه يوجد بعض السيناريوهات الأخرى غير المعقولة التي لن أذكرها حيث أن الناس اقتنعوا بالنهاية بالسيناريو الذي ذكرته توًا، فقط سمعنا الصوت هذا الذي سمعته..

وكل ما حكيته لك مؤكد، حتى الطاقة فُنيتْ (عدا بعض الطاقات الضعيفة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع يستعملونها الآن بالجيوش لإرسال الرسائل فقط بشفرة مورس)

بعد ذلك ساد الشر البلاد والعباد، كل يعتقد أن لا حساب على ما يفعل فعاث الفساد سرقات ونهب وقتل، ألم تلاحظ أن لا دواب تنقلنا أنا وعائلتي!!

كانت خيول معنا..ثم تعرضنا لقطاع طريق سرقوا كل شيء حتى كدنا نتعرض للهلاك بهذه الصحراء الجدباء، إلى أن وجدنا أحد الأعراب أكرمنا وأعطانا بعض المؤن واعتذر أنه لا يملك إلا دابته فاضطررنا للمشي حتى نصل إلى أبو رديس حيث يقطن آقارب أبي لنحاول الحصول على أية دواب تعيننا على طريقنا حتى ننتهي لوجهتنا بشرم الشيخ.

- انتبه لأخيها الممدد وتعجب أنها لا تعره اهتمامًا وغالبه الفضول فغلب تحفظه وقال:

ألا تخشي عليه مما هو فيه؟!

- هذه الحالة شبه يومية..

هو يقول إن الشيطان يتلبسه وأنه يظهر له أحيانا وأننا بأحد الأيام لن نجده بيتنا، حيث سيرتحل مع حلفاء شيطانه أو قرينه أو لا أدري ماذا من هذا الهراء للعالم السفلي بباطن الأرض بعد أن ينفذ إرادته ومشيئته على الأرض..وهراء كثير من هذا القبيل، وهذا ما جعل أبي يصر على أن يلحقه بالجيش حتى يتربى.

- نظر لها فوجدها كأنها قالت للتو كلامًا غير ذي وزن، فسألها وداخله ألف علامة تعجب واستفهام:

وما معنى (أنا أدحض) والكلمة الأخرى (افي... افيكى..اف)

- قاطعته باسمة وقالت:

افيكرولو..

كلمة باليونانية معناها الكلمة الأخرى التي كان يرددها بالعربية (أنا أدحض)، والاثنان معناهما أنه يدحض وينكر وجود السيد المسيح.

- قال وعلامات عدم الفهم تملأ صفحة وجهه وعلامات الاستفهام بداخله تتضاعف:

أنا لا أفهم شيئًا حقًا!!

ما دلالة الكلمات وعلاقتها أصلًا بالسيد المسيح؟!

- الموضوع يطول شرحه، بالمختصر هل تدري دلالة الرقم ٦٦٦ عند عبدة الشياطين والماسون؟

- كلا

- تأففت وبكأنها ملت شرح الموضوع مرارًا وتكرارًا وقالت:

كل حرف في اللغة يقابله رقم، ففى اللغة العربية كمثال إذا أخذنا الترتيب الأبجدى (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) نجد أن حرف (أ) يقابله الرقم (١) وحرف (ب) يقابله الرقم (٢) وهكذا حتى الحرف (ي) الذي يقابله الرقم (١٠)..

أما من بعده مباشرة الحرف (ك) يقابله الرقم (٢٠) حتى الحرف (ق) الذي يقابله الرقم (١٠٠)..

ومن بعده الحرف (ر) يقابله الرقم (٢٠٠) وهكذا..

هل فهمت ما سبق؟

لأن عليه سيُبنى ما سأقوله لاحقًا

- قال بلومٍ بادٍ:
نعم فهمت، أنا لست بعسير الفهم

- لا أقصد صدقني، ولكن الموضوع احتاج مني لكثير من البحث والتدوير حتى أفهمه، المهم نرجع إلى موضوعنا..

فى سفر الرؤيا بالعهد الجديد بالكتاب المقدس جاء ذكر عدد ٦٦٦ كرمز للوحش عن طريق حساب الجمل الذي ذكرناه آنفًا، فعندما تجمع الرقم المقابل لكل حرف من حروف اسم الوحش يكون الحاصل ٦٦٦ وهو رمز الشيطان، وهو الرمز الذي يوشمه معظم عبدة الشيطان..

ثم باستهتار واصلت ضاحكة:
- ومنهم هذا المجنون الذي تحمله..

- فهمت، ولكنك لم توضحي معنى الكلمة (أنا أدحض)!

- كلمة (أنا أدحض) باليونانية (ايجو افيكرولو) (εγώ αντικρούω) مجموعها بحساب الحروف والأرقام الذي ذكرناه أيضًا (٦٦٦)..

ومعناها أن الوحش أو الشيطان أو أيًا يكن الذي ينتظرونه سيأتي داحضًا وناكرًا الإيمان بالسيد المسيح وسيدعي أنه هو المسيح بل وسيدعي الألوهية!

هل فهمت الآن سر الوشم على ذراعه وسر الكلمات غير المفهومة التي يتمتم بها؟

- نعم فهمت وليتني ما فعلت

أنهت كلامها كأن لم تقل شيئًا يلقى له بالٌ، وقد ألقت بقلب عبدالله رجفة وأصابته بقشعريرة في أوصاله جفل لها من فكرة حمل أخيها هذا الممسوس ثانية خاصة بعد ما رأى هو بنفسه منه وما سمعه عنه منها، ولكن لم يشأ أن يظهر ويبين ما يعتمل بداخله حتى لا تنعته بالجبن فتحامل على نفسه وحمله معها وهو يباعد بين رأسه ورأس الآخر كأنه مريض بمرض معد، حتى وصلا فوضعاه أرضًا، حين وجدا أبيها اتخذ أهبته لمواصلة رحلتهم .

- قال والدها بتجهم وكأنه لم يلحظ ولده الممدد أرضًا:

قد وضح النهار هلموا بنا فاليوم طويل نريد أن نصل اليوم أو الغد على الأكثر فمؤننا تكاد تنفد

- وبحركة مباغتة اتجه بنظره تجاه عبدالله وخصه بالحديث وقال:

وأنت أتأتي معنا أم نفترق، فقد وجدناك على شفا الموت منذ أيام وأنا غير مرتاح إليك، ولولا الضمير والواجب لتركتك تموت، فإن كنت تنوي المجيء معنا فحذاري..

أنا أراقبك عن كثب، لو صدر منك أي شيء حتى ولو عن غير قصد فالويل لك مني..

وبلهجة أكثر صرامة بصوتٍ عال واصل:

- أتفهم؟!

- قال بخنوع:

نعم، أفهم

- ما اسمك؟

- اسمى..اسمى....عبدالله!!

*****

وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ.

(رسالة يوحنا الرسول الأولى - الأصحاح ٤/ ٣ - العهد الجديد)

*****

-سيدى البغدادي، أرى من اللائق أن نعلن يوم هدنة بيننا وبينهم ونعطيهم الأمان فهذا هو اليوم الخمسون بعد المائة من الحصار، فمن أراد أن يخرج من الحصار فليخرج، فبينهم أطفال وعجائز ولا تنسى عرب إسرائيل ولنعطهم بعض المؤن لتقوت حاجتهم فقط.

نظر إليه البغدادي نظرة غائمة لم يتبين منها السامرائي أية دلالة على ما قد يكون بداخله، وكان البغدادي يحدث نفسه قائلًا:

مؤكد هذا الشيعي العلوي الكاره للسُنه طوال تاريخه خائن..

لا محالة إنه خائن، طوال عمره وهو جاف القلب غليظ لا يراعي أمام مصلحته شعورًا ولا فؤادًا لأي شخص، اشتهر بين الجند بقسوته وكل الجيش يخشاه من صغيرهم لكبيرهم!

اوِ لهذا الوضع الذي يحتم أن أضع يدي في يده وأدير له ظهري..

لولا سطوته وعصبته وقبيلته..لقطعت رقبته

- قال له وهو يزيح نظره عنه:

الأمر ليس بيدي وحدي، فهو جيش عربي مشترك أمره من جميع الزعماء وليس معنى أن (اليزن) ابن عمي ومساعدي قائدًا للجيش المشترك أن يكون الأمر بأيدينا، هو فقط قائد تم اختياره بالترشيح ليس إلا، على العموم سوف أقترح على مجلس قيادة الجيش العربي المشترك أن نجعل لهم يوم أمان منا، لا نغزوهم ولكن من يخرج منهم وبإرادته فلا عودة، هذا إن خرج من عندهم أحد يتبعنا، أما نقل مؤن لهم فلا وإلا فما فائدة الحصار!

- ولكن سيدي..

- انتهينا

أنهى البغدادي كلمته وانصرف وخطر بباله أن يتوقف فجأة ويدير رأسه ليرى ملامح وجه السامرائي، فوجده يحدقه بقوة لانت من فورها أن انتبه..

التقت عيناهما لثوانٍ، طأطأ بعدها السامرائي رأسه، انصرف البغدادي وهو يغمغم:

- مؤكد هذا الكلب خائن ....

*****

اليوم ١٥٧

مبنى الموساد-تل أبيب

- ماذا فعلت بأمر الشجر؟

تسأل حاييم موجهًا حديثه لمدير مكتبه (آريئيل موشيه)

- أي شجر يا سيدي؟!

- قال بنفاد صبر وقد علت نبرة صوته:

شجر الغرقد..

ألم أنبه عليك أن تعطى الأوامر بتنفيذ الإداريات مع جميع الجهات

المنوطة لتيسير زراعتها بكل مكان وسهلت لك الأمر من مكتب رئاسة الوزراء، وذكرتك أكثر من مرة بذلك، فماذا ينقصك يا هذا؟!

- اهدأ يا سيدي حاييم، لقد فعلت ونفذت أوامرك بالفعل

هدأ قليلًا وأدار وجهه تجاه النافذة وقام بإخراج لفافة تبغ وأشعلها لتساعده على الاسترخاء ليباغته آريئيل وهو ينفث الدخان بسؤال كان يتوقعه منه من فترة ولم يكن يريد أن يسمعه بالذات بهذا التوقيت العصيب:

- ولكن سيدي حاييم، ألم تقل وتؤكد أن هذا الذي يحدث ما هو إلا ظواهر كونية وأن لا وجود لعلامات القيامة كما يدعي المسلمون، فلماذا تأمر بزراعة هذه الشجرة بالذات والتي يقولون عنها أننا سنختبئ وراءها يوم الملحمة الكبرى بيننا وبينهم؟!

وبعفوية ضحك وأردف:

- أتدري يا سيدي، إنهم يقولون إن الشجر سوف يكلمهم ويقول لهم أن ورائي يهوديًا تعال يا مسلم واقتله..

لا أدري كيف يصدقون هذه الترهات التي لن تتجاوز أن تكون هرطقة عرافين، مشكلة العرب أنهم لا يقرأون التاريخ من قبلهم..

ألم يتنبأ نوستراداموس بنهاية العالم بالعام ١٩٩٩

وانتحر من انتحر وتنازل من تنازل عن ثروته، وماذا حدث بآخر المطاف؟!!! لا شيء، لا شيء البته!!

ثم انفجر ضاحكًا وهو يواصل:

- هؤلاء الملاعين البلهاء يا لشيطانهم، إن...

بتر حديثه فجأة صراخ الآخر وهو يقول:

- أيها الغبي، اذهب من هنا اذهب

تساءل داخل نفسه باستنكار عما هنالك وخرج من ا غرفة محمر الأذنين يشعر بصفعٍ على وجه كرامته مهين، وردد وهو يتميز من الغيظ:

- من منا الغبي، يقول إنه لا يؤمن بشطحاتهم وترهاتهم وبذات الوقت ينفذ ما يقولون!!

أترى على حقٍ هؤلاء المسلمين؟!

أيكون نبيهم صادقًا فيما قاله وليس مهرطقًا كنوستراداموس وغيره؟!

سكت هنيهة يسترجع ما قال وهاله ما عرضته عليه مخيلته، فأسكتها رغمًا عنها..وقد نوى ما نوى!

*****



٦٦٦

هُنَا الْحِكْمَةُ! مَنْ لَهُ فَهْمٌ فَلْيَحْسُبْ عَدَدَ الْوَحْشِ،

فَإِنَّهُ عَدَدُ إِنْسَانٍ، وَعَدَدُهُ: سِتمائة وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ.

(سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي - أصحاح ١٣/ ١٨ - العهد الجديد)

مكة المكرمة

القصر الملكي

الاجتماع الخامس لملوك ورؤساء العرب

- المتحدث المصري:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أمجاد يا عرب أمجاد، عدوكم وبفضل الله قد ذل وبانت نقائصه وضعفه أمامنا بعد أن انعدمت الطاقة، ولكن دعونا لا ننسى أن العدو رغم ذلك مازال عنيدًا وبجعبته الكثير..

الاجتماع اليوم لمناقشة أمر خروج بوارج المدد من السواحل الأمريكية والمستجدات من الأمور.

فليتفضل جلالة ملك المغرب الشقيق رئيس الجلسة.

- السلام عليكم إخوتي وأشقائي العرب

بارك الله في جمعنا وجمعنا دائمًا على خير وآلف بين قلوبنا إنه ولي ذلك ومولاه والقادر عليه.

أولًا يطيب لي أن أشيد بالتناغم بين الأشقاء و التميز والحرفية العالية بين صفوف جيشنا المشترك..

أدامه الله علينا نعمة.

ثانيًا كما تعلمون حربنا هذه حرب نهاية، كنا في غفلة ووفقنا الله لما نحن فيه بعد أن ظهرت علامات الساعة رحمنا الله وإياكم وغفر لنا ما تقدم وأعاننا على ما نحن فيه.

وقد بدأ كل أولاد العم سام في التجمع والتخطيط،

كانت حربنا كل ذلك مع الكيان الإسرائيلي فقط لعنهم الله أينما كانوا ووجدوا وثُقِفوا والباقي من وراء ستار، الآن الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا بدأت أساطينهم وجيوشهم في التحرك صوبنا.

ولن نغادر قبل أن نضع خطة محكمة للملحمة القادمة يدلو فيها كل أخ بدلوه فأمرنا شورى بيننا كما أمرنا نبينا الكريم ﷺ.

والله الموفق والمستعان

فلنبدأ الافتتاحية بكلمة السيد الرئيس الفلسطيني (سلامة المصري) حيث ستدور رحى ملحمتنا المزمعة ينوب عنه بإلقائها رئيس وزرائه (السيد/ راني الزناتي)..

تفضل سيدي

*****

مَجْدُ العَرَبِ قَدْ لَاحَ بِالأُفُقِ وَلَتَرْجِعَنَّ أعالينا

وَعَدُونَا في الذُلِ يَوْمَ قَرِيبٌ لَسَوْفَ يَسْتَكِينَ

*****



كان يومهم طويلًا مرهقًا بحق..

يصحون عند غبش كل فجر ثم لا شيء سوى خطوات تتبعها خطوات وسط حر وهواء الصحراء اللافح نهارًا رغم الشتاء والبرد القارص ليلًا، وأشباح السراب المترائي لعيونهم أينما حلوا كأنها راقصات تتمايل وسط القيظ وما تلبث أن تتلاشى حتى أعيا معظمهم التركيز بهذه الظاهرة، وما زاد الطين بلة أن طعامهم وغذاءهم اقتصر على وجبة واحدة لا تغني ولا تسمن وذلك زادهم كان شارف على النفاد أو كاد.

وبعد أن أفلت شمس ذلك اليوم الذي شعر عبدالله أنه لن ينتهي خيموا كعادتهم اليومية حيث استقرت بهم الصدفة وقت الغروب.

- قال محمود والد فاطمة وهو يلهث من الإعياء:

أعتقد أننا قربنا من (أبورديس) أو كدنا، لا تجزعوا قريبًا سنحصل على دواب تقلنا ونرتاح من هذا الشقاء حين نصل ونلتقي بقريبي القاطن هناك

- لم ينبس أحد ببنت شفه: وظلوا واجمين حتى قطعت فاطمة الصمت وقالت:

سوف أستكشف المكان

وبنبرة ناعمة مغلفة بشرود يداريها تسألت:

- هلا تأتي معي يا عبدالله؟!

اعتدل عبدالله من مرقده وكان ينتظر اعتراض أحدهم وهو ما لم يحدث فلم يعرهم أحد انتباهًا، فتبعها مطربًا وهو يُمني نفسه بأماني مشروعة.

- قال محمود بطريقة آلية:

خذيي هذه معك فلا ضامن لما يقابلكما، ولا تتأخري ولا تبتعدي..

أخرج من جيبه مدية أعطاها إياها بيدها، وبدأا المشي حتى تواريا عن الأنظار

- وبعد مشي دام طويلًا دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة، قطعت الصمت وهي تتأمله بينما تمشي جواره قائلة بوجل:

أتعلم..

أشعر بارتياح تجاهك لا أدري مصدره، وكأني أعرفك منذ فترة طويلة

- قال وبصره موجه لخطواته بينما شبح ابتسامة يرتسم على وجهه:

أعتقد أني أبادلك نفس الشعور، بل ...

قطع حديثه فسكت فاستحثته هي على المواصلة وأردفت:

- بل ماذا؟!

- بل أعتقد أن صدرى به ما يزيد عن إحساس الراحة والألفة

-ماذا تعنى؟!

- قال بتردد:

لا شيء، أرجوك انسِ ما قلت

- تكلم ولا تخف ولا تُخفي شيئًا

- أتعدينى أن يظل ما أقوله لك سرًا

- أعدك

- أعتقد..أعتقد......

- ها تكلم

- أعتقد أني معجب بكِ

لم ترد حتى أن قلبه كاد يقع في قدمه، وطال صمتها حتى بدأ يفكر كيفما ستكون ردة فعل أبيها وأخيها.

- إلى أن تزحزح الصمت وقالت برقة وعذوبة أذابا قلبه:

وأنا أيضًا معجبة بك

- أتعنين ما تقولين

- نعم وأشعر به من كل قلبي

جرت منه بعدها وجلة وهي تضحك فجرى خلفها، إلى أن اقتربا من مكان تخييمهما فعاودا المشي بطبيعية وكلاهما يتبسم دونما سبب.

حينما وصلا كان محمود وخالد قد غلبهما النعاس بينما أمها نجوى كانت مازالت مستيقظة في انتظارهما

قالت نجوى بتلهف:

- لماذا تأخرتما

- لا شيء فقط قد أخذنا الكلام

- هيا إذن لتناما فوالدك لن يرحمنا فور أن يبين الضوء، هلما لقد أعددت لكل منكما فرشته

افترشا الأرض حيثما أشارت نجوى وما هي إلا دقائق معدودة ليغلب النعاس فاطمة وأمها، بينما عبدالله ظل يقاوم النوم الذي يداعب عينيه وهو يتفكر في حديثهما مرارًا وتكرارً، ويترك العنان لمخيلته فتسرح به بعيدًا في عوالم وملذات أخر.

حتى تخيل أنه يسمع وقع حوافر تحتك بالأرض وصوت رفرفة أجنحة بدا ضعيفًا ثم أخذ في الازدياد تدريجيًا، في البداية شعر أنه يحلم، ثم شعر بروح ثقيلة ووجود خفي أطبق على روحه وأنفاسه فبدأت حواسه تتيقظ

وتنتفض، أدار رأسه ورفع الغطاء عن وجهه ليجد ما جعله ليبول على نفسه.

وجد خالد يرسم على الرمال التي يفترشها بجواره بعصًا خشبيه ما خاله الرقم (٦٦٦)، ثم شرع في السجود..

بالبدء خاله يسجد للرقم الذي خطه حالًا، ثم حين دقق النظر وجده ساجدًا لشيء لم تستطع عينيه تمييزه وإحاطته وتحديد كنهه داخل عقله المجهد، بل لم يستطع تبين زمن حضور هذا الشيء أظهر حالًا وكان خالد من استحضره بما خطه أم كان موجودًا بالفعل حين قام برسم الأرقام؟!

فرك عينيه وبدأ يحدد ملامح الكيان الذي يسجد له خالد..

كيان أسود ضخم يشبه في تكوينه الإنسان إلا أنه أضخم طوله حوالي الثلاثة أمتار، ورأس مهول وجناحان تصادف أن يفردهما هذا الكائن على امتدادهما وقت أن نظر عبدالله إليهما فسدتا عليه الأفق، فجفل وازداد فزعه وتضاعف ألف مرة حتى أنه شعر أنه سيغشى عليه.

أغمض عينيه وبسمل وحوقل في سره ودعا ربه أنه إذا فتح عينيه ثانية أن يجد ما رأى محض خيال في خيال، إلا أن دعوته لم تُلبَّ ليجد نفس المنظر أمام ناظريه.

رفع بصره تجاه وجه الكائن فأهاله ما رأى، عينان مشقوقتان طولًا بلون السماء الصافية شديدتا البريق وكأنهما تشعان نورًا، لا يوجد ما يعكر زرقتهما ولا بؤبؤ بهما.

وللحظة خُيل إليه أن الكيان ينظر إليه أيضًا وهو يبتسم ابتسامة خبيثة كادت توقف قلبه وتخلعه خلعًا، قبل أن يصّعد الكائن بالسماء برفرفة خفيفة

من جناحيه حتى وصل لمستوى كتف خالد، ليمسكه من منكبيه بحوافره الشبيهة بحوافر الصقر أو النسر ويفرد جناحيه عن آخرهما ويخبط الهواء بهما خبطتين قويتين فقط فيختفي في غياهب السماء عن أي نظر وسط دهشة عبدالله وروعه والذي استدار في فرشته وكفن نفسه تحت غطائه وهو يقرأ آية الكرسي بصوت لم يعد موجودًا وبالّا لم يستطع جمعه وهو يبكي.

*****

- نسحب..كيف؟!

كيف ننسحب ولنا اليد العليا؟!

كيف ننسحب وهي معركة حياة أو موت؟!

لو انسحبنا ووصلت لهم الامدادات وعون القوات المحالفة لهم خسرنا المعركة!!!

ثم إن الرئيس البغدادي يعلم جيدًا أني لا أستطيع أن أقبل أوامر إلا من مجلس القيادة العربي مجتمعًا فكيف بالله يصدر لي أمرٌ منفردٌ كهذا؟!!

وما هو هذا الظرف الطارئ الذي يتعلل به في طلبه ولماذا يطلب مني التكتم على الأمر حتى أنفذه، بل إنه حذرني من مجرد مشاورتك بالأمر رغم علمه بأنك ذراعي اليمنى، بل وإقصاؤك وعزلك إن أمكن؟!! هذا ليس بالطبيعي، ولا من عادة البغدادي أن يكون غامضًا هكذا!!

أنا لا أخفي عليك أمرًا كهذا، وأرى أن مشاورتك واجبٌ، وأمر لا جدال فيه، حتى وإن أمرت بغير ذلك، فنبي الله ﷺ أمرنا بالمشاورة وهذا أمر جلل وعواقبه تقع على جميع العرب وليس العراق فقط، وإن كان أمر

البغدادي مخالف لأمر الرسول ﷺ فلا أستحق العيش إن أطعته فما كان لمؤمن أو مؤمنة إن قضى الله ورسوله أمرًا أن يكن لهما في الأمر من شيء..

أشر علي أيها اللواء الجمصى!!

وجه (اليزن بن عمار) -العراقى الجنسية- قائد حملة الجيش العربي المشترك على منطقة القدس وهو يتعجب من الأمر الصادر له من البغدادي بشخصه حديثه إلى نائبه ومستشاره اللواء/ نادر الجمصي (المصرى الجنسية) والملقب بالثعلب الأخضر (نسبة إلى دهائه الحاد ولون عينيه الخضراوين) وبدت عليه إمارات الحيرة وعدم الاستيعاب.

- تعجب الجمصي أيما تعجب وضاقت عيناه وهو يعتصر عقله وقال:

لا أخفيك سرًا سيادة القائد، الأمر لا يبشر بخير وأعتقد أن خلفه لغز، فيستحيل أن يصدر منفردًا كهذا، فالتحالف قوانينه ودستوره محددين ولازمين، وأولى مبادئه الشورى، ثم وإن كان الرئيس البغدادي حقًا بأمر جلل كما خُبرت فلماذا لا يعلم أحد بهذا الموضوع، كان ليكون عندي خبر بهذا كما تعلم فجهاز مخابراتنا لا يلهو، أرى أن لا تنفذ الأمر حتى يأتينا الخبر اليقين.

- أنا معك بما تقول.. ولكن..

هذا من الناحية السياسية والحربية، ولكن أنت تعلم أن الرئيس البغدادي ابن عمي ومن الناحية العائلية لا أخفيك سرًا أنا قلق..

- معك كل الحق بقلقك هذا

سكتا هنيهة يقلب كل منهم الأفكار برأسه ويُعملها بعقله، وكان نتاج هذا الفكر مخيفًا لكليهما رغم أن أحدًا لم يصارح الآخر بما يعتمل بعقله.

- بادره الجمصي بالحديث وقال:

هب أننا نفذنا الأمر فإلى أي مدى يُطلب منا الانسحاب؟

- الأمر واضح ومحدد ترك كل المواقع وفك الحصار الشرقي وإخلاء الحدود والتراجع إلى داخل الحدود الأردنية.

- مسح الجمصي رأسه الأصلع بيده مفكرًا وقال:

أعتقد أن فكرة التشكيلين للقوات المعادية واحد من الجهة الغربية والآخر من الجهة الشرقية والتي أخبرتنا بها مصر من الممكن أن تكون غير صحيحة أو أنها مجرد خدعة أرادوا لنا أن نعلمها حتى نبني كل تخطيطنا عليها..

فكر معي لو أنهم لن ينقسموا وسيظلوا تشكيلًا واحدًا يعبر مضيق جبل طارق..

بالتالى فقوات التحالف المعادية يجب أن تجد منفذًا للدخول للأراضي المحاصرة كى يصلوا لنا بالأراضي الأردنية..

وخليج السويس وخليج العقبة تغلقهم القوات المصرية إذن فميناء إيلات كأنه لا وجود له.

يتبقى لنا ٤ موانئ على المتوسط:

ميناء أشدود وحيفا وعكا ويافا، وبما أن قواتنا تحاصر هذه الموانئ والساحل الغربي الإسرائيلي كاملًا، لذا أعتقد أنه من الممكن أن تدخل قوات التحالف الأمريكية الأوروبية القادمة إلى داخل إسرائيل عن طريق الحدود الشمالية اللبنانية خاصة وأنهم يعلمون أن السواد الأعظم من قواتنا يتمركز في محاصرة سواحل إسرائيل وسوف تكون معركتهم هينة مع القوات اللبنانية منفردة، وبعد أن نكون نحن انسحبنا نكون مهدنا لهم الاستيلاء على الجانب الشرقي كله وفك الحصار دون إراقة نقطة دم واحدة..

هذا رأيي والسيناريو الذي أقترحه والذي أراه أقرب من انقسامهم لتشكيلين وتكبدهم عناء رأس الرجاء الصالح حول القارة السمراء..

فهذا غير منطقي..

والله أعلم..وفي النهاية الأمر لك.

وجم يزن بن عمار بعد حديث اللواء الجمصي المفصل وتحليله للأحداث، وطفق يعيد إدخال كل معلومة على حدة داخل عقله المجهد عله يوازن الأمور.

- قال بعد تفكير مطوَّل:

ولكنك غفلت ذكر السبب وراء الأمر من البغدادي، لقد حللت النتائج ولكن أين الأسباب؟!

- أغلب ظني أن هذا ليس أمر الرئيس البغدادي نفسه

- ماذا تعنى؟!

- دارى الجمصي وجهه وهو يغمغم:

أنا لا أعلم تحديدًا، ولكن من الجائز أن يكون قد تم الضغط عليه لإصدار أمر كهذا

- قال باستنكار:

ممن؟!!

- صدقًا لو كنت أعلم لحدثتك

- إذن ما العمل، حديثك أقلقني على ابن عمي، وأقلقني على العراق ..

تُرى ما يكون قد حدث!!

أهي خيانة بصفوف الجيش الباقي هناك!!

- أو انقلاب عسكري!!

- قال برهبة بادية حاول بفشل إخفاءَها وهو يتذكر تحذيره للبغدادي من حاشيته:

ماذا تقول؟!

ثم حاول تغافل كلمة الجمصي الأخيرة حتى يُهدِّئ من روع نفسه وانتقل بالحديث عن سيناريو مغاير وواصل قائلًا:

- أو تنظيم داعش، أترى قد صحوت صحوتهم بعد إذ أذقناهم الفناء!!!

- قد يكون أيا من ذلك أو كل ذلك

ولكن حذاري أن ننسحب .. سوف نُحدث ثغرة لن تلتئم.

- قال بعصبية كأنما يفرغ غضبه وفزعه فيها:

لن ننسحب فلن أضيع العرب من أجل بلدي، ولكني سأترك لك قيادة القوات وسأنسحب فقط بالقوات العراقية إلى الداخل العراقي لأرى ما يحدث.

- نعم الأمر والرأي

- أنا أثق بالله وبك من بعده

- طمأنك الله على وطنك وابن دمك

- جهز لي القوات العراقية ستتحرك الآن

- لك الأمر يا صاحب الأمر

*****

اليوم ١٦٨

مبنى الموساد-تل أبيب

كاد نوعام ايتان رئيس الوزراء الإسرائيلي أن يُجن خلال حديثه في الجلسة المنغلقة مع حاييم اشمعون رئيس جهاز مخابراته خلال جولة الأول التفقدية للجهاز.

– قال وقد بدا على وجهه إمارات ضيق وتبرم:

ماذا تقول يا حاييم، هذا محض تخريف كما قلنا سابقًا واتفقنا، هي ظواهر كونية لعينة لن تلبث إلا أن تزول

– سيد نوعام، أنت رجل (لاهوتي) محنك على علم بأمور الدين والتوراه والتلمود تدري بهذه الأمور أكثر مني، كنت أردد مثلك ببادئ الأمر ولكني بدأت أتلجلج في حديثي مع من يحاورونى ..(كنيرت).. كنيرت قد فتت في عضدى حتمًا، وما طلبت مشاورتك إلا لعلمي أنك رجل دين من الطراز الأول تفهم بالكتاب وتفهم بتأويله.. فقل لي ماذا ترى؟!

– قال وهو يحاول تهدئته والحقيقة أنه كان يخشى أن يفلت زمامه هو أيضًا من فرط التوتر، فكان بالأصل يحاول تهدئة نفسه شخصيًا:

حاييم اهدأ، بحيرة كنيرت طوال حياتنا وهي ينخفض فيها مستوى المياه ويعلو حسب منسوب المياه بنهر الأردن فما الجديد؟!!!

- الجديد يا سيدي أن بحيرة كنيرت التي هي بحيرة (طبرية) عند العرب قد سجلت اليوم أعلى معدلات انخفاض لها وكأنها ستختفي..

أتدري وضع ذلك المعنوي بجنودنا..

أتدري وضع ذلك المعنوي بجنودهم!!

حين يعلم الطرفان أن كلام نبي المسلمين محمد يتحقق في كنيرت أو طبرية كما يسمونها تكاد تختفي؟!!

أتفهم خطورة ذلك..؟!!

- جاييم، أراك وقد بدأ الشك يتسرب إليك وبت تشكك بأكبر ثوابتنا ومعتقداتنا!

- نظر إليه واجمًا وجفل من الفكرة وردد:

كلا كلا، كلا البتة، ليس كذلك، ولكن أعتقد أننا نحتاج إلى التثبت ومداومة تذكير بعضنا البعض خاصة وأن النهاية قربت أو بدأت بالفعل..

ألا ترى أنها بدأت؟!

- صمت هنيهة وهو يفكر وغمغم داخل نفسه بأسى:

نعم أظن ذلك، لقد بدأت النهاية، حقًا لقد بدأت!!

ثم جال بفكره خاطرة لم يشركها مع الجالس بحضرته خوفًا من أن يزيد توتره وهلعه.. كان يتفكر في أن:

-أين هو؟! ولماذا لم يظهر حتى الآن؟! ماذا ينتظر؟!

أينتظر حتى يقضي المسلمون علينا أم ماذا؟!

حقا، أين هو؟!! لقد طال وعده!!!

*****

(لِأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى مِيعَادٍ وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلَا تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لِأَنَّهَا سَتَأْتِي إتيانا وَلَا تَتَأَخَّرُ)

(سفر حبقوق - الاصحاح ٢/ ٣ - العهد القديم)

*****

فتح عبدالله عينيه جبريًا مع أول ضوء منبعث، ولا إراديًا قفز كالملسوع هلِعًا من مرقده وهو يتلفت حوله مذعورًا، فوجد الكل قد استيقظ ويعدون العدة لمواصلة الرحيل، أما محمود فكان يقرأ القرآن بصوت جهوري مرتلًا، وقد دهشه وجود خالد بين أسرته كأن ما حدث أمام ناظريه كان محض خيال وكأنه لم يرتقِ بالسماء كما تفعل الطيور..

راقبه لدقائق فلم يتأت منه ما يثير الريبة، فبدأ يغمغم لنفسه أن ما قد رآه هو بالتأكيد محض خيال، فكيف يتأتى ما حدث مع ما يراه ويعايشه بلحظته الحالية!

- قال مغمغمًا محادثًا نفسه:

لقد شطح خيالي بعيدًا داخل أحلامي..

ورغم عنه ندت عنه ابتسامة من جانب فمه لم يستطع منعها وهو يتفكر في أنه صار مجنونًا رسميًا، يحلم، يرى ويسمع، بل ويعايش هلاوس بصرية وسمعية كهلوسة البارحة لها وقع الواقع بكل تفاصيله، عدا الكائنات الأسطورية بالطبع، ثم انفجر ضاحكًا بعد كلمته الأخيرة وقد فلت زمام نفسه منه فلم يستطع كبحها أكثر من ذلك..

- قبل أن يلتفت إليه محمود محدقًا إياه بنظرة مرتابة قائلًا:

سلامة عقلك، أأصابك الجنون أم أنت بالأصل مجنون!

ثم اقترب منه وشده من ذراعه ليقف وبحزم أخذ بيده ومشى معه بعيدًا عن المجموعة تتابعهم فاطمة مرتابة ونجوى أمها مشفقة على الاثنين المرتاب والمرتاب منه.

- بعد أن توارا عن أنظار من معهم طلب منه محمود الجلوس على صخرة صادفاها بطريقهم وجلس جواره وبعد هنيهة من الصمت قال:

أعلم أنك لا تحبني أو على أقل تقدير لا تبتلع وجودي وأحدثك وإني لك أمين أني أكنُّ لك نفس الشعور.

-حاول عبدالله نفي الكلام متلعثمًا وغمغم:

أنا..أنا لم..

- قاطعه محمود قائلًا:

لا أريد منك تبريرًا، فما بداخلك تجاهي لا يعنيني، على الأقل حاليًا..

ما يعنيني حقًا هو ابنتي..فاطمة

- ما بالها فاطمة؟!

- أتعتقد أني مغفل أو عجوز خرف!!

أنا قد خبرتُ من الدنيا ما لن يتأتى لك، وإن عشت عمرين على عمرك..

أنا أرى بوضوح وألاحظ نظراتكم لبعضكما البعض وضحكاتكما وهزلكما سويًا، ولست وحدي الذي لاحظ ذلك..

نجوى أمها أيضًا قد لاحظت!

- أقسم لك أن..

- لا تقسم، أنا لا أريد منك مواثيق وعهود، على الأقل حاليًا..

فقط أريدك أن تعلم أن ابنتي روحي وإن مسست روحي بسوء فيا روح

ما بعدك روح، أعلم أنك لم يظهر منك سوء حتى الآن وأني أتحامل عليك الذنب لم تقترفه بعد، ولكنني من النوع الشكاك، وعليك أن تتحمل ذلك حتى يثبت منك العكس

- أكاد أجزم ودون قسم حتى لا تغضب أنك مخطئ هذه المرة في شكك وأنه ليس بمحله

- أحدق محمود النظر به وقال:

سنرى

سكتا قليلًا بعد حديثهما وكلاهما ينظر تحت قدميه شاردًا، تفكر عبدالله في إخباره بما رأى أمس وعدل عن فكره ثم رجع وقرر إخباره بمكنون صدره فلن يضر الجميع البوح بما تخيل أنه رآه، فلو كان حلمًا فسيضحكون جميعًا ويتفكهون بنادرته أما إن كان حقيقة..

ثم توقف لحظة عن التفكير استنكر فيها على نفسه حتى ظنها أن ما مر به كان حقيقةً رغم ما سمعه من فاطمة آنفًا فابتسم.

- وما زال يتبسم حتى اندفع قائلًا بتهكم:

أتدري لقد حلمت البارحة بحلم مزعج للغاية ومرعب بذات الوقت

- قال له دون أن يعيره اهتمامًا أو ينظر إليه:

ماذا رأيت؟

- رأيت خالدًا يسجد لكائن أو كيان لا أدري ما هو تحديدًا ضخم بشع كالشيطان ذاته، ثم قام الكائن بالإمساك به من كتفيه وطار به بعيدًا في غياهب السماء واختفيا، ولقد شعرت برعب لا أدري كيف أصفه

- بدا الاهتمام على محمود وبدأ يرمقه وقال:

هل تستطيع أن تصف لي الكائن أو الكيان؟!

- أسود، ضخم، فوق الثلاثة أمتار، عيناه مشقوقتان بالطول لونهما أزرق فاتح جدًا وكأنهما يشعان بريقًا، له رأس عظيم وجناحان كالطائر يسدان الأفق حين يفردهما عن آخرهما، وله حضور طاغٍ يفرض نفسه على روحك ليشعرك باختناق وكأنك تصّعّدُ بالسماء

- فغر محمود فاه وتيبس وجهه دونما حراك، وقد اعتلته أعتى إمارات الدهشة والهلع، ثم ما لبث أن قال وهو شبه شارد كأنما يحدث نفسه:

إنه نفس الوصف

- قال عبدالله باستنكار:

وصف ماذا؟!!!

- نفس الوصف الذي يصفه خالد لشيطانه

- تساءل عبدالله مدعيًا الجهل بما يسمع ليستوضح الصورة رويدًا:
أي وصف؟

- الشيطان الذي يقول إنه يظهر له وأنه يعبده دونها الله العلي القدير سبحانه وتعالى عما يصف، هذا الكلب الذي لم أحُسن تربيته ولا دينه.

- تسأل عبدالله وهو يتعجب ويربط بين كلام محمود وكلام فاطمة السابق وقد بدأ القلق والتوتر المشوبين بالخوف يتسربان إليه:
إذا ما حكته لي فاطمة وما رأيته كان صحيحًا وحقيقةً لا هلوسة!!!!

- اسمع يا هذا، أيا كان شيطانكم الذي يتراءى لكم فالله حق وآية الكرسي حق وتكفيني كل شيء..

واصل وقد بدأت عَبرةٌ تسيل من عينه رُغمٌ عنه:
- ولأقتلن هذا الخالد لو لم يرجعنّ عن شِركه..

وانفجر بعدها في نوبة بكاء حادة، فربت عبدالله على كتفه وقد بدأ الشعور بالشفقة عليه يتسرب إلى حنايا قلبه، في ذات الوقت الذي أتت به فاطمة مهرولة وهي تنادي أباها من بعيد

- فمالبث الأخير أن كفكف دمعه وسيطر على نوبته وحاول ضبط نبرة صوته وقال بصوت بدا غريبًا حتى على مسامعه رغم محاولته وقال: ماذا هنالك؟

- ألم تلحظ؟!

- ألحظ ماذا؟! هاتِ ما عندكِ وتكلمي

- قالت وهي تستجمع أنفاسها:

انظر للسماء..لقد أشرقت الشمس من مشرقها..

يبدو أنك كنت مخطئًا يا أبي وجميع العرب والمسلمين أيضًا كانوا مخطئين، وكان الغربيون واليهود على حق، إنها ليست النهاية..

وواصلت بوجه يملؤه البشر والفرح وهي ترمق عبدالله بنظرة ذات مغزى:

- ليست النهاية وليست علامات الساعة..

ويبدو أن هناك أمل!

*****

وفور أن عادت الطاقة..

أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط

*****

- أين تذهب أيها القائد؟!

تساءل (عباس القرشي) مساعد قائد الجيش العراقي عن وِجهة الأخير حينما رآه يتسلل ليلًا وحده وهو يمتطي جواده تاركًا خلفه جيشه الجرار غريبًا ليرتاح متجهًا صوب الحدود العراقية.

كان القرشي كهلًا بالخمسين من عمره ذا ملامح حادة تكسبه عمرًا على عمره وتزيده وقارًا، وكان دائمًا ما يتوشح بعمامة على رأسه تُشعر من ينظر إليه أنه يحادث رجلًا من عصر آخر.

- التفت إليه يزن وقد فوجئ به فقال باسمًا:

بوركت يا قرشي، عينك الساهرة لا تتركني حتى فِي أوج فترات التعب والشقاء

- لقد أوصاني عليك ابن عمك وصديق عمرِي الرئيس البغدادي..

وبلهجة مازحة واصل وهو يتبسم:

- أم تتناسى ذلك لأنك القائد ويرفض عقلك الباطن الوصية من أحد..

حتى أنا وإن كنت قد ترعرعت على يديَّ هاتين..!!

- حاشى لله يا قرشي..أنت عندي بمثابة الأب الذي حُرمت منه صغيرًا وعوضني عنه ابن عمي وأنت

- قال بنفس لهجة المزاح السابقة وهو يبتسم:

إذن فلتعترف لمن هو بمنزلة أبيك دون أن تضطره ليشد عليك..

إلى أين أنت ذاهب ولمَ بمفردك ودون حرسك حتى؟!!

- عقد يزن بن عمار ما بين حاجبيه وقال وقد انتقل بغتة من التبسم للتجهم:

قلبي قلق على ابن عمي، أشعر بخطر مُحْدِقٍ.

- أشاح القرشي عنه ببصره وقال وقد عبث وجهه هو الآخر:

وقلبي يحدثني بما يحدثك به قلبك

دام صمت لدقائق بعد حديثهم تفكر فيه القرشي بالقائد البغدادي وأهميته للعراق وكيف أنه أعاد تكوين الجيش العراقي ووحد الصفوف بردح من الزمان لا يُذكر بعد إذ فتّته القوات الأمريكية الغاشمة المحتلة إبان حرب الخليج وبعد هزيمة الرئيس المغدور به صدام حسين.

-ثم لم يلبث أن قطع حبال الصمت وقال:

ولكن حتى وإن كان قد وقع القدر بما لا يُطمئن..

أفمن الحكمة والفطنة أن تذهب وبمفردك لتستكشف المجهول؟!!

- كنت أريد فقط أن أستطلع الأخبار، ليس إلا

- انتظر حتى الصباح، إن هي إلا اسويعات قليلة ويبدأ الجيش بالتحرك وتكون وسط قواتك، لا أخفيك أخشى إن كان قد وقع مكروه لابن عمك لا قدر الله وتذهب بمفردك فيصيبك سوء أنت أيضًا، فلسوف تتفرق بعدها الجموع وتظهر التحزبات ولن يقدر على جمع زمام البلاد كائن من كان، ابق معنا يا ولدي حبًا في الله، فالصباح رباح وإن غدًا لناظره قريب.

- سرح اليزن بخياله قليلًا ثم قال مغلوبًا على أمره:
لك ما أردت يا قرشي، لك ما أردت

قبل ذلك بعدة أيام بالداخل العراقي..
كان البغدادي جالسًا يقرأ القرآن كعادته بهذا الوقت من الصباح بغرفة نومه، حين دخل عليه الحجرة عنوة اثنان من الجنود دون استئذان وهو ما خلعه وعسر عليه فهمه، إلا أنه فهم ما يدور حين اقتاده الجنود إلى بهو القصر الملكي حيث وجد السامرائي وحيدر يجلسان وقد وضع كل منهما ساقًا على ساق وأشاحا بنظرهما عنه وكأن ما يحدث لا يلق منهما بالًا.

- تبسم في مرار وأردف بأسىً:
فهمت ما يدور، يا خونة، كان اليزن على حق!
- نظر إليه حيدر وقال ببرود وتجهم:
لا تلومن إلا نفسك سيدي الرئيس، بالطبع كان يجب أن تتوقع انقلابي هذا، ولكنك غبي.

- حقًا أنا غبي أن لم أستمع إلى صوت العقل حين حذرني منكم اليزن والقرشي، وحين لم أصدق فيكم حدسي، ولكنك أغبى إن لم تتوقع أني بحثت برسالة لابن عمي فور أن استشعرت منكم بما يريب وأبشرك يا أبله أن الجيش العراقي كاملًا وعلى رأسه اليزن سوف يكون على رأسك بعد وقت ليس ببعيد ولنرى ساعتها من منا سيضحك أكثر

- قال السامرئي ببرود دون النظر إليه محاولًا تغليف رعدة بداخله -من البغدادي حتى بموقفه هذا- بثبات غير أصيل:

هذا إن كان بك روح لتضحك ساعتها..

ثم على كلٍ لقد حققت إرادتنا ولقد أضفنا بعض الرتوش على خطابك..

ثم ضحك بمجون وواصل:

رتوش خفيفة أرجو أن تسامحنا عليها سموك..

حيث إني كنت سأرغمك بكل الأحوال على بعث رسالة له ليعود بالجيش حتى تخف وطأة الحصار عن حلفائنا الذين سيثبتون أقدامنا بسدة حكم عراقنا رغم أنفك وأنف الجميع

- فتح البغدادي عينيه ذهولًا من عظم وقع الخبر عليه وقال باستنكار:

حلفاؤكم!!!

- نعم، حلفاؤنا

- أيها الخائن الفاسد معدوم الضمير والدين، أين تذهب من الله..
الله المنتقم الجبار؟

- ضحك عاليًا وقال بعبث:
اخرس

وضحك ضحكة شيطانية حاول فيها مغالبة ارتباكه ورعشة أصابته شاركه فيها حيدر الذي واصل إشاحة بصره عن البغدادي وكأن الموضوع لا يعنيه وواصل الأول:
- هل تريد شيئًا يا صديقي العزيز قبل أن أبعثك إلى مثواك الأخير

ثم ندَّت عنهما ضحكة أخرى وهم يخبطون كفوفهم ببعض استهزاءًا وسخرية

- فما كان من البغدادي إلا أن ضحك وقال:
نعم أريد، أريدك أن تستمع لحديثي هذا وتتذكره جيدًا..

- ليس لدي وقت لترهاتك وتخاريفك ولكن على كل حال أنت ذاهب لحتفك توًا ومن حقك أن تتكلم، تفضل ولكن بإيجاز يا..

يا مولانا..

ثم علا ضحك الاثنان سخرية وتهكمًا

- قال البغدادي وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة ثابتة جامدة:

هل تعلم شيئًا عن (إيفالتيس) اليوناني أو (أبو رغال) نظيره العربي؟!

عقدا حيدر والسامرائي حاجبيهما علامة على عدم الفهم ولم يفتحا فاهًا ليتكلم

- فواصل البغدادي حديثه ثابت الجنان وقال:

إيفالتيس الرجل الذي خان جيش الثلاثمائة رجل الإسبرطيين الذين واجهوا جيوش الفرس بكل بسالة وماتوا بشرف بعد أن كبدوا الفرس خسائر فادحة خلال معارك طويلة، كان الإسبرطيون يسدون

(البوابات الساخنة) أو ممر (ثرموبيلاى) والذي سميت المعركة على اسمه (موقعة ثرموبيلاى) (BATTLE OF THERMOPYLAE) حتى ذهب إيفاليتس للفرس ودلهم على ممر خلفي فطوقوهم واستطاعوا قتلهم.

أما أبو رغال فهو شخصية عربية توصف بأنها رمز الخيانة، وكان للعرب قبل الإسلام شعيرة تتمثل في رجم قبر أبي رغال بعد الحج، وظلت هذه

الشعيرة في الفترة بين غزو أبرهة الأشرم حاكم اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة بعام الفيل عام ٥٧١م وحتى ظهور الإسلام.

وأبو رغال هو الدليل العربي لجيش أبرهة، فما كان الأحباش يعرفون مكان الكعبة وكلما جاؤوا بدليل من العرب ليدلهم على طريق الكعبة يرفض مهما عرضوا عليه من مال، ولم يقبل هذا العمل سوى أبي رغال وكان جزاؤه من جنس عمله.

إيفياليتس اسم علم، اسم شخص، تحول باللغة اليونانية ليصبح معناه (كابوس) وأصبح يصطلح على كل خائن باليونانية، وبالعربية قديمًا كل خائن للعرب كان ينعت بأبي رغال.

ثم جلجلت ضحكته وهو يردف:

- وأتمنى أن يصبح نظيره بالعربية حديثًا..سامرائي

- هب السامرائي واقفًا من كرسيه وصاح بالجنود وهو يشيح بيده:
هيا، يكفي خذوه من هنا وزجوه بالمحبس حتى ننظر بأمره

- نظر البغدادي إلى حيدر بثبات وتحد وقال بتهكم وإسقاط جليٍّ وهو يضحك بجانب فمه بينما يقتاده الجنود بعيدًا:
سيذكرك التاريخ أيضًا يا حيدر على أنك سامرائي..
مجرد سامرائي آخر.

*****

حار (اريئيل موشيه) مدير مكتب (حاييم) في أمر نفسه وفى فكره هذه الأيام وفيما يريد أن ينتوي فعله..

هل أصابته لوسة ما أم مس من الشيطان!!

إنه من نسل رجل كان من أوائل الناس الذين قدموا إلى الوطن إسرائيل وحملوا مهمة بنائه على عاتقهم حتى صار ما هو عليه الآن وطن يتفاخر به كل أبنائه، فكيف يفكر هكذا؟!

كيف يخالطه شعور ولو خفي ولو بسيط في أنهم ليسوا على الحق المبين؟!

كيف ومتى ارتأى أن يضع نفسه مكان العرب والمسلمين ليرى كيف يفكرون وكيف ينظرون إلى الأمر من زاوية رؤيتهم؟!

كل ذلك بسبب غضبة مديره حاييم وشعوره باهتزازه واختلاجه حين الحديث عن شجرة الغرقد وعن محمدهم؟!

أم أن الأمر أكبر من ذلك؟! أم ماذا!!

جل ما توصل إليه بعد صراع مع نفسه مرير طويل أنه سيطالع الكتب..

كل الكتب السماوية وكتب علم مقارنة الأديان!

صار لا يبتغي إلا الحقيقة، الحقيقة وفقط، حتى ولو كانت مرعبة..

ورغم شكه الكبير في أنها قد تصل إلى ذاك الحد المرعب إلا أنه بات يكرر مرارًا بصوت مسموع هذه الأيام:

- (يهوه) ربي لا تتركني..

سيطر عليه شعور من يقحم نفسه بخلية نحل أو عش دبابير وهو منقاد بلا إرادة..

وليكن (آدوناي) الرب بعونه.

*****



﴿حَتَّىٰ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(يونس: 24)

ضحك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أطول ضحكة بحياته شعر أنها أكثر ضحكة جاءت من أغوار قلبه حقًا، وهو يشاهد عودة الطاقة لكل ما يعمل بالطاقة من جديد.

- قال وهو يواصل ضحكه الصاخب حتى لتبين نواجزه للناظرين مخاطبًا حاشيته:

ألا تضحكوا معي، ألا نسهر ونمرح اليوم، وغدًا احتفالًا بصدق حدسنا وصدق وكالتنا ناسا؛ هؤلاء العرب المسلمون الخرفون أصحاب الخرافات والجهل، ألا شد ما تطوق نفسي لرؤية حالهم إبان هذه اللحظة وأثرها بنفوسهم.

ثم عاود مواصلة ضحكه الصاخب والذي انتقل كعدوى لكل الحاضرين بمجلسه، عدا وزير دفاعه (بيتر تووم) الذي بدا متجهمًا من أول الجلسة وحتى اللحظة الراهنة، فحدقه بنظرة متفحصة وقد قطع ضحكه بغتة بعد أن لاحظ تجهمه ومالبث أن ناداه وقال له:

- أريدك على انفراد

قام وزير دفاعه من مجلسه وتوجه ناحيته فاقتاده للخارج -ولايزال كل منهما يحمل كأسه بيده- طلبًا للخصوصية والهدوء بعض الشيء من جو الصخب الغالب بالداخل، ومشيا خطوات بتؤدة داخل حديقة البيت الأبيض الذي بان مزدانًا بأنواره التي انقطعت عنه فترة لا بأس بها حتى أن المارة بالطريق جواره كانوا ينظرون إليه مشدوهين وكأنهم يرونه للمرة الأولى.

- حدج الرئيس الأمريكي وزير دفاعه وبعينه نظرة عتاب وكأنه يستنكر عليه تجهمه وسط الاحتفال، ففهمها الأخر ورد وعلى وجهه مازالت علامات التجهم ذاتها:

تعرف ما أريد أن أقول

- تبسم بركن فمه وقال:

بيتر، دعك من ترهات العرب والمسلمين، إنك رجل مثقف ذو علم، مالك ما لتخاريف وتجليات البدو الهائمين على وجوههم بالصحارى تلفح وجوههم وعقولهم الشمس الحارقة فتذيب كل ذرة عقل برأسهم.. هذا إن كانوا يملكون عقولًا أصلًا!

ثم عاوده ضحكه، فقاطعه بيتر قائلًا بهدوء:

- سيدي الرئيس، أنا لا أتحدث عما يقول العرب والمسلمون وإن كان قد صادف كلامهم ما أعنيه فهذه نقطة تُحسب لهم لا عليهم..

اعتدل بوقفته وواصل بجدية وقد ازدادت ملامح وجهه حدة:

- بما تفسر ما قاله (أشلي دايل) العضو بالمجموعة الدولية (سولار ماكس solar max)، الذي ويا للمصادفة والمفارقة يصادف ويوافق كلامه كلام وكالتنا العتيدة والمصدقة (الناسا) والتي تغنيت بنفسك حالًا بعظمتها بالداخل، كما ويوافق أيضًا كلام المسلمين بالضبط لسوء الحظ..

من أن عاصفة شمسية قوية ستعصف بكوكبنا وقريبًا لتدمر كل أنظمة الاتصال والكهرباء جميعًا، سنرجع كما كنا قبل عودة الطاقة ولكن بصفة دائمة هذه المرة، ألا تشعر معي أن ما حدث كان انذارًا من الخالق لنا نحن أسياد العالم والمتصرِّفون بمصائر الأمم؟!!

ألا تصدق المسلمين حينما قالوا إنهم سيحاربوننا على حصان؟

ألا يوافق حديثهم حديث (وكالة ناسا) ذات نفسها؟!!

وحديثهم الآخر من أن الشمس ستشرق من مغربها، ألم يتحقق؟!!

- قاطعه مباغتًا بحدة وقال:

كان مجرد حدث كونى ما لبث أن زال، لو كان كما يقولون للبثنا في هذا الهراء من نهاية العالم وما رجعنا وما كانت الطاقات لتعود وما..

- قاطعه هو الآخر محتدًا وقد زال عنه هدءه تمامًا هذه المرة وقال:

أبشرك بالجديد..

اليوم نشرت الجمعية الفلكية الأمريكية

(American Astronomical Society)

أن هناك ثورة عنيفة على سطح الشمس ستحدث قريبًا التقطت بوادرها الأقمار الصناعية والمجسات فور عودة الطاقة، وأنها وشيكة، وتحدثوا عما يسمى (حدث كارينغتون .. Carrington event) وهو بالمختصر وعلى حسب ما أتذكر أن هذه العاصفة الشمسية حينما تصيب كوكبنا ستسبب

بفناء الطاقة مرة أخرى كما ذكرت وكالة ناسا قبل ذلك، ولكن الجديد والأدهى أن عاصفة الشمس هذه سوف تبتلع القمر داخل الشمس كما ذكر قرآن من تتندر بجهلهم منذ ١٤٠٠ عام!!!!!

ولسوف يتبعها جسيم يرتطم بغلافنا الجوي، وسوف تكون النهاية حقًا بلا مراء ولا جدال هذه المرة ولسوف تفنى الحياة على هذا الكوكب البائس حتى إن البحار نفسها سُتفجَّر، حين تنفصل جزيئات الماء عن بعضها نتيجة الارتطام العاصفي، فينفصل الهيدروجين الذي يشتعل عن الأكسجين الذي يساعد على الاشتعال كما درسنا في العلوم، فتصير البحار مفجرة كقنبلة مهولة، ألا يوافق هذا قرآنهم أيضًا في رأيك؟!!!

هل مازلت تعتقد أنهم جهلة مخرفين بعد كل هذا!!

- بحركة مباغتة أمسكه من تلابيبه وقال له في تحد ويأعلى نبرة بصوته وهو يجز بقوة على أسنانه من الغيظ حتى صار لصريرها صوتًا مسموعًا:

ماذا تريد أن تقول!!

أراك أقرب لتغيير ديانتك وجلدك، بل إني لأراك زاهدًا معهم بأحد مساجدهم متعبدًا تنتظر اليوم الموعود، اسمع يا هذا..

نحن الآن الذين نتحكم في الكون وظواهره وليس العكس، نحن أسياد العالم وأربابه وليس العالم فقط بل الكون والطبيعة نفسها، أم نسيت من نحن وما نملك أيها الخرف!!

جهز لي سلاح (الكيمتريل) (chemitrial) لأرسلن عليهم العواصف والصواعق والسيول ولأذيقنهم ألوان العذاب لتعرف من هو المحق أنا أم أنت وعربك، ولأبيدن هؤلاء الملاعين وإن وصل بي الأمر لتحدي ربك ذاته!

– حدج به وهو يُمسك يديه ويرفعها عن بزته العسكرية والتي شعر أنها أهينت للتو، وقد رأى نظرة نارية بعينيه مع كلمته الأخيرة ولكنه لم يعرها بالًا رُغم ما أوغلت في نفسه، وواصل متحديًا وقد تذكر (الكيمتريل) الذي لا يحبذه لاعتقاده الراسخ بضرورة عدم العبث بالطبيعة وقال بأسى:

لقد كان (دينيس كوسينيتش) محقًا في قوله أمام الكونجرس في العام ٢٠٠١ أن الكيمتريل سلاح يتسم بالغرابة، وليس وحده في رأيي الذي يتسم بالغرابة بل ومعه برنامج وزارة الدفاع

(فيجين باور 2020 vision power 2020)

والذي تنفقون عليه ميزانية دولة مذ حينها وحتى الآن

و (برنامج الشفق النشط عالي التردد

(High Frequency Active Auroral Research Program

بمحطة بحوث هارب harb بولاية ألاسكا..

كل هذا يتسم بالغرابة حقًا، هل تستطيع أن تفسر لي لما كل هذه التجارب المثيرة للريبة؟؟ ألإبادة العرب؟!!

العرب ممكن أن يبادوا بقنبلة واحدة..

ولكني مجيبك.. هذا كله لغرورنا وغطرستنا وإرضاء الأنا العليا فقط، كلنا يعلم ذلك لا تحاول إخفاؤه، نحن قوم متعالون ويؤسفني رغم أني وزير دفاع هذه الدولة أن أخبرك أن نهايتنا باتت وشيكة بل وحتمية، فالتاريخ يقول ذلك ويشهد عليه مرات عدة، كلما علت إمبراطورية أو حضارة حد الغرور والغطرسة وظن حكامها أنهم أسياد الأرض.. تُباد وكأن لم تغن بالأمس القريب!!

وأنا رغم اعتراضي فإني وزير دفاعك ولك مني ومن الدولة السمع والطاعة، وسوف أجهز لك هجمة الكيمتريل التي تريدها ولكن بعد أن أبدي اعتراضي أمام الكونجرس، وليكن الرب بالعون..

ثم واصل وبجدية وهو ينظر بعيني الآخر نظرة تحدٍ وأردف:

- عوننا نحن وليس هم!

قال كلمته وانصرف لا يلوى على شيء.

*****

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)﴾

*****

القاهرة

(مقر جامعة الدول العربية)

الاجتماع السادس لملوك ورؤساء العرب

- الرئيس المصري (رئيس الجلسة):

كارثة بكل المقاييس، عودة الطاقة تصب في مصلحتهم ولا شك، عدتهم وعتادهم لا نضاهيه كما نعلم جميعًا، ولكن حربنا لا رجعة فيها..

حتى ولو تراجعنا نحن فلن يتراجعوا هم، اجتماعنا هذا بصدد التشاور فيما سنفعل وليس للتشاور في أمر التراجع أو الاستسلام..

ففيمَ اختلافكم، فيمَ شجاركم؟!!

من اقترح منكم التراجع هل يتصور أو يتخيل حقًا أنهم سيتركوننا لحالنا بعدها، حقًا؟!!

هذا محض هراء وبئس الرأي..

أرجو أن لا نتفرق ونفترق فتذهب ريحنا..

تذكروا قول الفاروق عمر بن الخطاب (إذا أراد الله بقوم سوءًا منحهم الجدل)، ولا حول ولا قوة إلا بالله

الدور بالكلمة على سيادة الأمير القطري فليتفضل.

- الأمير القطري:

الإخوة والأخوات.. سلام الله عليكم..

بعد إذن الرئيس أنا أخالفك الرأي، أرى أن الصالح العام يوجب علينا التراجع في حربنا الضروس هذه، فكما ذكر سيادة الرئيس المصري وأنا أتفق معه بهذه النقطة فقط أننا لا قبل لنا بهذا العدو!!

عدة وعتاد وتكنولوجيا وتطور لا نواكبهم، حين كانت الحرب بالسيف والرمح كنا متعادلين أو صدقًا كانت كفتنا هي الراجحة، أما الآن فلا..

أرى أن نحقن دماء أبنائنا ولننسحب بعد عقد معاهدات واتفاقيات تُلزم جميع الأطراف، ولنرجع قواعدنا سالمين للمجتمع الدولي بهيئاته وممثليه، ولنُطبع العلاقات ولنعد للنقطة صفر قبل انقطاع الطاقة..

هذا رأيي الذي أوصي به ولا أرى مخرجًا من أزمتنا غيره..

والله الموفق والمستعان

- الرئيس المصري:

فخامة خادم الحرمين الشريفين فليتفضل

- العاهل السعودي:

إخوتي الكرام

هل ننكر أن عدونا يضمر لنا الشر ولا يخفيه ويتمنى لنا الخراب والهلاك ولن يدخر قوة لتحقيق ذلك، فلم إذن الجدال الذي لن يُسفر إلا تمخُضًا عن مزيد من جدال؟!!

أخي العزيز الأمير القطري..

سأفترض معك أننا تراجعنا وطبعنا العلاقات وأبرمنا المعاهدات فهل تعتقد حقًا أنهم سيلتزمون؟!

منذ العام ١٩٧٣ ونحن في معاهدات معهم..

وقد رأيتم اختلاف الآراء حول الرئيس الشهيد السادات من بعدها فمن رأى أنه بطل إلى رأي مغاير آخر يراه باع القضية برمتها وعاهد اليهود، ناه تاريخ الرجل بين الأجيال الحديثة، فهل إن انصعنا لرأيك أتجد التاريخ ليرحمنا مهما صحت نوايانا ويجد لنا مكانًا إلا بمزبلته؟!

ومن قبل حرب أكتوبر ونحن نعترض ونشجب ونُطبع، فهل أثر ذلك في شيء؟!

هل تعتقد حقًا أننا كذلك سوف نحقن الدماء؟!

أم أننا فقط سنسلمهم رقابنا بعد أن كنا نداحرهم ونحاربهم ونحاصرهم ونقتلهم؟!!

هل تأمن جانب الصهاينة وتركن إلى معاهدات الماسونيين الذين أذاقونا الامرّين منذ العام ١٩٤٨؟!

أنا أعارض وبشدة طرحك وأؤيد وأبارك طرح الرئيس المصري وأرى أن هذه حرب كرامة وشرف، ولا يحق لنا أن نتراجع إن كنا كعرب مازلنا أصحاب النخوة ومصنع الشهامة والرجولة، وأرى أننا يجب أن نقدر المصيبة حق قدرها ولكن ليكن عندنا أمل بالله وإيمان به ولنتوكل عليه بلا تواكل فهو حسبنا، ويكفينا عزة أن نبينا خير الخلق محمد عليه أفضل

الصلاة والسلام وأن ديننا الإسلام وأن ربنا (الله) سبحانه جلَّ وعلا..

وبعد هذه الحقيقة وكفى بها من نعمة فإن فنينا في حربنا فأهلًا وسهلًا بالفناء وقسم صدق لنكونن شهداء وأحياء عند ربنا نُرزق كما وعدنا..

فما الضير إذًا؟!

وتذكروا قول المتنبي:

«نحن بنو الموتى، فما بالنا

نعاف ما لابد من شربه؟»

أما إن جَبُنَّا فلنحمل تبعة ذلك من خزي وعار دنيا وآخرة، ولتتحمل نعتنا ووصفنا وصورتنا مستقبلًا أمام أبنائنا والأجيال القادمة، ولتتخذ مكاننا بمزبلة التاريخ كما وعدتك.

اجمعوا أمركم يا سادة قبل أن تجدوا أنفسكم بالهوان قد ذللتم..

حفظ الله الإسلام والمسلمين بكل مكان..

وحفظكم يا عرب يا أشراف يا سادة يا كرام من الخزي والعار، وردنا جميعًا إليه غير خزايا ولا محزونين إنه ولي ذلك ومولاه والقادر عليه.

- الرئيس المصري:

الكلمة الآن للرئيس العراقي ينوب عنه رئيس وزرائه

السيد/ حيدر علي

فليتفضل

- حيدر علي:

السادة فخامة ومعالي ملوك ورؤساء العرب..

النقاش لا يحتمل المماطلة فالوقت ليس بصالحنا

ولقد كُلِفت بنقل كلمة الرئيس البغدادي لحضراتكم..

ولسوف ألقيها على أسماعكم دونما مقدمات..

لقد قرر الرئيس العراقي بصفته وشخصه بعد الرجوع إلى مجلس النواب العراقي والاجتماع بقادات الجيش وعدد من مستشاريه وأعوانه وحكماء الأمة الآتي:

١ - سحب جميع قوات الجيش العراقي نهائيًا بلارجعة والتي غادرت سلفًا الجهة الشرقية للقدس المحتلة والعودة لأماكنها وثكناتها داخل الأراضي العراقية.

٢ - عدم المشاركة من تاريخه بقوات داخل تحالف الجيش العربي المشترك وعليه إلغاء كل المعاهدات والاتفاقيات بهذا الصدد

٣ - التراجع عن اتفاقيات الدفاع المشترك مع جميع دول الجوار

٤ - تسليم القواعد الأمريكية داخل الأراضي العراقية للقوات الأمريكية حال طلبها حسب الاتفاقيات المزمعة قبل انقطاع الطاقة والتي تم الاستيلاء عليها عقب الانقطاع

٥ - الانفصال التام وعدم تبعية مجلس العالم الشرقي من تاريخه

٦ - تحمل تبعات جميع قراراتنا

والله الموفق...

لم يكد ينهي جملته حتى هاج عليه الحاضرون..

حتى علا صوت الرئيس المصري بمكبرات الصوت ينهرهم بقوة وحزم، فامتثلوا لأمره وجلس كل منهم بمكانه بعد أن أصابهم الانهاك وأعياهم وأرغمهم على ترك التراشق والنزاع جبريًا

- هب الأمير الكويتي بعد أن جلس الجميع واستكانوا وقال بحرقة:

ماذا دهاكم؟!

أنفترق بعد إذ جمع الله كلمتنا، إن نفط العالم ومعظم طاقاته بأيدينا أم نسيتم؟!

ماذا سيفعلون بعد إذ ينتهي مخزونهم؟! فلنر كيف ستنفعهم طاقاتهم النظيفة الحديثة العهد بعد أن قطعنا عنهم المدد منذ حين!

وتالله إنها لخطوة كانت يجب أن تُتخذ منذ زمن..

سامحهم الله آباؤنا وأجدادنا أن لم يفعلوها..

اعقلوا كلامكم، إن يدنا بعد يد الله وبإذنه هي العليا فوق أيديهم..

ومهما يكيدون فتأكدوا أن الله أكبر فوق كيد كل ظالم..

- هز الرئيس المصري رأسه مؤمنًا على حديث أمير الكويت بينما باله في مكان آخر، وقال آسفًا وهو يتعجب وينظر لحيدر نظرة ذات مغزى:

لا حول ولا قوة إلا بالله، لله الأمر من قبل ومن بعد

*****

يَا إسكانة زولِي وذلي لِأَمَانِيّنَا

يَكْفِينا مَا صَار بَعْد إِذْ بكِ بِلِينَا

*****

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

*****

تحركت جحافل الجيش العراقي كان تحركهم تحت خطة مدروسة لتجنب الكمائن إن كان بالأمور شر، فوجدوا أن أكثر مكان آمنًا للدخول للداخل العراقي عبر نينوى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة.

وبعد مسيرة شاقة وصلوا مبتغاهم

وما كادوا يصلون لبوابات مدينة نينوى الآشورية حتى أسقط في أيديهم جميعًا وكأن الطير حط على رؤوسهم، ضربتهم سهام الوجوم فأصابت في مقتل فكأنها تماثيل هي أجسادهم لا حراك فيها.

عدا قائدهم اليزن الذي حط عن فرسه مشدوهًا وهو يزحف متثاقلًا على قدميه حتى وصل بغيته فبدأ بالبكاء الذي بدأ مكتومًا وهو يجز على أسنانه ليرنو بكاءه علوًا حتى وصل حد النحيب والصراخ وهو ينظر غير مصدق إلى رأس ابن عمه والذي كان منه بمثابة الأب وقائده ورئيس البلاد معلقًا على سور نينوى، حيث قام السامرائي بوضعه بمكانه حين علم بخطة اليزن بالزحف من هناك ..

شعر بجسده يخونه ولا يتحامله حتى أصبح لا يحتمله فعليًا فلم يقاوم زيادة ووقع مغشيًا عليه..

أحاطه الجنود فتدخل القرشي وأبعدهم وأرشفه رشفة ماء ومسح وجهه به حتى استفاق

- أفاق وهو يبكي وينشج لا شعوريًا ويقول بانتحاب وعويل وأسى بالغ يخلع قلبه وقلب كل من حوله خلعًا:

قتلوه قتلوه

وواصل ترديد كلمته وهو ينظر مباشرة بعين القرشي الذي بدأ بالبكاء هو الآخر معه حتى حين، ولكنه ما لبث أن تماسك وجمع شتات نفسه وهب واقفًا ليمسك بيزن من منكبيه ويقيمه على قدميه

- قال بحزم:

تماسك وتجلد، أنت الآن القائد الأعلى

لا مجال للعواطف، إن وقعت وقعنا، اثبت إن الله معنا

- نظر إليه دقيقة وهو ينهنه ثم جمع شتات نفسه وقال بحزم شديد وهو يمسح الدمع عن وجهه وكأنها كان ما قاله القرشي له بمثابة الأمر:

انزلوا الرأس الشريف من على الأسوار

بعد أن نفذ الجنود أمره أحضروا له الرأس، أمسكها بيده وكانت بحالة مزرية

- نظر لها كأنه يحادثها وقال بتوعد:

غدروا بك كما غدروا بجدنا الحسين بكربلاء

ولكني لن أترك منهم ولا من ذريتهم حيًا على وجه الأرض ما دخل بصدري نفس وما خرج، أقسم لك وأعاهدك على ذلك.

اه يا ابن الأصول يا ويلي وويل أمتنا من بعدك..

ثم انفجر ثانية في نوبة بكاء عاتية وهو يحتضن الرأس ويعتصرها بين ضلوعه..

مزقت نوبة بكائه نياط قلوب جيشه كله وهزته من داخله وحملته حملًا على قلب رجل واحد على مؤازرة قائدهم ورئيس دولتهم الجديد بلا منازع اليزن بن عمار.

*****

اليوم ٢٠٠

مبنى الكينيست - أورشليم (القدس المحتلة)

تهلل وجه نوعام إيتان فرحًا مستبشرًا وهو يخطب بأعضاء الكينيست الذين شاركوه تعابير وجهه وكأن يومهم جميعًا يوم عيد، حتى أنه من شدة غبطته شرب كثيرًا قبل اجتماعه هذا ولم يعبأ بالرسميات ولا بأن الوقت مايزال باكرًا على الشرب

- قال متهكمًا متغطرسًا وهو يبتسم فور أن وقف أمام مكبر الصوت: متى تريدون إبادتهم..؟!

ثم كسا وجهه ببعض الجدية التي حاول إصباغها على ملامحه وواصل حديثه:

- اليوم هو اليوم المائتان بعد الحصار..

حصار هؤلاء الجرابيع لنا داخل أسوارنا..

يكفيهم ذلك، حقًا لقد تطاولوا علينا، نحن شعب الله المختار وخاصته..

وأرى أن الوقت قد حان لتعريفهم قدرهم ومنزلتهم من هذا العالم..

فصفوفهم مقلقة وقد ضربهم الشتات والتشتت بعد أن كان صفهم موحدًا..

حتى رئيس جيشهم الشرقي الموحد ترك القيادة للواء الجمصي وانسحب بكامل قواته العراقية ليرى ماذا حدث لابن عمه المقتول على يد حليفنا السامرائي..

الفجر دون مبرر بعد مقولته في موجة من الضحك الصاخب حد الجنون
إلا أن لاحظ غرابتها ووجوم كل الحاضرين أمامه فقطعها وهو يستشعر
الحرج.

ثم واصل حديثه وقد اصطنع عبوث وجهه ليغطي على نوبة ضحكه غير
المبررة فبدا أكثر غرابة:

- طوال التاريخ ونحن تجد لنا أعوانًا بينهم ليقوموا بدور الخيانة
لصالحنا، وهم كالأنعام لا يتعلمون .. والحق يقال..

حلفاؤنا منهم وبينهم يقومون بدورهم على أكمل وجه، دائمًا هم كذلك،
حفنة من الوعود والآمال مطعمة بالأموال ويصبحون لك أخلص من
الكلب الوفي..

قهقه بعدها بصوت عال جدًا تنبه إليه هو نفسه بعد فترة أنه غير طبيعي،
قطع بعدها ضحكه بعد أن تنبه لأن زمامه يفلت من يده ووجوم الحاضرين
الأخذ بالازدياد وقال بجدية مصطنعة لم تتناسب مع هزليته طوال الجلسة:

- حقًا وصدقًا يجب أن نبيدهم هذه المرة، لا تطبيع وبلا هدنات لا طائل
من ورائها، صدقت وكالتنا ناسا هذه المرة ولكن ماذا إن عادت
الكرة؟!

لقد بانت نواياهم هذه الشعوب البربرية، هؤلاء الرعاه فلنبق منهم
حلفاؤنا ليصيروا عبيدنا..

وبتهكم قال وهو يضحك ضحكات ثانوية غير منضبطة الوتيرة وقد بدأ الخمر يشتعل برأسه زيادة:

فمن سيخدمنا إن أبدناهم جميعًا..

ثم عاوده الضحك ثانية حتى ابتعد عن مكبر الصوت أمامه للحظات ثم عاد وتأسف للحضور وواصل قائلًا بسرعة كأنه يخشى أن يتوقف فينقطع حبل أفكاره وسيل كلماته:

- ولنقطع دابر أعدائنا وأعداء السامية، فلنبدأ بجيشهم الموحد بالجهة الشرقية بقيادة الجمصي ولنبيده ولنترك تحرير سواحلنا الغربية للقوات الأمريكية وحلف الناتو، ولنجتمع على كلمة رجل واحد اليوم وها هنا أن نبيدهم ولتأتهم لعناتنا من السماء رأسًا، ولنبدأ بسماء كعبتهم تحت عرش ربهم..

ويجانب فمه واصل زيادة بالتهكم وقد ركز ذهنه بعدم الضحك وقال:

- ولنرى كيف سينفعهم..

لنغرقهم وتجيش ديارهم سيولًا جارفة وأعاصير لا قبل لهم بها ونحن ننعم بالدفء ببيوتنا ونرتشف خمورنا بالليالي الصافية ونواقع الجميلات بمخادعنا وكأن شيئًا لم يكن.

- ثم واصل بلهجة حازمة وهو يضرب المنصة بقبضته:

سلاح الكمتريل قد أعدَ سلفًا.....فقط ينتظر إشارتنا ..إشارة البدء..
أو دعونا نلقبها إشارة العدم.

ثم عاودته نوبته الجامحة من الضحك مرة ثانية فلم يحاول السيطرة عليها وقد شعر بانفلات زمامه منه تمامًا فأطلق العنان رغمًا عنه لضحكه المحموم المنقل العدوى للكل فيشاركه جميع الحضور هذه المرة حتى دمعت عيونهم..

تلا ذلك هتافات وتشجيعات مختلطة بالضحكات خرجت من نفوس راضية زاهية بقوتها متعالية منتشية مستبشرة.

*****

حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.
وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.
وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.
وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ

(سفر التثنية - الأصحاح ٢٠/ ١٠: ١٤ - العهد القديم)

*****

مَا لعربى أنْ يَسْتَكِينَ لِذُلٍ وَالمَوْلَى رَاعِينَا

مَجْدُ العَرَبِ قَدْ لَاحَ بِالأُفُقِ وَلَنَرْجِعَنَّ أعالينا

*****



أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا.

(سفر أرميا - الأصحاح ٢٣/ ٣٦ - العهد القديم)

ظهر المذيع الإماراتي اللامع متبسمًا بالشاشات وهو يلقي التحية على جمهوره العريض ليبدأ حلقته التي يعد بها منذ فترة لا بأس بها والتي وصفها بالساخنة بل وعدّها أهم حلقاته على الإطلاق.

- قال يستهلُّ حديثه:

الإخوة والأخوات بجميع ربوع الوطن العربي، السلام عليكم ورحمة الله، بداية أحب أن أرحب معكم بضيوفي الكرام..

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ/ حسن جاد الحق

شيخ الأزهر وأستاذ علم الفقه وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف والباحث بعلم مقارنة الأديان والذي له الكثير من المناظرات المعلنة وباع طويل بها

و نيافة المطران/ يوحنا جرجس

أسقف كنيسة القديس فرنسيس بجبل علي

على الجانب الآخر ضيفي العزيز، المفاجأة، والذي كان قد تواصل معنا وطلب الإعداد لهذه الحلقة كما طلب بذاته لقاء الشيخ/ حسن جاد الحق بشخصه وليس غيره..

السيد/ آريئيل موشيه

مدير مكتب رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي

مرحبًا بضيوفي الأعزاء..

بالبداية أريد أن أستوضح من السيد/ آريئيل / لما يود بتسجيل حلقة كهذه ولما تحديدًا الشيخ حسن؟!

- مبتسمًا أيضًا أجابه آريئيل قائلًا:

لقد كانت الفترة الماضية بأحداثها صدمة للكل، ولا أخفيك أني تعرضت لمواقف هزتني من الداخل وجعلتني أفكر، وبالأصل أنا خريج فلسفة وكنت أشتغل بها قبل أن يتوسط لي والدي -المحارب القديم- لتعييني بالموساد والذي تدرجت به حتى وصلت لمنصبي هذا، ولكني لم أستطع ترك الفلسفة كليًا حتى مع انشغالي وأعبائي الدائمة..

كانت الفلسفة ومازالت أسلوب حياة بالنسبة لي.

لا أطيل عليك بعد ذلك نويت أن أبحث بالأديان وبدأت في إجازة مفتوحة عن العمل انقطعت فيها للقراءة والمطالعة بكل ما يخص الأديان السماوية..

صمت قليلًا وزم شفتيه بتوتر ليتابع:

- وقد هالني ما وجدت..

فكل الأديان فيها من العجب ما لا يستطيع عقل تصديقه..

وخاصة بالإسلام فكمثال تقولون إنَّ نبيكم ركب براقًا وصعد للسماء السابعة!

هل هذا يمكن لعقل استيعابه؟!

- أوقفه بعدها مقدم البرنامج بإشارة من يده وقال:

كل نقطة أرجو الرد عليها بحينها من فضلك حتى لا نتوه بالحديث، تفضل شيخ/ حسن

- عدل الشيخ/ حسن من وضعه وقال متبسمًا:

سيد آريئيل..

كيف نجوتم من فرعون وجنوده وراء نبي الله موسى؟!

- عقد آريئيل حاجبيه وقال ببطء قارب التلعثم:

شق لنا البحر بعصاه

- فتبسم الشيخ/ حسن وقال:

وهل هذا يمكن لعقل استيعابه؟!

- قال بتبرم:

أنا لم أطلب حضورك لأناظرك سيدي، لقد طلبت حضورك لأسمع رأيك في طرحي

- إذن ألق طرحك حتى أفتيك، ولكن اعلم أن الأديان جميعًا بها معجزات لا تعيها العقول كما تحاول فعله..

تمامًا كما الله لم نره، بل تحتوي القلوب هذه المعجزات وتؤمن بها الأفئدة كما نؤمن بوجود الله سبحانه

- أريد أن أفهم منك لماذا هناك تضارب بالأديان، ولما كل شيء متداخل؟!

ولنبتدئ الحكاية من أولها ثم نتدرج بها لتعلموا وجهة نظري..

بكتابنا نجد توصيفًا غريبًا للرب..

رب يندم ويفرح برائحة الشواء، ويرجع بقراراته ويختبر من أنبيائه!!

- نقرأ بسفر اللاويين - الأصحاح ١٧:

وَيَرُشُّ الْكَاهِنُ الدَّمَ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيُوقِدُ الشَّحْمَ لِرَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ.

- ونقرأ بسفر صموئيل الثاني - الأصحاح ٢٤:

وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ».

- ابتسم الشيخ حسن ثم قال:

نعم إن الرب ذاته لم يسلم منكم ومن تأويلكم..

فاسمع هذه ومن كتابكم أيضًا ردًا على ما ذكرت..

حيث ترجع التوراه وتغالط ما فيها فتنفي عن الرب ما قد رمته به..

بسفر العدد - الأصحاح ٢٣:

لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟

- ألم أقل لك إن هناك تضاربًا!

- التضارب فيما هو من عند الإنسان، أما ما من عند الله فلا ريب فيه

- ماذا تقصد بمن عند الإنسان!

- إذن لتسمحني دون مقاطعة..

تنهد وواصل:

- إن توراتكم المحرفة وليست السليمة ما هي إلا عبارات ألقيت على عواهنها، قيلت كيفما اتفق بما فيها من ضلال الخاطر وتأويلات تخدم مصالح فئة وشريحة معينة من الناس، بعد أن أعيد كتابة وتحريف العهد القديم على يد كُتاب متأخرين بعد أن أُحرق عدة مرات وضاعت أصوله أيام (بختنصر وأيام تيتوس)، والتوراة ذاتها تنفي هذه الضلالات والاضمحلال الفكري بما فيها من صفحات مضيئة ذات التفسير المعقول المقبول.

- تساءل مقدم البرنامج وهو يدير الحوار ويوجهه بعد أن سكت الشيخ/ حسن بثانية واحدة:

ما رأي نيافة المطران/ يوحنا في الحديث الدائر؟

- قال المطران/ يوحنا وهو يوجه نظره تجاه الكاميرا دون الالتفات إلى محدثه:

أنا لن أوجه حديثي للسيد آرثيل، ولكني سأوجهه لكل مسيحي العالم الذين يسمعونني الآن..

لا يخفى أن المسيحيين اختلفوا في أمر التوراة، بروتستانت وكاثوليك..

فالكنيسة البروتستانتينية حذفت من التوراة أسفار باروخ وطوبيا ويهوديت والمقابيين الأول والمقابيين الثاني وبعض استير وبعض دانيال..

ولا تعترف بهذه الأجزاء وتقول إنها محسوبة على التوراة..

بينما تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية.

صمت قليلًا من الوقت خانته خلاله عيناه فكادت أن تند منها دمعة فكبتها وواصل:

- يا سادة يا عقلاء كيف نترنم ونردد كتابهم الذي يتطاول علينا..نعم يتطاول علينا..

إن اليهود يقولون إن توراتهم لا تقول بنزول عيسى الناصري!!

إنهم يرونه دجالًا ومدعيًا..

فكيف ترضون له بهذا التوصيف وكيف ترضون لأنفسكم بهذا الهوان؟!!!

هل تتخيلون ذلك وأنتم المسيحيون الموقرون السادة الذين فداهم السيد المسيح؟!

ثم علت نبرة صوته وزادت قسماته حدة وهو يواصل:

- اسمعوا وحكِّموا عقولكم واحكموا.. أيها السادة المسيحيون..

سأضرب لكم مثالًا واحدًا صارخًا من ضمن الكثير بكتابهم مما يستدعى أن لا نؤمن به كمسيحيين..

ما نقرأه في سفر أرميا أصحاح ٣٦ ملخصه:

نجد أن أرميا استدعى شخصًا اسمه باروخ وكلفه أن يكتب تهديدات شديدة أوحاها الله إليه ليقرأها على الشعب وعلى الملك يواقيم ملك يهوذا..

فقرأها على الشعب وأخذها بعضهم ليقرأها على الملك، فلما سمع بعضًا منها أخذها وألقاها في النار التي كان يستدفئ بها فأحرقها فغضب الله غضبًا شديدًا وقال إنه لا يكون من نسله أحد يجلس على كرسي داوود..

ثم تبسم بجانب فمه متهكمًا وواصل:

- وعيسى من نسل داود!!

فما رأيكم أيها المسيحيون الأفاضل، وأنتم تقرأون في لوقا الإصحاح الأول أن جبريل بشَّرِ مريم بأن الرب سيعطي عيسى كرسي داود بنص

العبارة:

«وَيُعْطِيهُ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ»

فكيف يصدق أهل الإنجيل ما تقوله التوراة وهي تكذب إنجيلهم!!!!!

أرأيتم..

ثم وجه حديثه لآريئيل محتدًا عليه فقال:

- ثم ترجع وتقول تضارب بالأديان؟!

سل أشهر حكمائكم لتعلم أنكم على الضلال المبين..

ألم يقل (أوسكار ليفي) الطبيب الكاتب تلميذ (نيتشه) الفيلسوف الألماني بلسانه: «نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه»!!

ألم يقل (بن جوريون) مؤسس دولتكم: «إن الدين وسيلة مواصلات فقط وأن الجيش هو خير مفسر للتوراة»

ما التضارب يا هذا إلا عندكم بأوراقكم وكتبكم المغلوطة (الكابالا والمشناه)، وتلمودكم الذي من تعاليمه ويا للسخرية: «الخطيئة المستورة مغفورة»!! فهل هذا يُعقل يا هذا؟!!!

- تدخل مقدم البرنامج في محاولة للسيطرة على الوضع الذي شعر أنه سيفلت منه فقال مديرًا دفة الحديث:

شيخ حسن أشعر أني قطعت حديثك وعندك ما تضيفه..تفضل سيدي..

- نعم، حقيقة إن كتابهم لم يتطاول على الله فقط بل على الأنبياء أيضًا بصورة تدعو للتعجب.. ومن من الأنبياء!!

إنه يتطاول على الأنبياء الأُولِ العظام الذين بنوا صرح الدولة اليهودية ذاتها بصورة تجعلنا نستشعر الجحود!!!

...فهذا نوح..
يسكر حتى يفقد وعيه

...و لوط..
يضاجع بناته وهو سكران

...يعقوب..
ثم واصل وهو يشيح بيديه من فرط تعجبه:
يعقوب..ومن هو يعقوب..
أبو الأنبياء الذي انحدرت من صلبه الأسباط الاثناعشر:
(رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ودانا ونفتالى وجادا وأشير ويشاكر وزويولون ويوسف وبنيامين)..
ومن سبط لاوى جاء موسى، ومن سبط يهوذا جاء كل اليهود وباقى أنبيائهم..ولهذا ويطلق على يعقوب اسم (إسرائيل)..
فهو إذن نبي عظيم لبني إسرائيل لا ككل الأنبياء ومع ذلك تصوره لنا التوراه مخادعًا غشاشًا يسرق النبوة من أخيه والبركة والأغنام والمواشي

...يهوذا..

يزني بامرأة ابنه

...داوود..

لا يضبط شهوته حين يرى امرأة عارية تستحم فوق السطح ويشتهيها لنفسه رغم أنها زوجة الضابط أوريا فيزني بها وتحبل منه (وتلد له النبي سليمان) ويرسل زوجها للقتال ليتخلص منه!!

أمسك عن الكلام للحظة بعدها وهو ينظر بعيونهم وعلى وجهه تبين علامات الانكار وواصل:

- زنى وختل وتآمر وغدر في سبيل متعة عابرة مع امرأة!! أية خيانة هذه؟! وممن تتأتى!! من نبي!!

أما بيت داوود النبي العظيم فهو أشبه ببيت مشبوه..

فالابن يضاجع زوجات أبيه بوضح النهار وأمام جميع إسرائيل!! والأخ يغتصب الأخت!!!

...وسليمان..

«الذين قالوا عنه أنه ابن الزنا»

يختم حياته المجيدة الحافلة بعبادة الأصنام

... شاول النبي

يستعين بتحضير الجن حينما يتأخر عنه الوحي الإلهي، بل ويموت منتحرًا فيكون بذلك أول نبي ينتحر!!

لو أن قسًا أو شيخًا انتحر لقامت الدنيا ولم تقعد، كيف لرجل دين أن ينتحر؟!، أما بكتابهم..فنبي ينتحر!

...وهارون..

يصنع العجل الذهب ويعبده

...حتى موسى نبيهم صاحب توراتهم الذي نزلت عليه من السماء!!

تقول التوراه إنه خان ربه ولم يقدسه، لهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت في سيناء هو وهارون.

- قال مقدم البرنامج وهو يبتسم ابتسامة سخرية خفيفة نجح بمداراتها: ما رأيك بما سمعت سيد/ آريئيل؟

- وكأنه حط على رأسه الطير لم يرد وإنما نظر إليه بوجوم ثم قال بصوت خافت يشوبه انكسار:

جئتكم متحيرًا فما ازدتموني إلا حيرة!

أعتقد أني سألحد!!!

*****

يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

*****

ذُهل محمود حين رأى السيارات على طريق شرم الشيخ تمر بجواره، لم يكد يصدق أن الطاقة قد عادت بشتى أشكالها هكذا بعد أن شَرَقت الشمس من مشرقها ثانيةً.

كانوا ركبوا مع سائق نقل صادفهم على الطريق الإسفلتي أوصلهم لـ(أبورديس) وجهتهم، حيث تراءى لمحمود أن يمر بقريبه القاطن بها حتى وإن كان يستطيع تخطيها رأسًا إلى شرم الشيخ الآن، إلا أنه فضل أن يزود نفسه ببعض المؤن والأموال يستمدها من قريبه، إلى جانب وسيلة خاصة للتنقل غير هذا السائق الثرثار الذي على ما يبدو كان يعمل حلاَّقًا من قبل حيث أنه لم يتوقف عن الكلام منذ أن ركب بجواره.

لم يكن حال عبدالله بالصندوق الخلفي للسيارة النقل بأحسن من حال محمود بالكابينة الأمامية، فمنذ أن جلس مقابلًا لخالد وهو يشعر ويرى ببؤرته العمياء أن الأخير يحدقه بوجهه، ثم ما تلبث عيناه أن تومضان ومضة خفيفة فيلتفت إليه مسرعًا، إلا أنه كان يتعجب حين ينظر إليه فيجد أنه لا يعره اهتمامًا على الإطلاق!!

أكثر من عشر مرات يتكرر الوهم حتى أنه مل من نفسه، كان الظلام بها

وزاد الطين بلة أن الصندوق الخلفي للسيارة كان ذا غطاء زاده عتمةً، فأوعز تخيلاته إلى الظلمة وألاعيبها وإلى عقله المنهك التعب الذي لم يعد يفرق بين الحقيقة والخيال في الأحداث المتعاقبة سريعة الوتيرة.

إلا أن يومه أصر أن لا يمضي في سلام وأن يُربكه فوق ربكته رَبْكات.

بعد الاستقبال الحافل الذي استقبلهم به قريب محمود وبعد العشاء العامر والحديث المستطرد المستفيض عن الفترة الأخيرة وأحداثها وبعد كوبين من الشاى البدوى بالمرمرية ذي النكهة المتفردة الذي كان يعشقه محمود عشقًا.

كان الليل جن وشارف على الانتصاف وكانت الأجساد نقصت طاقاتها حتى كادت تخبو وتنفد وصارت تهفو إلى الرقاد، فدعاهم قريب محمود فعَرَفَ كل مجموعة بغرفتها حيث كان نصيب فاطمة في المبيت مع ابنة الرجل بغرفة الأخيرة، بينما محمود وزوجته تشاركا غرفة معيشة أخرى، أما عبدالله فقد كان نصيبه مع خالد خارج المنزل بغرفة وحيدة بالحديقة الصغيرة حيث أن المنزل كان مكونًا من طابق واحد ذي ثلاث غرف ولم يكن لهم مكان بداخله، إلا أن الغرفة كانت على عكس ما توقع عبدالله..

فقد كان يتوقعها متسخة مليئة بالأتربة وغير صالحة للعيش الآدمي فوجدها نظيفة مرتبة، بسيطة الأثاث لكن تفي بالغرض ذات أغطية مناسبة تقيه برد الليل، كانت مقفرة كئيبة بعض الشيء ذات إضاءة خافتة تُلهب وتلهم أيّ خيال وتثريه خاصة إذا كان خيالًا منهكًا مريضًا كخياله وهو

مازاد قبضة صدره، فمذ أن سمع أن حظه في المبيت ساقه للمحبس بغرفة واحدة مع هذا الخالد الملبوس اعتلاه القلق وركبه الكدر ركوبًا.

- قال محمود بقلق وهو يغلق باب غرفته عليه وعلى نجوى وقد بانت على وجهه امارات عدم الراحة والتوتر:

لا أرتاح لمبيت خالد مع هذا الغريب

- نظرت له نجوى بتعجب وقد اتسعت عيناها ذهولًا وقالت بإشفاق بادٍ وهي تلكز رأسه بأصابع يدها:

أما تترك فرصة لهذا العقل أن يستريح!!

يا رجل ولدك صغير!، أم هذا الغريب تحسبه ماردًا؟!

هذا الغريب يعاشرنا الآن من فترة لا بأس منها ولم نر منه ما يسوءنا، على العكس أراه حنونًا طيب القلب يهتم لابنتك ويحاول كسب ودك أنت وولدك رغم ما يلقاه منكم من سماجة وفتور

- أراكِ ترمين إلى شيء ما، ابنتك مازالت صغيرة يا امرأة!

- اضطربت ملامحها لثانية ثم ما لبثت أن أردفت وهي تحاول السيطرة على قسمات وجهها:

ابنتي أصبحت عروسًا يطرب لها قلب الشباب وتنعم برؤياها ورؤيا جمالها الأنظار، أم أنك أصبحت ضعيف الإبصار!

سكتت هنيهة كأنها لترى وقع كلامها عليه، واصلت بعد أن ركزت عينيها بعينيه وكأنها تتحداه:

- نعم أراه عريسًا جيدًا لابنتى، فهل هذا عيب أم حرام؟!

- تعجب لحديثها وقال وقد انعقد حاجباه:

يا لهذا الخرف، أمعقول تزوجينها من شخص لا ندري حتى اسمه الحقيقي، بل ولا نعرف أصله وفصله ونسبه ولا حتى ماذا يعمل؟!

حتمًا قد جننتِ.

- أشاحت بوجهها عنه وقالت بصوت منكسر:

جننت، شكرًا لذوقك.. فلننم ولنمض ليلتنا في سلام إذا سمحت

لم ينبسا بنت شفه واتجهت إلى مرقدها فتبعها وتدثرا بالأغطية وأعطى كل منهما ظهره للآخر، فتبعهما عقلاهما فقد أعطى كل عقل ظهره للآخر وانطلق يفكر بوادٍ بعيد مغاير عن وادي الآخر..

فقد انشغل عقلها بالتفكير بابنتها ومستقبلها الحالك وحظها العثر إن حضرت بهذا الزمان العجيب، أما عقله فقد انطلق في التفكير في ولده وظروفه وغرابة أطواره وما قد يحدث في هذه الليلة الحالكة بينه وبين الغريب الذي يرى شيطان ولده، وهل هذا دلالته أنه سيعاونه على شره أم ماذا!!!

كان خالد أسلم نفسه للنوم من فوره، وكأنه أعد النوم سلفًا.

بينما عبدالله ظل يتأمل ملامح غرفته التي لم يرتح إليها رغم محاولاته أن يألفها، لم يفهم أبدًا لم يحنط أحدهم تمساحًا أو رأس غزال ليضعه على الحائط أو ثعبانًا قائمًا متأهبًا كأنما لينفث سمه ليضعه على رف خشبي؟!!

لم يستوعب الغرض من هكذا نوع من الطقوس!

أهو نوع من الزينة والديكور!؟

كان يراه دربًا من الخبال فكيف يراه آخر كنوع من التجميل!

كان يتفكر بمومياوات الحيوانات الماثلة أمامه أهي حقيقية وتم تحنيطها أم بمجرد ألعاب صناعية؟!

كم تمنى من كل قلبه أن تكون صناعية.

كان ما يزال غارقًا بشتات فكره حين استرعى انتباهه آخر على الحائط المقابل لمخدعه، شعر أن هناك ما يتحرك أمامه، نظر بحدة تجاه ما حسب أنه حركة فوجد سجادة قاتمة اللون بحجم سجادة الصلاة الكبيرة أو تزيد قليلًا معلقة بعرض الحائط كنوع آخر من الزينة، كان مرسوم عليها منظرًا للكعبة المشرفة لفت انتباهه فيها منظر السماء فوق الكعبة التي تبينها بوضوح رغم خفوت الضوء..

سماء حمراء اللون أضفت على المنظر كله روحًا مبهمة لم يفهم كنهها ولكنه شعر أنها مسته..

وبكأنه اليوم الآخر أو شيء من هذا القبيل، ظل يحدق بها وهو شارد ببحر خواطره حين شعر أن شيئًا ما يطير داخل هذه السماء الحمراء..

في البداية تخيل أنها ذبابة وتعجب لمقدرة بصره، ثم بعد ذلك بدا له أن حجمها كبر حتى أصبح بحجم نحلة، الغريب أن الذي يطير كان يكرر نفس المشهد كأنه كادر سينمائي يعاد، وكأنه يأتي من بعيد عن الكعبة ويقترب منها وإذ فجأة كأنه يصطدم بشيء غير مرئي بهذه السماء فيصده عن الكعبة فيطيح به بعيدًا عنها ليصغر حجمه ثانية أمام ناظريه ليعاود نفس الكرة مرارًا وتكرارًا، لم يشعر عبدالله بالخوف قدر ما شعر بالغرابة، فنفض عنه غطاءه وقام ليتبين ماهية ذلك الطير العنيد، إلا أنه حين اقترب كفاية لم يجد شيئًا فحسبها خيالات ضخَّمها ذهنه المنهك، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم واستقبل القبلة كيفما وضحها له قريب محمود وصلى ركعتين بنية الفرج وكان على وضوئه، ثم رجع إلى سريره وتدثر بالغطاء حتى أنه غطى رأسه، وحاول الدخول بالنوم ونسيان كل ما تراءى له وأجبر عقله على تناسي كل ذلك بما فيه رفيق الغرفة وكل ما يتعلق به ولو لبرهة يريح فيها عقله المنهك حتى يصبح.

*****

ما إن تخطى حيدر على رئيس الوزراء العراقي

خارج باب سيارته التي تقله لمطار القاهرة عائدًا للعاصمة بغداد، حتى وجد سيارتين سوداوين تقطعان عليه الطريق لطائرته الخاصة الرابضة أمام عينيه مباشرة، نزل من السيارتين أربعة رجال ذوات حُلَلٍ وأربطة عنق ونظارات سود، توجهوا إليه رأسًا وسط ذهوله وتعجبه.

- قال وهو ينقل عينيه بينهم بتعجب:

ماذا هنالك؟!

- سيدي حيدر علي ..

أنت مطلوب القبض عليك

- ماذا؟!! أجننت، أنا رئيس الوزراء العراقي، كيف؟!

ثم بأية تهمة؟!

- تهمة الخيانة العظمى والتخابر والتنظيم والتخطيط لأعمال ارهابية

- قال بجانب فمه:

أعمال ارهابية، بمن تأتمرون ..جهة عراقية؟

- كلا يا سيدي، جهة سيادية مصرية

- طأطأ رأسه أرضًا للحظة ثم رفعها وقال:

وإن كان، ليس من حقكم، أين القوانين الدبلوماسية!

سوف أصعِّد الأمر ولن أسكت، هذا انتهاك بيِّن للدبلوماسية، هذا..

- قاطعه قائلًا:

سيدى رئيس الوزراء، أنا مجرد منفذ للأوامر فقط وليس أكثر، تفضل معنا إذا سمحت ..تفضل

وبعكس المتوقع ندت عنه ابتسامة بعد صمت وهو ينظر لوجه محدثه وقال بتشف مبهم لم يحاول مواراته:

على أية حال لقد انتهى دوري هنا!

ثم توجه معهم دون أن يضيف حرفًا أو يحرك ساكنًا.

*****

مباشرة بعد أن رجع آريئيل موشيه لتل أبيب توجه لبيته وأمر زوجته بمغادرة إسرائيل على الفور والذهاب إلى أختها بألمانيا..

- ولكن لما لا تأتي معنا؟!

- يجب أن تتفهمي موقفي، هذه قضية حياتي التي زُرعت فيها زرعًا.. لا أستطيع المبارحة الآن حتى أرى بأم عيني النهاية بمكانها الموعود

- هل أصبحت وبشكل نهائي تشكك بدياناتنا؟!

- كلا، أنا مازلت يهوديًا كما أنا، ولكن الاضطلاع والمقارنة قد أربكوني لا أكثر..

وقد زاد الشيخ القس حيرتي وريبتي..

لقد وضعت نفسي مكان المسلمين وحاولت التفكر بعقليتهم..

كنت بالبداية متيقنًا من عودتي من هذه الرحلة الذهنية بسلام، إلا أنني..

طال صمته فأكملتُ:

إلا أنك لم تعد من رحلتك كما كنت..

- ......، أنا..أنا..

- لا عليك يا آريئيل، أنا أتفهم جيدًا، لا تقلقي، فأنا أعلم أن لذوي العقول المفكرة أمثالك شطحات، سوف أغادر تل أبيب أنا والأطفال كما أمرت، ولكم أتمنى أن تعود من رحلتك الفكرية سريعًا..

وأعلم أني أتمنى السراب ولكن ليس بيدي حيلة! ولكن دلني ماذا ستفعل هنا وبمفردك، ولمَ تريدنا أن نسافر وبهذه السرعة؟!

- سوف أعزل نفسي بصومعتي حتى أصل لليقين، أما سفركم فأصبح ضرورة فلا أضمن ما سيحدث بعد إذاعة الحلقة..

- ولما سجلت هذه الحلقة من الأساس؟!

- كنت أضمن أني سأفوز بهذا السجال أو على أقل تقدير أربكهم ولكن والحق يقال قد زادوني فوق تساؤلاتي وشكي جبالًا من الشك وألجموا لساني كما لو كنت أبكم!

- ولكني قلقة عليك بعد ما قلت

- لا تخشي شيئًا، فلن أخرج من الصومعة نهائيًا وأنتِ تعلمين أنها كقبر ومكانها لا يعلمه أحد سواك وعمي يهوشع، وسوف يقوم العم يهوشع بإحضار المؤن لي بصفة دورية..
فلا تخشي شيئًا علي..
صدقًا.. لا تخشي علي إلا من عقلي.

*****



ويلٌ للأمةِ الخاطئةِ، الشعبِ الثقيلِ الإثمِ، نسلِ فاعلي الشرِّ، أولادٍ مفسدينَ! تركوا الربَّ، استهانوا بقدوسِ إسرائيلَ، ارتدوا إلى وراءٍ

(سفر إشعياء - الأصحاح ١ / ٢- العهد القديم)

بالجلسة المنغلقة المنعقدة بالكونجرس الأمريكي بناءًا على طلب وزير الدفاع بيتر تووم، فجر الأخير قنبلة مدوية بحديثه الذي أثار حفيظة الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ، وصار حديث الأيام التالية بجميع المنتديات السياسية عالية المقام، فالبعض وهم قلة اعتبروا الرجل أعقل رجل على وجه البسيطة والأصدق أيضًا..

وَعَدّوهُ نذيرًا من الرب ورسول هداية لتعديل المسار، أما البقية وهم الأكثرية فاعتبروه رجلًا خفَّ عقله أو أصابه الخبال وطالبوا بإقالته.

قبل دخول بيتر للقاعة كان يعلم أن الخطاب من الوارد جدًا أن يكون خطابه الأخير، بل وطّنَ نفسه وهيأها لتقبل الأمر دون جزع.

وفور أن دلف إلى داخل القاعة شعر أن قدميه ترتعشان قليلًا وقد تسرب إلى قلبه الخوف، إلا أن عزيمته التي لا تلين ورؤيته التي شكلت فكره الجديد أرغمانه على المواصلة..

- ابتدأ حديثه بعد أن حيّا الجميع بأن قال:

السيدات والسادة الحضور..

جلسة اليوم تنعقد لمناقشة أمر هام وحيوي..

فالرئيس يريد أن نهاجم منطقة الشرق الأوسط بهجمة شرسة من سلاح الكيمتريل، وأنا لا أمانع في أية خطوة تكن فيها مصلحة بلادنا، ولكن..

ثم ذكر أمامهم محتوى ما دار بينه وبين الرئيس الأمريكي من قبل من تخوفاته باللعب بالطبيعة الأم وذكرهم بما قاله (دينيس كوسينيتش) وهو يقف نفس وقفته اليوم أمام الكونجرس في العام ٢٠٠١ عن الكيمتريل، ثم اتجه بحديثه تجاه العاصفة الشمسية المرتقبة التي تحدثت عنها (ناسا وسولار ماكس)، وكيف أنها ستُفني الطاقة من جديد، وأن فناء الطاقة الغابر ما كان إلا نذيرًا من الرب للعظة، والشمس التي شرقت من مغربها، ثم حدثهم عن مخاوفه من سقوط أمتهم ونهايتها التي يرى حسب مزاعمه ورؤيته للتاريخ أنها أصبحت وشيكة.

وبعد أن أنهى حديثه، طلب منهم إجراء استفتاء فوري على هجمة سلاح الكيمتريل المطلوب تفعيلها بالقريب العاجل، وقد كانت نتيجة الاستفتاء مخيبة لآماله.

شعر بالحزن والأسى بعد النتيجة، ونظر تجاه الأرض تحت قدميه وهو يتحسس النياشين التي تعلو بزته العسكرية وهو يفكر أنه بما سيقوله على وشك المقامرة بتاريخه ومستقبله بآن واحد.

وللحظة تفكر أن يرجع عن إلقاء خطبته المزعومة، إلا أن رغبته كانت أقوى منه تمامًا كمن يقدم على فعل خطيئة وهو لا يخفى عليه أنها خطيئة إلا أن الشيطان يغلبه، شعر أن ملاكًا هذه المرة يغلبه ويجبره على اتباع خطوات علم أن آخرها نهايته إلا أنه لم يستطع المقاومة مسلوب الإرادة حيث علم من داخله أن هذه النهاية ستكون مرضاة للرب أيًا تكن.

- رفع رأسه وطلب الهدوء من الحضور ثم قال بصوت عالٍ:

لا أعلم لما الانسياق الأعمى وراء تابوهات صنعناها ولا نبغي عنها حولًا؟!!!

منذ نعومة أظفاري وأنا أذهب للكنيسة بانتظام داومت عليها حتى يومنا هذا، لا أدّعي تدينًا ولا أدّعي الرهبنة، ولكني أعلم أن الرب طريقه سهل يسير وأنَّ سبيله واحدٌ وإن اختلفت الديانات والطرائق والسُّبل، وأن العقل الذي خُلقنا به لا بد أن نُعمله ونتفكر به في حياتنا وفي خلقنا وفي الشواهد التي بعثها الله لنا..

والأكثر ضرورة أن نتفكر به في نصوصنا..كتبنا السماوية..

رسالات الله لنا من فوق السماوات..

حتى نتعلم ونفهم بعقولنا ونصدق فنحب بقلوبنا ونبتغي ونتجه لطريقه دونما إجبار..دونما تابوهات نسير عليها دون حب..

دونما إكليشيهات تُحفظ دون فهم..

لنصبح كالآلات نطوي الأيام نعتقد أننا نسير في الدرب الصحيح نحو خالقنا..

ولكن هيهات أن يصح الطريق دون عقل يتلمس الحقيقة يصاحبه قلب يستشعر لذة التفاني في سلكنا درب الإله الذي نبتغي عفوه يوم نقف بين يديه.

أخرج منديلًا ورقيًا من جيبه، مسح عن جبهته عرقًا قد تصبب، وشعر

بخفقات قلبه تزداد دونما وتيرة محددة وأردف وهو يشعر بثقل ما سيُلقي على مسامعهم:

- لقد كان الألماني مارتن لوثر martin luder (أستاذ اللاهوت، ومُطلق عصر الاصلاح البروتستانتي في أوروبا) ذكيًا متقدمًا في علمه وفكره حينما قال»لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا في شيء ما«..

وفور أن أنهى جملته الأخيرة ضج الحضور بصخب عارم وهمهمات ورأى بعيونهم حنقًا ينصب على شخصه، إلا أنه طالبهم بالتزام الهدوء حتى ينتهي مما يريد قوله ويوضح وجهة نظره

- قال بعد أن استطاع إسكاتهم:

لقد خرج لوثر من مأزق التوراة ومزالقها بقوله هذا..

وأنا لا ألوم عليه بل على العكس أؤيده بكل جوارحي

أيها السادة..

إن كل ما أناقشكم به بالدليل فأرجو أن تتسع صدوركم لي..

كيف لنا أن نلغي عقولنا ونسير خلف اليهود ونعتبرهم حلفاءنا ونتبع أهواءهم وكتابهم بل ونؤمن به وهو يحمل لنا بين طياته الكراهية والبغضاء..؟؟

نعم ولمن لا يصدقني فليشاهد حلقة السيد/ آريئيل موشيه / مدير مكتب

السيد حاييم اشمعون رئيس جهاز الموساد في التلفزيون العربي الإماراتي..
فيها الكثير من الدلالات والمعلومات الغائبة عن أذهاننا سواء التي صدرت عن الأسقف أو حتى عن الشيخ.
أنا وكما قلت آنفًا لا أدّعي رهبنة كذلك ولا أدّعي علمًا، ولكني أفضي إليكم بمكنون صدري وبما يؤرقني ويزعجني، وأقولها صراحة إني لن أخالف ضميري أكثر من هذا، ولئن ظهرت بالإعلام لأرددنَّ ذات الكلام..
(اليهود أضلونا)..

ثم تنهد وهو يشعر أنه أزاح جبلًا من على صدره بعد كلمته الأخيرة وواصل بثقة:
- ختامًا أرجو منكم كما دعوتكم ببداية حديثى أن تُعملوا عقولكم..
فنحن وأؤكد لكم ذلك بنهاية الزمان ولا وقت للغطرسة ولا للمكائد والمخططات الانتهازية ولا للجري وراء كتابات محرفة مشوهة تضحد بعضها بعضًا ولا كيان أناني سوف يجرنا معه لأسفل درك بالجحيم.
واعذروني للإطالة..
شكرًا

قال كلمته الأخيرة ونزل فورًا عن المنصة وتوجه خارجًا من القاعة وسط صخب سمعه يزداد علوًا من خلفه..

وبينما يخطو خارج بوابة القاعة سمع من يناديه من خلفه فتوقف والتفت له، ليجد أحد أعضاء المجلس من الذين كان يحاضرهم بالتو.

- صافحه باليد وقال:
سيدي الوزير، أرجو شكرك على خطبتك اللامعة الجامعة..
أعرفك بنفسي أنا السيناتور (جيم بينيت)

ثم وضع يده بجيب سترته وأخرج كارتًا شخصيًا قام بإعطائه إياه وهو يتلفت وقال بعجالة:
- اليوم، الثامنة مساءًا، أنتظرك بهذا العنوان، لا تعتذر ولا تؤجل..
ولا تحضر بهيئتك الرسمية بل أرجوك أن تأتي متنكرًا، فالعيون كثيرة.. الأمر جد خطير والوقت ضيق.. ولمصلحتك

تركه واستدار عائدًا إلى داخل القاعة تاركًا إياه حائرًا وسط سيل متدفق من التساؤلات.

*****

اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ.

(سفر إشعياء - الأصحاح ١: ٢/ ٤ - العهد القديم)

*****

خبر بالصفحة الأولى بجميع الجرائد العربية والعالمية:

- سيول وأعاصير تعصف بمنطقة الشرق الأوسط عدا إسرائيل.
- فك الحصار الغربي عن السواحل الإسرائيلية وإسرائيل تستعيد السيطرة على كافة موانئها.
- الجيش العربي الموحد المرابض بالجهة الشرقية يتكبد الكثير من الخسائر وأنباء عن تراجعه.
- إسرائيل تُصرّح: هذه عدالة السماء وإرادة الرب.

*****

لم تؤثر السيول والرياح العاتية بروح وهمة الجيش العراقي الزاحف تجاه بغداد لتلقين الخونة درس حياتهم، كان طريقهم بلا معارك مع اية قوات تُذكر، وكأن الخونة قتلوا البغدادي لمجرد قتله وليس لحكم البلاد والسيطرة على جميع منافذها وأبوابها، فلا تحصينات على أبواب المدن ولا إدارات جديدة تابعة لهم، وكأن البلاد تدور بالقصور الذاتي لإدارة الرئيس الأسبق دون تغيير بقيادات جديدة تابعة للانقلاب، وما إن اقتربت القوات من العاصمة بغداد حتى تناهى إلى مسامعهم وعرفوا أن الانقلاب جمع كل القوات الباقية بالبلاد بالعاصمة للدفاع عن نظامهم فور علمهم بتحرك يزن والعودة أدراجه للداخل العراقي.

- كاد السامرائي يجن وهو يستمع لمساعده عن تقدم يزن تجاه العاصمة وقال بأعصاب منفلتة:

هؤلاء الملاعين، يأمرونا بجمع القوات كلها داخل بغداد ويعدونا

بالتدخل والدفاع عنا وحتى الآن لم يحركوا ساكنًا، لا أدري ماذا ينتظرون؟!

أينتظرون أن يُعلِّق هذا اليزن لعنه (الله) رأسى على بوابة كما أمرونى أن أفعل بابن عمه!!

- هدئ من روعك يا سيدي، حتمًا إنهم يضعون خططهم القوية المدروسة

- خطط مدروسة!! وأين التخطيط في ذلك!!
لقد أصبح على بعد مئات الكيلومترات..

وبحركة غريزية تحسس عنقه بأصابعه وواصل:
- إنها رأسي التي على المحك الآن .. رأسي.. ألا تبًا لهم ولخططهم، ليس أمامنا غير الانتظار، ولنأمل أن يكون شيطانهم على قدر الذكاء الذي نتوقعه..وإلا فالويل لنا.

ثم واصل حديثه بتجهم وذهن شارد وعيناه تحدقان باللاشيء وهو ما يزال يتحسس رقبته وقد خبا صوته وكأنه يحادث نفسه:
- كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

*****



أمجرد حلم؟!

- ولكني لا أحتمل هكذا مسؤولية!!

إني عبد عادي لم أوت قدرات تؤهلني لذلك، ثم إن له قدرات لم أرَها إلى لبشر، فكيف بي وأنا ضعيف سقيم؟!

- قال العجوز الجالس على الصخرة متكئًا على عصاه:

اذهب بالسبيل الذي أمامك فهناك من سيرشدك

- ماذا تعني؟!

- اذهب ولا تسل فستأتيك الإجابة

استدار يمشي بالدرب أمامه لا يعلم أين ستذهب به المسالك، طريق ضبابي لا يكاد يرى يديه، وأناس جالسة على جانبي الطريق يلبسون الأبيض والعمامات الخضراء على رؤوسهم، تداخلت همهماتهم مع الضباب لتربك جهازه الحسي فأصبح لا يدري لها معنى، حتى تراءى له من بعيد بناء بدا يستوضحه كمسجد كبير، فهرول حتى كاد يصله، ليسمع صوتًا أتاه عليًا برأسه يقول:

(قف على الأعتاب أنت بحضرة الروضة الشريفة فلا تخف من السقم)

التفت خلفه ليرى محدثه فلم يجد إلا الضباب، فرجع يمشي حتى وصل إلى عتبة المسجد، فوقف لينظر داخله ليجد شبابيك هائلة الحجم من الزجاج الملون، تعلوها شراعات نصف دائرية من الفسيفساء الزجاجية يدخل من خلالها ضوء الشمس ليغمر المكان بألوان بهيجة في جو مفرح لا علاقة له بالجو المقبض الذي يفرضه الضباب الخارجي، ثم كان أن ارتفعت به العتبة الواقف عليها عاليًا حتى كاد يلامس السماء وهو يتبسم في سرور غير مفزوع، ثم ما كادت أن رجعت موضعها الأول، فنظر ثانية نظرة متمحصة أكثر لداخل المسجد فوجد فوق النوافذ الهائلة ما سمعه قبل قليل مكتوبًا هذه المرة بحروف هائلة الحجم في زخرف لم ير لها مثيلًا في الجمال والحجم:

(قف على الأعتاب أنت بحضرة الروضة الشريفة فلا تخف من السقم)

وكان أن نظر بعدها لوسط المسجد ليرى مقامًا بالداخل تعلوه عمامة خضراء اللون، تمامًا كالتى كان يلبسها الجالسون على جانبى الطريق، لم يدر لمن المقام ولكنه شعر بأريحية لمجرد النظر إليه، فخلع نعليه ودلف إلى داخل المسجد، ليسمع الأذان آتيًا من لا مكان فينشرح صدره أكثر وتنجلى روحه وتهيم..

الله أكبر..الله أكبر

ثم تقدم للصلاة بأول صف وسط المصلين الذين ظهروا فجأة من العدم،

وما إن كبر تكبيرة الإحرام حتى صاح أحد المصلين من الخلف:

الله أكبر..

وجه النبي محمد ﷺ سيظهر على وجه الإمام الآن!

فكان أن ترك صلاته وتقدم لينظر وجه الإمام..

فما رأى إلا لحية عظيمة من الخلف، وحين مد بصره لينظر الوجه ما رأى إلا نورًا أبهر ناظريه.

وفجأة استيقظ عبدالله من نومه وهو غارق بعرقه الذي تفصد من كل جسده كأنه محموم لكن دون حرارة.

-قال يحادث نفسه متعجبًا في شرود:

ما هذا؟!

أرؤيا هذه أم ماذا؟!

هذا لم يكن بالحلم العادي، لقد رأيت النبي ﷺ!

الحمدلله الحمدلله..

جلس يحمد الله كثيرًا، وقام من مرقده وانتعل نعليه وهو يُمحص شريك غرفته ليجده كالأموات يغط بنوم عميق، فتوجه خارج الغرفة لحديقة المنزل، ثم كان أن تذكر شيئًا بمنامه فنظر للسماء كأنه يناجيها وقد بدأت نسمة عليلة باردة تداعب وجهه فتسمو بروحه لتُضفي عليه شعورًا بالرِّضا ضرب كل

جنباته فتفشى داخله فقال وهو يتبسم بأريحية مغمضًا عينيه مستشعرًا لذة لا متناهيه:

- قف على الأعتاب أنت بحضرة الروضة الشريفة فلا تخف من السقم!

*****



﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(فصلت: ٥٣)

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك..

لا شريك لك..

اقترب موعد الحج..

وكعادته كل عام بهذا الموعد يؤدى خادم الحرمين الشريفين مناسك العمرة، وهذه المرة تحديدًا اختار أن تكون عمرته دون حرسٍ يُذكر فقط مساعده الذي كان يعينه على الحركة، كان يريد أن لا يكون بينه وبين ربه اي حُجُب، حتى أن الناس كانت تلتفت إليه دونما صخب حفظًا لحرمة البيت فيحييهم بإيماءة وجلة منه، ورغم أن كثيرًا من الناس يرجح كون طلوع الشمس من مغربها مجرد ظاهرة ليس إلا، إلا أنه كان يشعر بداخله بشعور مغاير، وكان يرجو من ربه أن يكون قد كُتب من المقبولين، دعا وحكى واستغفر وشكى وبكى وتضرع وناجى ربه كثيرًا وترجى رحمته في أيام صعاب.

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك

لا شريك لك..

وبينما هو بمقام إبراهيم (عليه السلام) سابحًا ببحر دعواته ورجاءاته ..

استرعى انتباهه ضوضاء وتنبه إلى هرج ومرج صاخبين، تلفت حوله فوجد الناس يهرولون متصارعين كأن سباع الدنيا تلاحقهم، أجسادًا تكومت فوق أجساد بفعل التزاحم، صراخ وهياج وصياح بكل جانب، عمت الفوضى كل ركن وفُقد استرسال المحتمرين السلس المتناغم.

- وبينما هو وسط ذهوله أتاه صوت مساعده عن يمينه صارخًا قائلًا: مولاي.. انظر ناحية باب السلام

وأشار بيده تجاه الباب المقابل لمقام إبراهيم..

فأدار الملك رأسه ليرى بأم عينه ما لا يتخيله عقل ولا يرد على بال عتاة الخيال مهما كان خيالهم جامحًا..

ضخمة مهيبة..!

لطلعتها هيبة ولشموخها وقار..

ولنظرتها رهبة ولشكلها رعبًا مبثوث بالقلوب بثًا..

وكأنها خُلقت لذلك، وكأنها لذلك خُلقت.

ورغم الفوضى التي كانت منذ لحظة واحدة فقد خلًا الناس بينها وبينه من باب السلام وحتى مقام إبراهيم، ورغم الضوضاء الصاخبة التي كانت ملء أسماعه من هفوة للوراء فقد ساد هدوء تام أذنيه وكأنه صُمَ فجأة.

رأس ثور وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد وقوائم بعير، بين كل مفصلين

اثنا عشر ذراعًا، رأسها في السماء عالية وكأنها برج مشيد، بيدها اليمنى عصا ويدها اليسرى خاتم.

ظلت تنظر إليه وينظر إليها، حتى بدأت في الاقتراب منه.

- صاح مساعده برعب وهول:
مولاى هيا بنا..
فلنهرب يا مولاي فما زالت الفرصة سانحة
مولاي.. مولااااي..

لم يعره مولاه اهتمامًا وكأنه بدنيا غير الدنيا، جُل ما كان يفعله هو النظر إليها وإمعان النظر أكثر وأكثر، فما كان من مساعده إلا أن أدبر مولاه وأطلق ساقيه للريح.

بينما ظل الملك ينظر إليها وهي تقترب منه وتُطأطئ برأسها المهول ناحية رأسه، وللحظة هزته غريزته هزة عنيفة، لم يدر فيها يفكر وماذا يفعل للحظة شعر بأنه يريد أن يبكي ولحظة شعر أنه يريد الفرار ولكن هاتفًا أتاه من داخله أن:
(إثبت يا عبدالله..إثبت يا عبدالله)
ففعل..

وشعر بطمأنينة أن تذكر أنه بالحرم المكي أول بيت وضع للناس، وبمقام أبيه إبراهيم، وزاده اطمئنانًا أن تذكر أن فوقه مباشرة سدرة المنتهى..

- فأغلق عينيه للحظة وقال:

اللهم اكفينها بما شئت وكيف شئت..

ثم ردد ثلاثًا:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم..

ثم فتح عينيه وهو يشعر بثبات جنانه، فوجدها قد اقتربت برأسها حتى باتت المسافة بينهما صفرًا..

- قال وهو يشعر بشجاعة تعجب لها لم يدر كنهها ولا مصدرها:

ربي وربك الله..

ما أنتِ وماذا تريدين؟!

- ولدهشته..فقد رفعت رأسها ثانيةً عاليًا بالسماء وقالت بصوت مسموع وكلام مُفسر وبلهجة عربية مبينة:

أنا الدابة..دابة الأرض..خلقٌ من خلق الله

خرجت بأمر الله ولأمرِ الله، أمرًا كان مفعولًا..

تُطوى لي الأرض طيًا، ومداد بصري موضعَ قدمي

خرجت لأبين الخبيث من الطيب..

خرجت لأبشر أهل الجنة بها ..ولأحبط أهل النار بخبرها

، ثم رفعت يدها واسترسلت بحديثها:

وهذه بيدى عصا موسى من أنكته بها يبيض وجهه..وهذا خاتم سليمان من انكته به يسود وجهه

، وما من بشر على ظهرها إلا نكتُه

، ومن حيث خرجت أعود..

نظرت إليه بعد حديثها وتفحصته برهة طالت عليه كالدهر ثم واصلت:

بوركت يا عبدالله..بوركت وحق الله

ثم نكتت في وجهه نكتة بيضاء فتفشت في وجهه حتى ابيض وجهه وشعر كأن هموم الدنيا قد زيحت جماء.

ثم نكتت كل من كان بالحرم المكي نكتة بيضاء فتفشت في وجوههم فابيضت وجوههم جميعًا.

قالت وهي تنظر للملَك بينما تستدبره وتهم بالرحيل:

- يا مؤمن.. يا عبدالله..

أدِّ دورك المرسوم قبل أن تنزل الغيوم وتصير بإذن ربك مرحومًا..

ثم شعر ولا يدري لماذا رغم أن تعابير وجهها لم تتغير أنها تتبسم له فيما واصلت هي:

- يا عبدالله.. أبشر ولربك هلِّل وكبِّر

ثم وجهت بعدها حديثها للجميع وقالت وبصوت مسموع للكل:

- ابشروا جميعًا عباد الله في رحاب الله.

ثم رحلت وكانت كلما بعدت كلما زاد حجمها وكبر حتى أصبحت كالطود العظيم يُرى من بعيد، وهو يتبعها بعينه مشدوهًا لا يكاد يصدق ما رأى وما سمع توًا، ومن شدة فرحته بكى وضحك وصرخ وهلل وكبر، ثم خر ساجدًا أن الحمدلله رب العالمين.

وتعالت أصوات الناس جميعًا بالحمد والشكر والتكبير والتهليل والتوحيد حتى أن بعضهم لم يتمالك نفسه من فرط فرحته وغبطته وأطلق الزغاريد.

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك

لا شريك لك.

*****

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

*****

طرب بيتر تووم وهو يمشي فرحًا على قدميه بشوارع واشنطن كمواطن عادي بلباس عادي دونما رسميات ومواكب، كان يستمتع بكل تفصيلة دقيقة تمر مرور الكرام على أي شخص بيومه المعتاد، كحبات المطر على وجهه، والمعطف الوثير الذي يرتديه، ومراقبة المارة من حوله والتمحيص بوجوههم وانفعالاتهم، وتنشق النسيم المحمل بروائح الشتاء وشجونه المبهجة بذات الوقت في مزج متناقض من العصي فهمه إلا على روح استشعرت السأم وتريد أن تسمو عن مادية الحياة وتعاقبها المتواتر القاتل للأحاسيس ولو قليلًا أو تحاول.

فور أن دلف إلى مكتب عضو مجلس الشيوخ (جيم بينيت) كما مكتوب بالعنوان المدون بالكارت الشخصي الذي أعطاه إياه سلفًا، حتى قام الأخير بترحاب فوق العادة جعل ذهن بيتر يتقد تفكيرًا في ماهية ما يريده منه هذا الرجل.

- أجلسه على المقعد المقابل لمكتبه ثم جلس على كرسيّ المكتب خاصته وقال مبتسمًا:

تشرفت بلقائك معالي الوزير

- الشرف لنا سيدي السيناتور

- قال بترحاب:

قبل أي شيء ماذا تشرب؟

- شكرًا لكرمك

- سوف أشرب كأسًا من النبيذ الأحمر فهل لك بكأس معي

- لا مانع

- أخرج زجاجة من المبرد الصغير بجواره وشرع بملء الكؤوس بعد أن أعدها وهو يقول:

بالطبع أنت تتساءل عن سبب إحضاري لك وطلبي مقابلتك وتنكرك.

على ذكر تنكرك يعجبنى جدًا ما فعلته بشكلك..

لقد صغرت عشرة أعوام على الأقل يا رجل

، ثم ضحك وضحك معه بيتر وواصل حديثه بعدها:

لن أطيل عليك فأنا أعرف حجم مسؤولياتك وأقدر مجيئك اليوم..

تعلم أني يهودي..

- ابتسم بيتر وقال مواصلًا للأول حديثه:

بالطبع وأعلم أنك يهودي محافظ ومن الرافضين لإقامة الوطن الأكبر لليهود..

وأنك عضو مجلس الشيوخ عن الحزب الجمهوري في ولاية يوتا..

ومن علامات الاستفهام الكبيرة حولك حبك للمسلمين بالفترة الأخيرة ومجاهرتك بذلك وعدم إخفائه بل إنك أعلنت ذلك صراحة وعلى الملأ في مقابلة مع صحيفة (ديزيرت نيوز) المحلية بولاية يوتاه حيث صرحت قائلًا إن «هنالك الكثير من المسلمين في العاصمة الأمريكية واشنطن، أنا سعيد لوجودهم هنا».

- ضحك جيم كثيرًا وقال:

يبدو أنك قد ذاكرت ملفي جيدًا قبل أن تحضر..

، صمت هنيهة وهو شارد بعينيه ثم واصل فقال:

جيد..

ولكن لا داعي لعلامات الاستفهام فالموضوع أبسط من ذلك فقد أحضرتك اليوم لنُجلي كل علامات الاستفهام لأني شعرت من حديثك بالكونجرس أن داخل هذا الرأس ما يوافق فكري، ولغرض آخر أذكره لك في حينه

، رجع للخلف بكرسيّه وتنفس بعمق وواصل حديثه:

لا أخفيك منذ أشهر تعرضت لأزمة قلبية دخلت على إثرها المشفى ولبثت هناك ردحًا من الزمن، خلال هذه الفترة كنت أرى شريط حياتي يمر أمامي كثيرًا ولا أعلم لماذا، وللحق فقد شعرت بخيبة أمل..

والحق أن حديثك وافق ميولي وتوجهاتي بالفترة الأخيرة، فلقد بدأت في الشعور بالذنب تجاه ما تفعله الصهيونية من إساءات تجاه المسلمين والتي شوهت بالطبع صورة اليهودية كديانة سماوية، وجعلت الاثنين الفكر الصهيوني والدين اليهودي يختلطان ببعضهما في رأس العالم أجمع.

فاليهودية كديانة قد ظُلمت بالتحريف والتأويل، وأسفار موسى المنقولة شفاهة المسماه (الكابالا)، والتلمود، والعبث المذري الذي يجعل اليهود فوق الكل والباقي (جوييم) عبيد وجواري بل وحيوانات يمكن قتلهم بدم بارد بما ينافى المنطق والعقل..

فكلنا لآدم وآدم من تراب، وليس منّا أصحاب الدماء الزرقاء والآخرون الحمراء وهذا الفكر الآري الذي عانينا منه أنفسنا من قبل.

- رد بيتر وقد شعر بصدق في كلامه الذي نجح في استثارة اهتمامه:

لا أخفيك سرًا سيدي السيناتور، إن أكثر ما يضايقنى بدينكم عدم القول بنزول المسيح حتى الآن!!

، ثم حك جبهته بيده كأنما ليُعمِلَ عقله وواصل: ينافي حتى التفكير العلمي المنطقي..

فمن أين أتت الديانة المسيحية إن لم يكن قد ظهر المسيح!!

هل يصح أن ننكر ما كان!!

لم أنكم لا تؤمنون بالعهد الجديد، ويثير حفيظتي إيمان كثير من المسيحين بكتابكم العهد القديم وهو فيه ما فيه من تحفظات فادحة كما ذكرت بالكونجرس..

- أومأ جيم برأسه وقال:

لقد كان اليهود يَنتظِرون (المسيا)..

ومسيا كلمة آرامية معناها مُنتظَر أو موعود..

المسيح المُخلِّص الذي يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم، ويُعيد إليهم ملكهم الدنيوي، ليس نبيًا هاديًا، ولكن كمَلِكٍ..

كما رآه (هيرتزل) في منامه يقول: «أعلن، أعلن أني آتٍ قريبًا»..

وكما رآه (بن غوريون) أيضًا درعًا يدفع عن اليهود المِحَن.

فلما ظهر (يسوع) في صورة قديس وحاول تخليصهم روحيًا وخلُقيًا مِن شرورهم، ولم يظهَر في صورة ملك يُعيد إليهم سلطانهم الدنيوي، أنكروه واضطهدوه، وحتى الآن وهم ينتظرون المسيح المُخلِّص في صورة ملك من نسل داود، يُخلِّصهم مِن الاستعباد والتشتت، ولهذا لم يؤمن أصحاب المصالح بالسيد المسيح (عيسى ابن مريم) حين ظُهورِه، على الرغم مِن انطباق الصفات التي بُشِّرَ بها الأنبياء مِن قبله عليه.

- أضاف بيتر معقبًا:

ليس هذا فحسب..

إن الحديث هنا يطول ويطول..

ففى البداية لا يعتبر يسوع في اليهودية شخصية مرسلة من قبل الإله، فهو ليس (الماشيح) ولا حتى نبي؛ والانتقادات اليهودية لشخص يسوع بدأت منذ رسالته، إذ تذكر الأناجيل وصفه من قبل رجال الدين اليهود بالممسوس من قبل الشيطان؛ وقد قرأت من قبل أن الحاخام الأكبر (جمالائيل الثاني) أراد بعد خراب الهيكل عام ٧٠ أن يضيف في الصلوات اليومية لعنات ضد المارقين على اليهودية ومن بينهم حسب رأيه (يسوع) نفسه، إلا أنه عاد وعدل عن ذلك.

- أفرغ جيم باقي الكأس بفمه دفعة واحدة وقال:

لا أعارضك..

فمحاولات تشويه السيد المسيح لا متناهية ومنها ما قاله الرابي (موسى بن ميمون)

الذى كان نقيبًا للطائفة اليهودية بمصر في كتابه «ميشناه التوراة»:

أما عن يسوع الناصري الذي ادَّعى أنه المسيا، وقُتل بأمر المحكمة، كان النبي دانيال قد سبق وتنبأ عنه حيث قال:

(«وأطفال ثوار شعبك سيرفعون أنفسهم لمرتبة النبوة فيتعثرون»..

فهل يمكن أن توجد صخرة عثرة أكبر من هذه في وجه ادعائه النبوة؟

فكل الأنبياء أجمعوا على أن المسيّا سوف يخلص إسرائيل وينقذه وبأنه سيجمع المشتتين ويقيم الوصايا، بينما سبب الناصري ضياع إسرائيل بحد السيف وتفرق من تبقى منهم في كل مكان، كما أنه غيّر التوراة وتسبب بحصول خطأ فظيع.)

صمت هنيهة شرد فيها بفكره ثم أردف:

- وهل تعلم كذلك أن اليهودية الاصلاحية تعلن وبشكل صارم بأن كل يهودي يصرح بأن يسوع هو المسيح المخلص فهو ليس بيهودي بعد، فبحسب التقليد عندهم فإن السماء لم ترسل أنبياء بعد عام ٤٢٠ ق.م، فيكون بذلك النبي (ملاخي) هو آخر الأنبياء في اليهودية وهو سابق للمسيح بأربعة قرون.

قام عن مكتبه ومشى ليجلس بالكرسي المقابل له وقال بعد أن تنهد علامة الاستياء:

- ولكن دعنا لا تنكر أن هناك يهودًا يعترفون بالمسيح بل ويمدحونه أيضًا..

فلم يمنع ذلك مدح بعض الشخصيات اليهودية يسوع والكتابة عنه بشكل إيجابي ومنهم مشاهير كالفيلسوف التشكيكي (باروخ سبينوزا) والذي اعتبر (المسيح) لا نبيًا فحسب بل صوت الله أيضًا.

- بالطبع هناك يهودٌ صالحون مثلك سيدي السيناتور ولكنهم للأسف قلائل

وللأسف أيضًا خلط الصهيونية باليهودية قد أضر بسمعتكم كثيرًا..

- لا تتعجب حين تجد أني رغم أني يهودي أذكر هذا الكلام..

فالصهيونية كحركة سياسية هي عنصرية، تهدف إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وهي مشتقة من اسم (جبل صهيون) في القدس الذي يقال إنه موضع هيكل سليمان عليه السلام.

وقد أسس هرتزل الحركة الصهيونية بهدف قيادة يهود العالم لإقامة دولتهم في فلسطين، حين فاوض هرتزل السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص مرتين لكنه أخفق، وعند ذلك عملت الصهيونية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك، وهو من يهود الدونمة بالمناسبة (الذين يظهرون الإسلام على أنه ديانتهم أمام الناس بينما يضمرون اليهودية)، وعقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية عام ١٨٩٧م، في بازل بسويسرا، وانبثق منه اللجان ورصد له الدعم المالي، لتوسيع دائرة الحركة الصهيونية، وقد نجحت في مخططاتها وأعلن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م.

وهو ما اعترض عليه أنا شخصيًا..

فجمع اليهود جميعهم بدولة واحدة خطر كبير..

سوف يكون من السهل إبادتنا..

، ثم تناول لفافة تبغ وأشعلها وقال وهو ينفث الدخان ويتأمله:

- هل تعلم أن داخل إسرائيل ذاتها هناك يهود يعارضون قيام إسرائيل..

هل سمعت عن حي (ميهاشعاليم) بجورساليم..

حي كامل به أكبر حركة من الحركات المعارضة لإسرائيل وللصهيونية في فلسطين وفي العالم أجمع التي تُسمى حركة (حارس المدينة) أو (ناطوري كارتا) وهي حركة يهودية أرثوذوكسية تأسست عام ١٩٣٥م ترفض الصهيونية بجميع أشكالها، أتباعها يعتبرون أنفسهم يهودًا فلسطينيين ويتمنون العيش تحت حكم فلسطيني، ويقولون إن الصهاينة لا ينتمون ابدًا للشعب اليهودي.

الحكومة تعتبرهم خائنين وبين الفينة والأخرى تعتدى عليهم، ويوم عيد استقلال إسرائيل يعتبرونه يوم حداد فيخرجون يجوبون شوارع المدينة المقدسة رافعين الأعلام الفلسطينية بل ويحرقون علم إسرائيل.

ومازالوا يؤمنون بيومٍ تتحرر فيه فلسطين من حكم الصهاينة ويعيشون تحت حكم فلسطيني لا فرق فيه بين يهودي أو مسيحي أو مسلم.

، سكت هنيهة ثم اقترب من بيتر وقال هامسًا:

بيتر هل أستطيع أن أستودعك سرًا

- قال بيتر والفضول والدهشة يعترياته:

بالطبع سيدي

- نظر إليه مليًا وقال بجرأة:

أنا أنتمي لهذه الحركة

- عقدت المفاجأة لسان بيتر ووجم، إلا أنه تساءل بعد برهة:

هل تؤيد عودة الحكم الفلسطيني بجورساليم؟!!

- أنا أؤيد الديانة اليهودية الحقة ولا أؤيد الصهيونية التي شوهت ديانتنا، مهما كلف الأمر

- ولكن عفوًا سيدي، لماذا تأتمنني على هكذا سر؟!!

- مط شفته السفلى وأردف:

لا أعلم..

قل إنه حمْلٌ ثقيل أردت أن يشاركني به من الفُلك الذي يدور حولي من هو أهل للثقة، وقد تعبت من التفكير وحدي ومن الذين يهاجمونني على الدوام

- نظر إليه بيتر وقال بعطف:

تقصد منظمة الأيباك؟

- وغيرها..

لا تذكرني بما ينغص عليّ حياتي فالأيباك أقوى جمعيات الضغط على أعضاء الكونغرس الأمريكي حقًا، والتي ولتحقيق الدعم الأمريكي لإسرائيل على استعداد لفعل أي شيء كالفتك برأسي من كثرة الثرثرة..

ضحك على تهكمته الأخيرة فضحك بيتر معه ثم وجم للحظة أردف بعدها متابعًا حديثه:

- هل تعلم أنه لا تقتصر الأيباك على اليهود بل يوجد بها أعضاء ديموقراطيون وجمهوريون.

- أعلم وأعلم أيضًا كل تاريخها بداية من أنه تم تأسيسها في عهد إدارة الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور.

وأنها تعتبر منظمة صهيونية بامتياز وقد يكون أكبر دليل على ذلك الاسم السابق لها والذي تأسست باسمه..

(American Zionist Committee for Public Affairs)

(اللجنة الصهيونية الأمريكية للشؤون العامة) التي تم تأسيسها في سنة ١٩٥٣م.

تم تحويل مسماها إلى ما هو معروف اليوم (الأيباك) بعد تدهور علاقة داعمي إسرائيل والرئيس الأمريكي (دوايت أيزنهاور) حيث وصلت الأمور إلى إجراء تحقيقات مع اللجنة الصهيونية الأمريكية للشؤون العامة.

لهذا تم تغيير الاسم وتأسست جماعة ضغط جديدة تُسمى (اللجنة الإسرائيلية الأميركية للشؤون العامة)

American Israel Public Affairs Committee

- أصبت، لا أطيل عليك المهم أنه وبعد حديثك بالكونجرس أيقنت أنك المنشود، أضف إلى ذلك أني أردت تحذيرك

- مم؟

- من العواقب، حسب خبرتي فمنصبك بعد ما قلته بالكونجرس لن يدوم طويلًا

- لا تقلق، فأنا أنوي الاستقالة بجميع الأحوال

- ليس المنصب ما يهمني هنا، أنا أعني قوة المنصب ونفوذه سيسقطون عنك..

وحتى ولو لم يسقطوا..

، ثم صمت لبرهة ليتحدث بعدها وهو يضغط كل حرف يقوله: بيتر..

خذ عائلتك وسافر متخفيًا أيضًا كما أتيتني اليوم

فلاشك أن ال CIA يضعك تحت المجهر منذ خطبتك..

وسريعًا أرجوك..

هاجر لأي بلد

- قال بيتر بإصرار ودون أن يتفاجأ وكأنه على علم بما قال:
أولًا لن أترك بلدي، ثانيًا أبشرك أنك أيضًا مراقب..
أم نسيت أني وزير الدفاع ورئيس سابق للمخابرات الحربية!

- لم أنس ولكن دعك مني، أنت في خطر داهم
- مهما كان الثمن لن أترك بلدي، ثم ماذا فعلت لكل ذلك؟!!

- أنت فعلت أكبر جُرم، الذي لا يمكن غفرانه، استمع لنصيحتي..
كانت أكبر أخطاؤك عدم حضورك اجتماع قادة العالم الأخير بالغابة البوهيمية، ثم ما قلته بالكونجرس، صحيح لماذا لم تحضر الاجتماع الأخير؟!

- لقد سئمت الطقوس الماسونية المتكررة هذه كل عام، ثم إني لأرى الحق بدأ يتجلى بعقلي فكيف ألوثه بهذه الترهات
- أنا أيضًا لا أؤمن بهذه الهرطقات ولكن يجب أن نجاريهم، إنه اجتماع رؤوساء العالم الخفي، فكيف تتجاهل دعوة حضوره إلا إذا جننت..
سامحني ولكني أرى ما فعلت ذنبًا لا يغتفر فلقد أثرت حولك شكوكًا وتساؤلات لم تكن لتطفو على السطح لولا عدم حضورك، صحيح بالمناسبة الجميع أنك وراء إرسال الصحفي (أليكس جونز) الذي سرب تصوير صوت وصورة لما حدث داخل الاجتماع الأخير؟!

- ضحك بجانب فمه ولم يعقب على سؤاله الأخير ثم نهض من مجلسه استعدادًا للرحيل وقد شعر أنه يريد الانفراد بنفسه، قال وهو يصافحه:

أشكرك سيدي على اهتمامك وحديثك الشيق، وأعدك أن أفكر فيما قلت

- لم أقل لك على السبب الآخر لاستدعائي لك

- كلي آذان صاغية

- هناك من أريد أن أعرفك به، شخص سيكون له دور بالمرحلة القادمة، أرى أنه يجب أن تتقابلا

- من هو؟؟

- دعني أرتب لقاءً ولندع هذا لحينه

- وهو كذلك

قال كلمته الأخيرة وهو يتبسم بوجهه ثم صافحه وتركه ليغادر وتبعه بنظره حتى وصل للباب

- وناداه قبل أن يهم بالخروج وقال:

بيتر..

خذ حذرك أرجوك

ودونما كلمة أخرى تبسم له بيتر وأدار وجهه عنه وانصرف وهو يشعر بخوف شديد لم يدر له كنهًا، خوف يكاد يكون جنونيًا كالفوبيا..

فوبيا من نوع جديد..

اصطلح أن يطلق عليها بينه وبين نفسه

..فوبيا اليهود..

ثم تراجع عن مسماه بعد أن تذكر وجود أناس كجيم بينيت وعدل منه ليصبح

.. فوبيا آل صهيون.

*****

كاد اللواء الجمصي يجن وهو يتلقى أمر الانسحاب وفك الحصار الشرقي عن القدس المحتلة من قيادة الجيش العربي المشترك والتراجع إلى داخل الحدود الأردنية ثم التوجه للداخل السوري للاندماج مع القوات (الروسية-الصينية) المتواجدة هناك كدعم للقوات العربية- حسب اتفاقية مجلس العالم الشرقي الأخيرة.

تلقى الخبر كالصاعقة حتى أنه كان واقفًا فجلس رغمًا عنه على الكرسي جواره وبقوة..حتى أن الكرسي كاد ينكسر تحت وطأة وزنه غير الهين، لم تستطع قدماه أن تحملاه وهو يرى حلم حياته ومنتهى أمانيه يتحطم.

كان طوال عمره ضابط مخابرات يعمل على الملف اليهودي بكل محتوياته، وكان جُل أمانيه بحياته أن يشارك بحرب على اليهود، كان يكرههم من كل

قلبه ويلعنهم بكل صلاة، ويدعو للعرب بالتوحد على قلب رجل واحد.

ويعد أن تحقق حلمه أو كاد..ها هو ينقطع فجأة كمطر طال انتظاره وحين بدأ الدفق لتوه انقطع فجأة!

سبح بخياله لدقيقة ودار عقله الباطن دورته داخل مكنون ضميره وتوغل بعمق داخل صدره ورأى بأحلام يقظته الحرب تؤتى ثمارها والحصار يتحول لساحة معركة حقيقية ..ورأى فيها رأى أنه يقتل اليهود بالعشرات وبيده وليس بأية أداة حتى وكأنه استرد شبابه وصحته فجأة

- سيادة اللواء...

جاءه صوت قائد الجيوش المؤتمر بأمره لينتزعه من شتات نفسه ويجره جرًا لأرض الواقع ..

فقزع وشعر أنه يريد البكاء ويحرقة..

- ثم ما ملك إلا أن تمالك نفسه وقال بحزم:

ماذا تريد؟

- هل ننفذ الأوامر أم ماذا ترى يا سيدي؟!

- لم يتمالك نفسه هذه المرة فجهش بالبكاء وهو يواري وجهه عن عدا... حتى لا يبين ضعفه وقال بحرقة لم يستطع مداراتها وهو يشيح ال...

بيده:

نفذ.. نفذ.. نفذ الأوامر

- اقترب منه مساعده وقد ترقرق الدمع بعينيه هو الآخر وكان يستشعر نفس مشاعر قائده وقال بأسى:

لا تبك يا سيدي..

أرجوك لا تبك، إن الجند حزانى حد الموت كمدًا، ولو استشعروا انكسارك فما لنا من نجاة..

إنه أمر الله، وأنت تعلم كما أعلم أن أمر تراجعنا لهو عين الصواب، لكادت الأمطار والسيول أن تغرقنا، ولولا فضل الله علينا لكنا بعداد الموتى الآن، ولو جاءهم المدد والعون لخرجوا علينا بكل لياقتهم ونحن مبللون مهلهلون منكسرون لقضوا علينا..

إنه نعم الأمر، وليقض الله أمرًا كان مفعولًا..

ثم من المؤكد أنهم بالقيادة يعلمون ما لا نرى وإلا ففيم طلبهم بالترحال للداخل السوري للاندماج مع قوات تحالف مجلس العالم الشرقي؟ مؤكد أن بالأمور أمور..!!

- كفكف الجمصي دمعه والتفت لمحدثه وربت على كتفه وقال:

نفذ الأمر.. نفذ

، ثم أمّنَ على كلامه وواصل قائلًا:
وكما قلت..
ليقض الله أمرًا كان مفعولًا

- نظر إليه نظرة استعطاف وقال بوجومٍ باد:
لي طلب عندك سيادة اللواء ..أرجو أن تقبله

- أي طلب بهذا الوقت العصيب يا سيادة العميد؟!!

- ليس طلبًا شخصيًا، إن الجند حالتهم النفسية مدمرة وكنت أرى أنهم يتوقعون منك كلمة بهذا الوقت العصيب.. فلا شك أنه سيكون لها وقع السحر..ولا أخفيك سيدي فقد تحدث معي عدد من قوادي وقالوا: إن الجيش كله شبه مقتنع أنك ستخطب فيهم، خاصة بعد تسرب أخبار أوامر القيادة بالانسحاب بين الجند ورفض كثير من القواد بل والجنود أيضًا لهكذا أمر..وأخشى ما أخشاه أن تحدث القلاقل وأنت أدرى مني بذلك..فما رأي معاليكم سيادة اللواء..؟

- نظر إليه ويداخله اقتناع تام برأيه وقال:
ليكن، اجمع لي القوات

- عاجله بالرد قائلًا:

الجيش كله مجتمع بالانتظار سيادة اللواء

- حدجه بتعجب وقال:

إذن لقد أعددتم العدة وكأن رأيي تحصيل حاصل

- حاشى لله سيادة القائد، ولكن الأمر حقًا ضروري

- ليكن..هلم لنخرج لهم

همَّ الاثنان بالخروج وما كاد الجمصي يرفع ستار خيمته التي ترتفع درجات عن الأرض حتى سمع الهتافات..

يا جمصي ماتبرش..القدس لسه ما اتحررش
يا جمصي ماتبرش..القدس لسه ما اتحررش

أعادوها عشرات المرات على مسامعه فتركهم لم يقاطعهم حتى فترت حماستهم وهدأت حميتهم وسكتوا من تلقاء أنفسهم.

-- نظر إليهم وأدار بصره فيهم وقال بحزن:

أهذا ما أمركم به الله من فوق سبع سموات!!؟

هذا ما أمركم به ديننا!!

هذا ما أمركم به رسولنا الكريم ﷺ!!!

..أين طاعة الله والرسول وأولي الأمر منكم!!

أين الولاء والبراء يا مسلمون يا موحدون..

الولاء لقائدكم وطاعته ونصرته ومحاباته..

والبراء من عصيانه والانقسام على كلمتنا الواحدة وتنفيذ رغبات عدونا فينا

، أتدرون أنكم بإسلامكم قد عهدتم إلى الله بطاعة أوامره..أوتدرون أن من أوامره طاعة أولي الأمر.

نعم قد جاءتنا أوامرٌ بالانسحاب..أوامرٌ بالتراجع..

ولكن من أخبركم أن هذه هزيمة!!

من أنبأكم أن هذه النهاية

أيعقل ذلك؟!! كيف بالله عليكم؟!!

إن هذا ما يريده عدونا، أن لا نكون على قلب رجل واحد، أن نتفرق ونعود أحزابًا مشرذمة

هذه سياستهم وهذا طبعهم (فرق تسد)..أو ما علمتم ذلك يا أصحاب القرآن؟!

أيها العرب ..اسمعوا وعوا..

من الجائز أن نكون قد خسرنا معركة..ولكننا لم نخسر الحرب

ومن الجائز أن نتراجع.. ولكننا لن نرجع عما بدأنا

، أعدكم بذلك بشرفي وأقسم لكم بالله أنه لن يحدث

، أحيانًا يكون لزامًا عليك أن ترجع خطوة للوراء لتستعد لتثب خطوات

وخطوات للأمام

أحيانًا يكون تفادى الدخول بالحدث عين الحكمة حتى تستعد للحدث

بما يناسبه.

الأوامر لنا جاءت نصًا بالتراجع للداخل السوري والاندماج بقوات

مجلس العالم الشرقي الحليفة، فهل لو كان مخططًا بانسحاب وهزيمة كاملة

هل كان من داع للاندماج!!

أؤكد لكم إنها الحرب والخدعة..

وأدعوكم للامتثال لأمر الحق سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات

وأراضين: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)

لا تفرقوا أيها العرب فتذهب ريحكم..

أليس منكم رجل رشيد!!

وأعدكم بشرفي أننا لراجعون..

أغمض عينيه لثانية ثم فتحهما وقال بخشوع:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ (سورة ص: ٨٨)

سكت هنيهة فكأن الزمان توقف للحظة ثم واصل بذكاء:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر..

ومازال يرددها حتى التقطها منه جيشه ورددوها مدوية تشق عنان السماء:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

يا حمصي الله يحميك.. بيت المقدس مستنيك

يا حمصي الله يحميك.. بيت المقدس مستنيك

ويلحظة تحول الهتاف تلقائيًا:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

يقال إن الهتاف الأخير قد علا حتى أنَّ من يوجد داخل الحصار قد سمعه..

لم يسمعه فقط..

بل سمعه.. ووعاه من وعاه.. ورجف له!

*****

يَا جَسَدَ العَرَبِ يَا جَسَدَ الأُمَّةِ

لَمَّا بَكَيتَ وَالرُّوحُ فِينَا فَضَاعَتْ الأُمَّةُ

*****

بالليلة التالية حين دخلوا ليناموا بعد أن أصر قريب محمود أن يبيتا عنده ليلة أخرى، حدث نفس ما حدث بالليلة سابقتها، نفس ما تراءى لعبدالله بالسجادة الحمراء المعلقة على الحائط عاوده بحذافيره، فنفض غطاءه غاضبًا ولوجه بسرعة تجاه السجادة قبل أن يختفي ما يتراءى له كما بالليلة السابقة، وما إن اقترب كفاية حتى شعر بالهلع، فقد تبين أن الطير ما هو إلا الكائن العراقي الذي كان يسجد له تامر آنفًا ولكن بصورة متناهية الصغر داخل السجادة التي تزين الحائط، وكأنها تحولت إلى لوحة ثلاثية الأبعاد، ثم ما كاد أن يتبين حقيقته حتى توقف الكائن عمّا كان يفعل واستدار لينظر له مباشرة بعينيه للحظة شعر أن الزمان قد توقف معها وطالت كالدهر حتى كادت تخلع قلبه من فرط الرعب، ثم علت وجه الكائن ابتسامة شنيعة وهوله بدأ يزداد حجمه وهو يتحرك بسرعة من داخل الصورة وكأنه ينوي أن يخرج منها تجاهه.

تراجع عبدالله بظهره وهو يشهق من فزعته خطوات للخلف حتى أنه تعثر ووقع، وحين رفع رأسه نظر للوحة فلم يجد شيئًا مما رآه، طفق يحملق باللوحة واقترب منها ثانية علّه يرى ما رأى إلا أنه لم يجد شيئًا، التفت ناحية خالد ونظر إليه بريبة فوجده كأي شخص نائم لا يدري ما حوله، رجع لسريره وجلس فوقه لدقيقة ثم رقد وسحب عليه الغطاء الذي لم يلبث أن نفضه بنفس الوقت وقام متجهًا خارج الغرفة وقد تيقن أنه من المستحيل أن ينام، فكيف ينام بعد ما حدث!!

حتى وإن كان خيالًا من خيالاته المريضة الكثيرة هذه الأيام.

فور أن توجه خارج غرفته سمعت فاطمة وقع خطواته خارجًا فتخيلت أنه هو وليس شقيقها، فنظرت لتتأكد من خصاص نافذة غرفتها المطلة على الممر المؤدي لغرفة الحديقة وحينها وجدته تسللت خارجة، لاحظها وهي خارجة من باب المنزل الرئيسى تتجه صوبه فرنا إليها كطفل تائه وجد أمه وقد كان بأمس الحاجة لأي شخص يؤنسه ويأنس به.

اقتربت منه مبتسمة فحاول التبسم إلّا أنه لم يفلح في مداراة اضطرابه لتلاحظه.

- قالت وهي تعقد ما بين حاجبيها مستفسرة:

ما بك؟!

- لا شيء

- كيف لا شيء وأنت مضطرب وأراك مصفرًا كالمريض؟!!

تردد في إخبارها من عدم إخبارها وتفكر لوهلة

، ثم ما لبث أن قرر أن يجيش لها بمكنون صدره فتحدث بغتة بكل ما رأى ومنذ البداية حتى لحظته

، وتعجب حين لم ير منها اندهاشًا أو سمع منها تكذيبًا كما كان يتوقع.

- فور أن فرغ من حديثه باغتته قائلة:

أصدق كل حرف فيما قلت

، استدارت بظهرها له كأنما لتداري وجهها ولا تنظر إليه وهي تُخفي مكنون صدرها وواصلت:

لقد رأيت أنا الأخرى ما رأيت أنت يومها بالصحراء.. لم أكن تعمقت بالنوم ففزعت من منامي على صوت رفرفة جناحيه ورأيته.. الكائن المخيف ينظر إليك ويبتسم ابتسامة خبيثة، ومن شدة فزعي أعتقد أني قد أُغشي عليَّ حينها.. لم أدرِ ما حدث لي، فقط وجدت نفسي مستيقظة بالصباح وكأن شيئًا لم يحدث وأنت تبتسم وتبين كأنك لم تر شيئًا.. فحسبت أنها أضغاث أحلام وتناسيت أو أرغمت عقلي على تناسي ما خُيل إليَّ أنه كابوس ساعتها.. حتى حكيت لي الآن فتيقنت مما رأيت.

انهت حديثها ثم ما لبثت أن دمعت عيناها وتواصل بكاؤها، فرَّق لها وشعر أن قلبه يُعتصر عصرًا لدموعها فربت على كتفها لتهدئتها.

- قال وهو لا يدري كيف التصرف وكيف يهدئ من روعها، وكان يحتاج هو إلى من يهدئ من روعه:

- فاطمة..

لا أعلم ما كنه ما رأينا، ولا أعلم غرضه ونواياه تجاهنا، ولكن والدك تحدثت معه بصدد ما رأيت وقد أعطاني ما أحتاج إليه حقًا..

إن والدك رجل مؤمن موحد، أراه من أهل القرآن وخاصته..

وقد أعطاني المفتاح..

سورة الكهف تكفينا كل شيء..

إن....

ما كاد يتم كلمته الأخيرة حتى سمعا صوتًا آتيًا من ناحية الغرفة المتواجد بها خالد، فما كان منهما إلا أن تواريا جانبًا خلف الأجمة حتى لا يلحظهما، وراقبا في صمت فوجدا خالد يخرج من الحجرة متجهًا تجاه بوابة الحديقة فقام بفتحها بحركة آلية وتوجه خارجًا.

نظرا لبعضهما باستغراب ودونما كلمة توجها خلفه ليجداه يقطع الشارع الرئيسي تجاه البحر، توجه تجاه الشاطئ فعلًا وهما يتبعانه كظله، حتى وصل لشاطئ البحر وحينها توقف عن السير وخرَّ ساجدًا.

اقتربا منه بحذر وهما يحاولان تبين لمن يسجد فلم يجدا شيئًا.

اقتربا أكثر وقد بدأ وجيب قلبيهما يرتفع، وإذ فجأة تشبثت فاطمة بذراع عبدالله بقوة فنظر إليها فوجدها تشير إليه بعينيها وكأنها لا تستطيع النطق أن ينظر تجاه السماء، فنظر فوجد الكائن قادمًا طائرًا من غياهب السماء بسرعة خرافية تجاههم، وكأنه ينظر إليهم وليس للذي يسجد له.

وضع عبدالله فاطمة خلف ظهره بحركة غريزية وكأنه يحميها وكأن له حول أو قوة مع ما هو قادم تجاهه، تيقن أن الكائن يتجه ناحيته فعلًا لا مراء، فلم يستطع جهازه العصبي أن يحتمل أكثر فأغلق عينيه وشرع متلعثمًا في قراءة آية الكرسي.

باللحظة التالية كانت فاطمة تتشبث بملابسه من الخلف وتغمض عينيها فانفلتت ملابسه من يدها رغم إغلاق قبضتي يديها وكأنها سُحبت سحبًا حتى أنها كسرت أظافرها.. فتحت عينيها لتجد أن الكائن قد خطف عبدالله بين مخالبه وعاد طائرًا تجاه نفس الاتجاه الذي قدم منه.

هرولت خلفه تجاه البحر ونزلت فيه بالفعل حتى وصلت المياه فوق ركبتيها وهي تنظر تجاه السماء تجاهه وتتابع عبدالله بنظرها وترفع يدها ناحيته كأنها تستجدي الكائن أن يُرجعه.

- كانت تبكي ملتاعة وتصرخ كالمجنونة بأعلى صوت:

عبدالله..عبدالله..

*****

- أخيرًا تم فك الحصار..

قالها حاييم اشمعون وهو يتبسم لنوعام ايتان الذي كان عاقدًا حاجبيه غارقًا ببحور أفكاره بعيدًا عن محدثه، كان يتفكر بما قاله آنفًا محدثه السامرائي عن دابة الأرض التي ظهرت بالبلاد تكلمْ العباد وتُكَلِمَهُم.

- قال نوعام محدثًا السامرائي ببرود وكأنه لم يسمع حاييم:

أترانا قد أخطأنا بإنقاذك وإنقاذ رقبتك من اليزن بن عمار وإرسالنا هليكوبتر خاصة لتقلك وتحضرك ها هنا يا سامرائي!!

- رد السامرائي باندهاش وقال:

ولمَ يا سيدي؟!

فيما أخطأت لا سمح الله؟

- عاجله الرد بغضب وهو يتحفز له قائلًا:

هذه الترهات التي تحادثنا بها، أجننت أم أن عقلك قد خف من كثرة خوفك ورعبك من اليزن بالأيام الماضية، أم أن لك مخططًا خاصًا تريد تفعيله..

تريد إشاعة البلبلة في صفوفنا بعد أن تضمن انتصارنا على غريمك اليزن والقضاء عليه، فتكون ضربت عصفورين بحجر واحد كما تقولون ..تتخلص من منافسك وتصبح لك السيادة ببلادك بعد أن نمكنك، بعدها تفرغ لنا بعد أن تكون بثثت سمومك بين صفوفنا فنصبح لك لقمة سائغة سهلة فتتشكل لك السيادة بالمنطقة وتملك الشرق الأوسط بلا منازع!

- ضحك السامرائي حتى بانت نواجزه وسعل من كثرة الضحك وقال وهو مازال يضحك:

سيدي، ماذا تقول؟!

أيعقل هذا؟!!

إن العين لا يُقدر لها وإن حاولت أن ترتفع عن الحاجب..

أنا حتى وإن حاولت وكان كلامك صحيحًا فكيف لي بمجابهتكم، وحتى وإن قدرت فأين أذهب من ولاياتكم المتحدة؟!

إن أنا إلا حاكيًا لكم بما سمعت حتى تروا ما العمل فكلنا بمركب واحدة.

- قاطع حاييم الحديث المسترسل وقال متبرمًا:
أرجو أن يشرح لي أحدكم ما يدور هنا

- نظر له نوعام بإزدراء باد وقال بتأفف:
أيعقل أن تكون رئيس مخابرات جهاز من أقوى الأجهزة بالعالم ويفلت خبر كهذا من تحت أنفك؟!

- أنا أنا..

- أنت تكبر يا حاييم ويبدو أن قدراتك تنكمش وتترهل هي الأخرى..
يقول السامرائي باختصار أن دابة الأرض التي يتحدث عنها قرآنهم قد ظهرت بالفعل بمكة، وأنها تطوف البلاد لتختم العباد المؤمنين فتوصمهم بعلامة دون غيرهم

- اتسعت عينا حاييم عن آخرهما وقال بهلع:
ماذا؟!..ولكن..
ولكن كيف ولم نسمع عنها ولم تظهر عنها أية أخبار بوكالات الأنباء حتى؟!!

- هذا سؤال من المفترض أن أسأله أنا لك لا العكس!

- نظر حاييم للسامرائي بغضب ثم صب عليه جام غضبه وهو يصرخ:

أنت يا خرف ماذا تقول..

أتعرف مع من تجلس الآن..

أنت تجلس مع رئيس وزراء أقوى دولة بالعالم

، دولة شعب الله المختار..

ومع رئيس جهاز مخابراتها، أتكذب وتدعي الأساطير بحضرتنا أيها الجوييم الحقير!!

- حدجه السامرائي بنظرة دهشة وانكماش وقال بترج من لا يريد إثارة حفيظة محدثه أكثر:

أنا لا أقصد سيدي صدقني، أنا فقط أنقل ما أسمع

- كاد حاييم يرد لولا أن قاطعه نوعام بإشارة من يده وجهها للاثنين معًا وقال:

كفى، لا داع للمزيد

، ثم وجه حديثه لحاييم قائلًا:

أريد أن أعرف كل شيء عن هذا الموضوع وبغضون ساعة من الآن..

وأشار له بيده أن اذهب حالًا فوقف حاييم وغادر متأففًا ساخطًا..

- فور أن غادر بادر السامرائي نوعام متسائلًا:

سيدي، هل لي أن أسأل عن معنى جوييم التي قالها السيد حاييم؟!

- ضحك تعجبًا لسؤاله وتوقيته ثم نظر إليه باستعلاء وقال بخيلاء بادية:

جوييم أي الأغيار بلغتكم..

أي جنس غير اليهودي هو جوييم

، ثم وبلهجة متأففة واصل:

دعك من هذا، فلندخل بالجد..أنا أريدك أن تتحضر للذهاب مع جيوشنا الخارجة لتعقب جيش اللواء الجمصي بأرض الشام، فمن المؤكد أنك ستكون لك فائدة ما، ظني أن اليزن سيحاول اللحاق بجيوشنا، لعمل مصيدة لجيشنا بينه وبين الجمصي..

وأنا أريدك أن تتحضر لهذا الحدث بالذات

، قد كنت وزير الدفاع والقائد الأعلى للجيش العراقي ومن المؤكد أن لك أعوان وأذرع وموالين داخله، وتعرف كل خباياه..هنا يأتي دورك..

حتى تكون قد فعلت ما عليك تجاهنا كاملًا وتستحق منا بعدها التتويج على رأس العراق كما وعدناك.

- جاوبه بإذعان وعينيه تلتمع قائلًا:

لك مني السمع والطاعة ولأكونن عند حسن ظنك بي، ولكن لي رجاء عندك

- قل

- حيدر، قد تم القبض عليه بالقاهرة بعد أن انكشف دوره الذي وكلتموه إياه هناك، أرجو أن تتصرفوا وتنقذوه

- داري نوعام ضحكة كادت تفلت منه نتيجة جهل السامرائي بما حدث لحيدر بعد أن أدى دوره، لكنه تمالك نفسه وقال كأنما الموضوع ذو بال:

نعم نعم، لقد كان خير عون لنا هناك ودوره لا يُنكر في تفعيل الفتنة هناك..

سنرى ما يمكن عمله، الآن هيا اذهب لترتاح وتعد عدتك فجيشنا على أهبة الاستعداد.. هيا

نهض عن كرسيه وتوجه لمصافحته وهو ينحني إجلالًا وتوقيرًا ثم ذهب مع أحد الحرس الذي يتولاه ويتولى أموره منذ أن وطأت قدمه تل أبيب.

فور أن خرج فُتح باب جانبي بمكتب نوعام ايتان خرج منه رجل بمنتصف

الثلاثينيات من عمره طويل القامة شديد البنيان، يرتدي بزة عسكرية، توجه ناحية المكتب وأدى التحية العسكرية لنوعام فأمره الأخير بالجلوس.

- أخرج نوعام سيجارًا من علبة فخمة على مكتبه وقطع طرفه ووضعه بفمه وأشعله ثم نفث دخانه بالهواء وقال للجالس أمامه دون أن ينظر إليه:

افيخاى إيتن..

دون مقدمات طويلة وخطابات تحميس..

أنت من أكفأ جنودنا..

ثم سحب نفسًا آخر من سيجاره وواصل:

- سمعت ما قد دار من حديث ها هنا

- نعم سيدي

- من اليوم سيكون ملف السامرائي شغلك الشاغل، وستلازمه كظله، هذا الرجل ثعبان يتلون ويتشكل حسب الحاجة، وأخشى أن يتلون علينا بآخر المتمة.

- أوامرك تجاهه واعتبرها قد نُفذت سلفًا سيدي

- أريدك أن تراقب أفعاله عن كثب، وأن تبعث بتقارير يومية عن كل ما يخصه، ولا تستهن به فهو شديد الذكاء والمكر

- عُلم وينفذ

قام من مجلسه وأدى التحية العسكرية مرة أخرى واستدار متجهًا ناحية باب الخروج

- ناداه نوعام واستوقفه قبيل أن يخرج قائلًا:

أفيخاي..

سوف يكون لهذا الفارسي الخائن حرس خاص من جندنا يحمونه حتى يتم المراد ويؤلب الجيش العراقي على بعضه، بعد أن يُتم مهمته لا تدعه يغادركم ليركب الجيش.. اقتله قبلها

- بتحية عسكرية أخرى وبآلية جامدة أجابه افيخاي:

أمرك سيدي..

- سحب نوعام نفسًا من سيجاره وأشاح بوجهه جانبًا عن محدثه الذي استدار لينصرف بعد إشارة من يد نوعام، ونظر عبر النافذة الكبيرة بجانب مكتبه وقال بصوت خافت محادثًا نفسه وابتسامة ترتسم على

جانب فمه وهو يتذكر محادثته الأخيرة مع السامرائي:

يا لهذا الجوييم..

ثم تبسم وزاد تبسمه ليصير ضحكًا عاليًا فقهقهة صاخبة وهو يعيد قراءة خبر يحفظه عن ظهر قلب من الجريدة المصرية من اليوم السابق والتي احتفظ بها على مكتبه:

...خبر بكل الصحف المصرية والعراقية:

- القبض على (السيد/ حيدر علي) رئيس الوزراء العراقي السابق لمحاكمته بتهمة التحريض على الفتنة الطائفية بالأراضي المصرية.

- سيارات تحمل فرقة كوماندوز أمريكية تعترض سبيل نقل (السيد/ حيدر علي)

تم التعامل مع فرقة الكوماندوز والقبض عليهم وتم التعرف على هوياتهم وأدلوا بعدها بكل المعلومات لجهات التحقيق المصرية.

- أسفر الحادث عن وفاة (السيد/ حيدر علي) برصاصة من الجانب الأمريكي تبين بعد التحقيقات أنها غير طائشة وأنه كان مخططًا لتصفيته حتى لا يدلي بما يعرف للسلطات المصرية.

- هذا وقد رفضت السلطات العراقية تسلم الجثمان باعتباره خائنًا وتم دفنه بمقابر السبيل.

، ثم أردف لنفسه بعد أن أنهى قراءة العناوين التي يحفظها عن ظهر قلب وابتسامته لم تزايل أخاديد وجهه:

مسكين هذا الجوييم!

عاش خائنًا ومات ذليلًا..

*****



وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ: مَدِينَةٌ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً.

(سفر إشعياء - الأصحاح ١٩/ ٢ - العهد القديم)

تأزم الوضع بمصر بالفترة الأخيرة نتيجة تفجيرات الكنائس المتتالية بكل مكان وكأنه مخطط!

بدأ المسيحيون لا يشعرون بالأمان وشرع المسلمون يبررون بلا نتيجة ملموسة، بل إن التبرير ذاته أصبح مبتذلًا كلما زادت أعداد التفجيرات الارهابية.

حتى جاء اليوم الذي فاض فيه الكيل فانتثر المسيحيون للتظاهر أمام كل مبنى هام بالبلاد وتحول التظاهر بعدها إلى اعتصام مفتوح.

ما زاد الطين بلة أنه كان هناك فرقة من المسلمين لم تكن راضية عن التظاهر فاستشاطت غضبًا بالتبعية حين تحول التظاهر إلى اعتصام.

وبدأ الجو العام يُشحن بشحنة فتنة طائفية تنذر بحرب أهلية.

حتى أن الشيخ/ حسن جاد الحق شيخ الأزهر / حين علم بالأوضاع قطع إجازته المفتوحة بدولة الإمارات ليعود للبلاد عله يستطيع شيئًا، وقد أصر المطران/ يوحنا جرجس / الذي شاركه حلقة المناظرة مع آرييل موشيه- حين علم بالأنباء الحزينة على السفر معه ومرافقته لمخاطبة أقباط مصر.

وبالفعل كانت لخطبهم المستمرة بالتلفاز وبالميادين أكبر الأثر في تهدئة النفوس المحتقنة والعودة إلى صوت العقل.

وباتت جماعات من المسلمين والمسيحين تخرج سويًا لنصح إخوانهم الذين شارفوا شفا حفرة من النار.

غير أن كل ذلك ولسبب غير مفهوم لم ينته إلا حين تم تصفية السيد/ حيدر علي بعدها بدأت الأوضاع تهدأ تلقائيًا، حيث اختفت التفجيرات وبات من غير المعقول استمرار الاعتصامات.

ورجعت مصر كما كانت دومًا رغم كيد الكائدين.

*****

﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾

*****



﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾

(الدخان: ٩)

حينما لم تفلح جهود ومساع بيتر تووم وزير الدفاع الأمريكي مع أعضاء الكونجرس في إقناعهم بعدم استخدام سلاح الكمتريل تأكد شعور بيتر من داخله أن ما يحدث على الساحة من أحداث كونية ما هو إلا رسائل الرب لقوم تكبروا وتجبروا، وقد ساعد داخله هذا الإحساس على النمو والترعرع أنه كان واسع الاضطلاع غزير القراءة حتى أنه قرأ كل الكتب السماوية، ومن خلال ثقافته كان يعرف حتمية نهاية أمته عاجلًا كان أم آجلًا وإن كان للعجلة أقرب فيما كان يعتقد، فهكذا قضى التاريخ وهكذا جرت العادة وانقضت السنن من قبلنا..أن لا طار طير وارتفع إلا كما طار وقع..

عاد وثمود، إرم ذات العماد، بابل واشور، الفرس والروم، التتار والمغول.

كان دائمًا بالآونة الأخيرة ما يعيش بين نارين..

نار موقعه وحساسيته والواجب الذي يفرضه عليه، ونار فكره وتفكره وقد كان رجلًا ذا عقل متدبر، صلاه هذا العقل دومًا نيران التفكر والتدبر ويلات، وهكذا كان تفكير كل من حوله فيه وفي حاله هذه الأيام!

وبعد نجاح هجمة الكميتريل المنصرمة، دعاه رئيس الولايات المتحدة لمكتبه بالبيت الأبيض، وفور أن دخل عليه مكتبه حتى صرف كل من كان عنده وبقيا وحدهما.

- قام من كرسيه واتجه ناحيته ثم خلع سترته ووضعها جانبًا وقام بفك

ربطة عنقه وهو يَعُب الهواء عبًا وقال:
لا أشعر أني بحال جيدة

- خيرًا سيدي الرئيس، ما بك؟!

نظر إليه بوجوم وصمت ولم يجبه

- فعاود بيتر سؤاله وقد قام من كرسيه وتوجه نحوه:
سيدي، ما بك، هل أطلب طبيبًا؟

- رفع يده رافضًا وقال:
لا داع، إن ما بي لا يحتاج طبيب..
يحتاج عقلًا كبيرًا وواعيًا مثل عقلك

- أنا تحت أمرك ورهن إشارتك إن كنت أستطيع تحسين حالتك

- بيتر، أنا لا أستطيع النوم..
منذ هجمة الكميتريل الأخيرة وأنا لا أنام، وقد رآني جميع الأطباء وكلهم أجمعوا أني سليم معافى، ولكني على النقيض من ذلك، أنا معتل تعب وقد فاض بي، أنا..أنا..

- أنت ماذا يا سيدي؟!

- تلفت حوله ثم اقترب من أذن بيتر وقال بهمس:

أنا أرى وأسمع هلاوس

هل لك أن تتخيل رئيس أكبر دولة بالعالم يهلوس

، أتدري حجم مصيبتي لو عُلم الخبر!

- انعقد حاجباه دهشة وقال:

كيف ذلك، ثم حتى وإن كان، ألست ببشر، من الممكن أن يكون إجهادًا حادًا وتحتاج..

- قاطعه بعصبية:

أحتاج راحة وكل هذا الهراء، أمثالي لا يجب أن يصابوا بأي إجهاد ولا أمراض نفسية وأنت خير العارفين، ثم أتظن أنني لم أطرق كل الأبواب، أنت فقط لا تدري عما أتحدث..

أنا أتحدث هنا عن هلاوس لا يصنعها إلا..

إلا القدير!

، صمت لوهلة ثم واصل قائلًا:

كل هذا الظلم والجور، يبدو أنك كنت صائبًا وعلى حق، نحن قوم عتاة جبارون..

نحن لا نفهم ماهية الإنسان الضعيفة الهشة..

نحن أغبياء..نعم أغبياء..من يتعلق بهذ الحياة لغبي أبله..

حياة يملؤها الضعف والوهن والحزن والتعب والشقاء والتعاسة والظلم والبهتان..

محال أن نكون خُلقنا لذلك..محال

لا بد لنا من حياة أخرى..

ولكن أيعقل أن نتساوى بمن ظلمنا فيها..

كلا..لنؤتين نصيبنا من أفعالنا وما اقترفت أيدينا.

ثم شرع بالبكاء، فصُدم بيتر وهاله ما يرى فقام باحتضانه والربت على كتفيه ولم ينطق بحرف حتى انتهى تمامًا.

- أعطاه منديلًا ورقيًا ليكفكف دمعه وقال:

ماذا ترى يا سيدي، وما أوصلك لهذه الحال؟!

- أنا، أنا..

لن تصدقني إذا حكيت

- بل إني سأصدقك مهما قلت بعد ما رأيت

- سكت هنيهة ثم قال بهدوء لم يتوافق مع ما سرد وهو ينظر بشرود تجاه سقف الغرفة:

أنا أرى ملك الموت، أراه كل يوم، لا يقبض روحي..

، فقط ينظرني وأراه يحذرني أني من المنذرين دون أن ينطق بحرف، كلما حاولت النوم وجدته بركن الغرفة، لن أحدثك عن الهلع، لن أحدثك عن الفوبيا التي أصبحت تنتابني كلما شعرت بالنعاس، أحيانًا أصبحت أحادثه دون أن أراه دون أن أنطق، حديثًا معنويًا، وأترجاه أن يقبض روحي، أحيانًا أفكر وبجدية بمسك سلاحي وإطلاق عيار ناري على رأسي حتى أنهي عذابي..

- أمسك بيتر طرف الحديث بعد برهة من الصمت وقال:

سيدي، لما لا تترك موقعك وتستريح مما أنت فيه، أرى أن ما تمر به لهو عذاب تأنيب الضمير بعينه.

- حدجه ثم ضحك ضحكة عالية وقال:

بيتر، هل تظن حقًا أن أمري بيدي..

بيتر، أنا وأنت وغيرنا كثيرون من قادة العالم البارزين عبارة عن عرائس (ماريونيت) .. (Marionette)

مجرد دمى تحركها أيدٍ خفية، أنا وأنت نعلم هذه الأيدي جيدًا

- تقصد الماسونية والعلاقات الأمريكية الصهيونية

- صُدم الرئيس من صراحته الفذة هذه حتى وإن كانا بمفردهما فقال محاولًا التملص:

أقصد التراث التاريخي الروحي المبني عليه هذه العلاقة

- تبسم بيتر بجانب فمه مستهزئًا وقال بتهكم:

تراث..

في الحقيقة إن العلاقة التاريخية الروحية ما هي إلا نبوءات توراتية أقنع بها اليهود الماسون التيار الأصولي المسيحي (الإنجيليون الجدد) بأمريكا حتى صارت تابوه لا يمكن تحطيمه، وأنا من داخلي مقتنع مليون المائة بهذا، أضف إلى ذلك أننا قد دخلنا من وجهة نظر اليهود بالطبع حقبة المسيا المخلص..

ففي الديانة والإسخاتولوجيا اليهودية (الإسخاتولوجية هو علم الآخرة أو الأيام الأخيرة) المسيا هو ملك اليهود المستقبلي من نسل النبي داوود والذي سوف يكون ممسوحًا بالمسحة المقدسة لينصب حاكمًا على الشعب اليهودي جالبًا معه بداية العصر المسياني، ولذلك فهم يتحركوا بكل إتجاه ويتخبطون سريعًا ليعدوا العدة لظهوره

، ثم ابتسم متهكمًا وواصل حديثه:

وهو بالطبع ما يشكل ضغطًا عليك أنت شخصيًا ويشعرك بالإرهاق المادي عليك

- تلعثم الرئيس الأمريكي وقال بارتباك وهو ينظر إليه بطرف عينه:
أنا لم آت على ذكر ذلك ولا كان ذلك مقصدي

- تفهم بيتر محاولته للتملص فقال مبتسمًا:
لا يهم سيدي الرئيس دعنا من هذه النقطة المثيرة للجدل، فلنرجع لموضوعنا حتى وإن كنا عرائس ودمى فهذا لا يمنع تنحيك وقتما ترى أنك لا تستطيع

- هل تعتقد؟!

- قطعًا، بالطبع

- سكت لدقيقة نظر بها أرضًا ثم قال بخنوع وأسى:
إذًا دلنى على من قتل كينيدى ولسوف أتنحى..
، دلني على من قتل أبراهام لينكولن ولسوف أتنحى..
، دلني على من قتل وليام مكينلي ولسوف أتنحى..

، هؤلاء أيضًا كانوا رؤساء مثلي لأكبر دولة..دولتنا الموقرة..

ومن خارج قوائمنا الداخلية يوجد قوائم كُثر خارجية.. دلني على من قتل:

السادات والرئيسي وأحمد ياسين، ياسر عرفات، صدام حسين..

منذ بداية مشوارنا بالعصر الحديث لن أحدثك عن العصر القديم فأنت أعلم به مني فأنت واسع الاضطلاع..

عملية ميونخ التي قامت بها منظمة أيلول الأسود بالعام ١٩٧٢..هل تظن أنها خارج إطار حديثنا..

، ثم ضحك ضحكة طويلة وواصل:

رغم أن القتلى فيها حوالي الأحد عشر إسرائيليًا، إلا أننا - ولا أخفيك خبرًا وأنت مني أعلم - من قمنا بها حقًا، حتى نسلط الضوء العالمي على القضية الفلسطينية لنلفت الانتباه لعقود من الصراع بالشرق الأوسط وقد كان لنا ما أردنا، وقد قمنا باستغلال العملية بتنفيذ سلسلة من الاغتيالات للقيادات الفلسطينية حينها زاعمين وجود علاقة لهم بعملية ميونخ.

في العالم حروب ومصائب أشد نكبًا من فلسطين والشرق الأوسط.. بورما والبوسنة والهرسك ودارفور وغيرهم الكثير..

فلماذا باعتقادك فقط الشرق الأوسط الذي يذيع صيته دونًا عن البقية.. ببساطة لأننا نريد ذلك

فنحن أرباب الزيف الإعلامي والدجل الفكري

وآلهة الآلة الإعلامية الضخمة بكل العالم..

والحروب بين فرنسا وبريطانيا، الحرب العالمية الأولى التآمر على الخلافة العثمانية والقضاء عليها، والحرب العالمية الثانية التي أشعلها تجار السلاح اليهود والتي أزهقت فيها الملايين من أرواح البشر.

عن ماذا أو ماذا أحدثك.. فأعمالنا السوداء ليس لها أول من آخر.

- هل ترد على نفسك سيدي الرئيس؟!

- أنا فقط أفض بمكنون صدري معك يا بيتر

- تنحَّى سيدي، يجب أن تتنحَّى

- لا أستطيع

- هب واقفًا كمن لدغه عقرب وقال:
إذًا تعامل أنت مع هلاوسك ولأتنحى أنا..

- ماذا؟!
تتنحى أنت، هل كنت أشكي لك همي لتتنحى أنت؟!!

- وهل تعتقد أني سأستمر بعد ما سمعت، كنت أحتاج الشرارة أو
الدفعة التي تجعلني أنفد بجلدي ولا أشعر بتقصيري تجاه بلادي، وها
أنت مشكورًا قد أعطيتني إياها، فشكرًا لك.

- ولكن بيتر تنحيك لن يعفيك

- عقد حاجبيه وقال بتساؤل:
يعفيني مم؟!!

- أنت رجل دولة وتعرف الكثير

- وهل أنا أول رجل دولة يتنحى!!!

- تبرم الرئيس وقال بتقطع:
أعني ..قد علمت الكثير..

- ماذا تقصد؟!

- لا أقصد شيئًا، أرجو أن تفكر قبل أن تختار

- لقد فكرت مليًا والاختيار سبق

- تأفف ثم تَبَرَّمْ تَبَرُّمِ من ليس بيده حيلة وقال:

إذن.. أتمنى لك التوفيق

صافحا بعضهما خرج بيتر بعدها وهو يتمنى الشفاء العاجل لرئيسه.

- وفور أن خرج أعاد الرئيس ارتداء سترته وربطة عنقه وجلس على كرسيه وهو يحادث نفسه قائلًا:

مسكين بيتر، مسكين..

ويبدو أن هناك شبحَ ابتسامة ماكرة ذات مغزى ارتسمت على وجهه!

- إلا أن الرئيس لم يعلم ومن أين كان له أن يعلم، أن ذات الابتسامة الماكرة ذات المغزى كانت ارتسمت أيضًا على وجه بيتر بعد أن تركه وهو يحادث نفسه مرددًا بعلم العالم لبواطن الأمور:

مسكين سيدي الرئيس، مسكين!!

*****

لم يدر عبدالله ماذا يُفعل به..

كانت عيناه مغمضتين فشعر بشيء قوي يقبض عليه من منكبيه ثم شعر بنفسه يرتفع بالهواء ففتح عينيه ليرى نفسه حقًا يرتقي بالسماء مرفوعًا بمخلبي هذا الكائن الطائر الخرافي..

وآخر ما سمعه كان صوت فاطمة تنادي اسمه والذي ظل يتردد صداه بسمعه لدقائق لم يستطع فصل الحقيقة فيها عن الخيال وكأن ما تراه عيناه أكبر من قدرة عقله على الاستيعاب..

كثيرًا ما تفكر مؤخرًا بالآية الكريمة ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وتدبر كيف يكون كشف الغطاء، كان يتخيل أن تخرج روحه من جسده خفيفة نقية طاهرة من كل رجس ودنس وترنو بالسماء حتى تلامس السحاب، فيرى ما لا يُرى ويسمع ما لا يُسمع..

وكان هذا ما يحدث له حاليًا حرفيًا فقد كان يكاد يُلامس السحاب تحت براثن الوحش الذي يحمله، ولعجبه فإنه لم يكن جزعًا ولا خائفًا مرتعبًا كان بداخله طمأنينة لم يشعر بها من قبل، شيء ما كان يهدئ من روعه، شيء خفيٌّ، شيء غير داخلي لكنه آنس به وسعد.

كانت الدنيا ظلامًا حالكًا حين رفعه الكائن عن الأرض، ولم يكن قد مر وقت طويل بحساباته على ما يعتقد حتى تبين الشمس أمامه هكذا..

لم يكن يدري أهذا بفعل أنه كان فاقدًا للشعور بالزمن أو أنه أغشي عليه

عدة مرات أم أن هذا الكائن قد انتقل به من نصف الكرة الأرضية لنصفها الأخر..؟!

لم يدر حقًا، حتى ظهرت أمامه ولاحت من بعيد جزيرة غريبة وسط البحر وكأنها عالم متفرد بذاته، بدأ الكائن بالهبوط حتى حط عليها فترك عبدالله من مخلبيه أمام شاطئ البحر مباشرة، ونزل على الرمال أمامه.

- دار حوله دورتين ببطء وكأنه يتمل فيه ثم حادثه قائلًا:

بالطبع تريد أن تعرف لم أحضرتك ها هنا..

جفل عبدالله من فكرة أن يكون قد أحضره ليفترسه أو شيء من هذا القبيل..

ولعجبه فقد سمعه يضحك وظل مواصلًا ضحكه برهة ثم قال بتؤدة:

لا تخف، لست هنا لأكلك

دُهش عبدالله لمقدرته على قراءة أفكاره ولكنه آثر السلامة ولم ينبس ببنت شفه.

- لقد أحضرتك هنا لتنضم إلى الباقي من قوات جيشي

صمت لحظة ثم واصل آمرًا:

- فانظر خلفك

نظر عبدالله خلفه ليجد الآلاف من الشباب الذين يتشابهون في البنيان والملابس إلى حد كبير، فتعجب لرؤياهم وتعجب لوقفتهم الواحدة ووضعهم جميعًا أيديهم أمام خصورهم وملابسهم الموحدة.

- هذا جيشي من خيرة أبناء الأرض، وأنت منهم يا يوسف..

تساءل عبدالله بداخله عن ماهية هذا اليوسف أيضًا؟!!

- وكأنه سمع تساؤله رد قائلًا:

أنت جوزيف..

ثم ضحك ضحكة طويلة غير مبررة وواصل بخيلاء:

- جوزيف أوري، خيرة شباب إسرائيل

نزل عليه الخبر كالصاعقة وذهل أيمًا ذهول ولكنه لم يصدق.. ارتاب ولكن لم يصدق.

- إلا أن الكائن لم يمهله وواصل حديثه فقال:

الابن الأكبر لضابط المخابرات الإسرائيلي الأشهر على الاطلاق أورى أورى، والذي كبّد العرب على مدى عقود الكثير من الخسائر، زرعناك وأنت طفل صغير بمصر كما زرعنا إخوانك من خلفك بجميع بلدان العالم حتى يأتي يومكم الموعود يوم الهرمجدون يوم نسود العالم تحت إمرتى وحكمي..

لم يصدق عبدالله حرفًا مما قال هذا الشيطان، وكالعادة لم يتحدث وإنما قرأ أفكاره، فبدأ يقترب منه فجفل عبدالله تحسبًا لعقابه أنه قد كذبه وإن كان لم ينطق حرفًا من مكنون صدره..

، إلا أنه قد اقترب منه وقام بوضع يده على رأس عبدالله فبدأ الأخير يهتز ويرتج ثم تراءى له بلحظات شريط حياته منذ الصغر وحتى الخامسة من عمره

، مسح بيده على رأسه فشهق وتدافعت دفقات من المشاهد على مخيلته

الاسم: ... السن: .... الجنسية: إسرائيلي... من يهود الأشكناز

، ثم رأى مسلسل كيف تم زرعه بالقاهرة حتى صار من أهلها..مر كل ذلك أمامه وكأنه يعيشه ويشعره ولكنه لم يستغرق بعمر الزمان سوى دقيقة.

وقع عبدالله أرضًا على جانبه تعسًا مخدورًا من وقع ما رأى، وتفكر كيف إذا يحفظ كتاب الله ولأي داعٍ!!؟

- فجاءه الرد زلفة من كائنه الشيطاني:

أحفظناه لك كجزء من مخططنا لصهرك بمجتمعك الجديد، كما حشرنا بداخلك كثيرًا من المفاهيم والتعابير والفنون وغيرها..هذا سهل علينا يسير، وقد أفقدتك الوعي والذاكرة حين ألقيت القنابل النووية كباقي إخوتك هنا، حتى تندمج مع الناس وقت الكوارث كيوم ولدتك أمك، فلا تتلفظ بأية معلومة خطأ، ولا حتى وأنت نائم تحلم وتخطرف قد تودي بحياتك إن علموا حقيقتك

- ولأول مرة يتحدث عبدالله وقد اعتدل من مرقده فقال وهو دامع العينين:

ولكن..

- ما كاد يُتم كلمته حتى قاطعه الكائن وقال وهو يرفرف بجناحيه استعدادًا للطيران:

ولكن ليس لك وقت عندي فالوقت محدود..

فقط أربعون وهو ليس بالوقت الكافي..

وما إن أتم كلمته حتى طار وغاب عن ناظريه بضربة واحدة من جناحيه، فمازال ينظر تجاهه حتى أتاه صوت من أمامه فخفض نظره تجاه الصوت ليجفل جفلة جعلته يرتمي للوراء مترين وهو يبسمل ويحوقل.

نظر خلفه لينظر إخوته كما دعاهم الكائن من قبل، إلا أنه لم يجدهم

وكأنهم تبخروا وكأن لم يكن لهم وجود ملء الأعين منذ برهة، فزاده ذلك توجسًا وخيفة.

لم يكن يدري ماذا يرى ولم يستطع عقله تفنيد وتصنيف هذا الشيء الماثل أمامه، صحيح أن كائنه الخرافي الذي نقله ها هنا أسطوري أيضًا..إلا أنه إلى حد ما كان قريبًا من شكل أجساد البشر، إلا أن ما يتمثل أمامه الآن فلا توصيف له إلا خباله وخسارة عقله أو أن على الدنيا السلام.

كانت دابة أهلب كثيرة الشعر، لا يدري ما قُبله من دبره من كثرة الشعر، لا يستطع أحدًا لها وصفًا، جُل ما تحدثك به نفسك عنها فور رؤيتها أن هذه وحتمًا لا بد أن تكون شيطانة أو جنية مؤذية..فإن لم تكن كذلك فكيف يكون شكل الشياطين من الجحيم ذاته!!!

- قال بترقب ورعب بادين:

بسم الله الرحمن الرحيم، ما أنت؟!!

- أنا الجساسة
- وما الجساسة!!
- دعك مني وانتبه لربك

- ربي!! ربي الله..
- ربك كان ماثلًا أمامك منذ دقائق يا أبله..

*****

- قطعًا لا داع لتعريفك بوزير الدفاع بيتر تووم فهو من الشهرة بما كان

قالها جيم بينيت وهو يعرف بيتر إلى (شاؤول دافيد)

- شاؤول بالمناسبة يا سيد بيتر ابن جلدتي (ميهاشعاليم) التي قصصتك
خبرها بجلستنا المنصرمة، وهو مثلي من أشد المعارضين لقيام دولة
إسرائيل، وهو من الكوادر الشابة التي ندربها منذ فترة لإحداث
التغيير المنشود

، ثم تلفت حوله وقال مستدركًا:
يا لوقاحتي لم تجلس حتى الآن تفضل سيدي الوزير تفضل بالجلوس،
تفضل يا شاؤول

- قال بيتر وهو يجلس:
أي تغيير منشود تقصد سيادة السيناتور؟!

- لهذا أردت أن أعرفكم ببعض، لا أخفيك سرًا سيادة الوزير فنحن نرى
مثلك أن نهاية العالم باتت وشيكة، وأن دمار ونهاية دولتنا قاب قوسين
أو أدنى، ولذلك كنا نعد العدة بجيل جديد متنور نُبعده عن ترهات
التلمود وبروتوكولات الصهاينة وفكرهم المُخرب كما سبق وذكرت

أنت، وننشئه على حب التوراه الحق وعدم بغض باقي الديانات

، ثم إنه اقترب من بيتر وهمس:
وندربه على خوض الثورات

- قال بيتر بتعجب:
ثورات؟!

- نعم ثورات، نحن نخطط لثورة تقلب النظام بإسرائيل ذاتها وتعيد الحكم للفلسطينين كما ذكرت لك سابقًا، وبهذا ننجح بإفلات جنسنا اليهودي من دمار محقق وفناء أكيد إن قام علينا العرب بضربة رجل واحد، وهو ما لا أخفيك أننا نستشعر قربه

- جيل، ولكن ما دوري أنا بكل هذا؟!

- دورك كبير فنحن نريد منك زرع شاؤول برئاسة الوزراء بتل أبيب، وهذه مهمة لا يقدر عليها غيرك

- ماذا؟!
ولكن أنت تدري أنني أصبحت مكروهًا بالفترة الأخيرة وبالذات داخل حكومة إسرائيل

- أعلم، ولكني أعلم أيضًا أنك مازلت وزير الدفاع ومازلت تتمتع بكل الصلاحيات، إلى جانب أنك كنت رئيس المخابرات الحربية سابقًا وأعوانك بالسي اي ايه (CIA) لا يعدُّوا ولا يحصوا

- هل لي أن أعلم وما الداع ولم رئاسة الوزراء تحديدًا؟!

- بالطبع فأنت، حليفنا، شاؤول مع كثير غيره زرعناهم بأماكن حيوية سيسهل لنا نقل معلومات غاية بالأهمية نحتاجها من داخل جهات صنع القرار تساعدنا بالتمهيد للثورة المزمعة، ثم من يدري ماهية الأدوار التي يمكن إسنادها إليه بعد أن يصبح داخل الملعب

- سرح بيتر بعينيه بسقف الغرفة ثم أردف:
سوف نرى

*****

- وما كان ربك نسيًا..

قالها القرشي ردًا على اليزن وهو يمتطي جواده جواره وهم يدخلون بغداد دون مقاومة تُذكر.

فقد تعجب يزن من عدم خراب البلاد وحدوث فوضى رغم أنه لا توجد قيادة، فبعد أن هرب السامرائي فور علمه بقرب اليزن من أبواب

بغداد لم يشغل أحد منصب الرئيس بعده، ورغم ذلك فلم تقع البلاد ولا تلطمت العباد.

فور أن وطأت قدم اليزن بن عمار بغداد العاصمة، وبعد أن استسلم له كل الجنود بلا استثناء دون أدنى مقاومة تُذكر وهو ما كان يتوقع عكسه، كان في استقباله (مصعب أركان) كبير الياوران الذي أدى له التحية العسكرية فور أن رآه..

- تكلم يزن دون ود بلهجة جامدة تدل على الغضب:

كيف حالك يا كبير الياوران

- الحمدلله، بخير يا مولاي

، ثم وبفطنة من بموقعه علم شعور اليزن فواصل:

سيدي، تعلم أن موقفي كان صعبًا جدًا، فحالي كحال معظم الجنود الذين رأيتهم الآن..مجبر، وأضف إلى ذلك أنهم قاموا بخطف زوجتي وابنتي لإجباري على مجاراتهم وإطاعتهم، أنا آسف يا سيدي خفت عليهم، ما كنت لأخون ولد عمك، والدليل أننا فور هروب السامرائي قمنا بثورة على انقلابهم وقمنا باعتقال كل من عاونه وكل أتباعه وأنصاره وزججنا بهم بالسجون بمعاونة الشعب الذي نزل معنا وساعدنا فور علمه بحركتنا، ولذلك فأنت لا تجد مقاومة تُذكر فقد نظفنا العاصمة وطهرنا البيت من الداخل استعدادًا لقدومك..

، ثم واصل بانكسار:

ولكن ابنتي وزوجتي لا ذنب لهما ولا جريرة ولا حول لهم ولا قوة.

- بصوت عالٍ جاوبه بعنف وقال:

وما ذنب البغدادي وما جريرته؟!

ولما لم تَفْعِلوا انقلابكم المضاد هذا وهو حي!!؟

- سيدي لقد فعلوها بغتة، هل تشك أننا تخلينا عن الرئيس البغدادي لحظة، لقد تفاجأنا كما تفاجأت بالخبر، لو كانت رأسي ثمن فداء ابن عمك لفعلت عن طيب خاطر

- بذات اللهجة الحادة التي لم تخف وتيرة حدتها قال:

كلام تردده كما يردده الكل، ألا سحقًا لكم جميعًا

لم يرد مصعب وطأطأ رأسه ونظر أرضًا، وقام القرشي بالربت على كتفي اليزن ليهدئ من ثورته وأومأ له برأسه أن يعفو عن كبير الياوران، فصمت اليزن وتجاوزه.

- فما كان من كبير الياوران إلا أن همس بصوت خفيض:

سامحني سيدي الرئيس

- سمعه اليزن فاستدار له وقال بتهكم:
وهل نصبتني رئيسًا أيضًا؟!

- لم أنصبكَ يا سيدي، وإنما الشعب قد ولاك.. تقدم يا سيدي وستفهم

لم يفهم ما يعنيه ولم يعره اهتمامًا كبيرًا، ولكنه ما كاد يتوغل أكثر حتى فهم، ففور وصوله قبيل المقر الرئاسي وجد أن الناس قد احتشدت أمامه، جموع غفيرة لا تُحصيها العين، وفور أن رأوه بدأوا الهتاف باسمه واعدينه بالدعم والوقوف خلفه مهما كان، فحياهم وخطب فيهم أنه مِلكٌ لهم ورهن إشارتهم.

وفور ولوجه المقر الرئاسى وجد عددًا من الوزراء والمسؤولين قد رُصوا صفًا في انتظاره لمبايعته وتقديم فروض الولاء والطاعة، فمشى يحييهم ويصافحهم فردًا فردًا، وسط مراقبة القرشي له الذي علت وجهه ابتسامة مشرقة عريضة.

وما زال اليزن يصافح قومه حتى وجد بآخر الصف كبير الياوران مرة أخرى، فحدجه بنظرة عتاب نارية هذه المرة وقد لان له قليلًا ولكن لم يفصح عن ذلك بمرآة وجهه، فقام كبير الياوران بالربت على كفه بكلتيْ يديه ثم قام باحتضانه فجأة.

- وقال يحدثه بأذنه وهو يبكي:
بالله عليك صدقني وسامحني، فلم يكن بيدي شيء..

- رد عليه اليزن وهو يدمع هو الآخر ولم يحتضنه كما يفعل هو:
كنت من المقربين القريبين من قلبه، كنت من أصدقاء عمره، أهان عليك، هان عليك؟!

- علا نشيجه وهو يجيبه:
لم يهن ولم أخن أو أفكر بها حتى وما كان باستطاعتي شيء

- كان يجب أن يكن لك دور.. أي دور..
ثم صار نشيج (مصعب) بعد كلمة (اليزن) الأخيرة إلى ما يشبه العويل، ولم يكن اليزن قد بادله الأحضان حتى الآن، فقام برفع يديه وحضنه كما يفعل وربت على كتفه لتهدئته وقد حن له، ولكنه لم يريحه بها ولم يُسمعه الكلمة التي أرادها، ولم يلفظ بأذنه اللفظة التي انتظرها وتاق لسماعها ليشعر براحة ضمير ولو وهمية..ليشعر أنه قد أزاح من فوق كاهله جبل أثقله..
لم ينطقها ولم يلفظها له..
لفظة ..(سامحتك)..

*****

حضر حاييم مسرعًا لتلبية أمر رئيس الوزراء حين استدعاه على وجه السرعة.

- أهلًا حاييم تفضل

- أهلًا سيادة رئيس الوزراء

- أخرج سيجارًا من العلبة أمامه وقام بقطع طرفه ثم اشعاله وقال وهو ينفث الدخان بالهواء:

حدثني، ما الجديد؟

- بأي صدد؟!

- تبسم دون إيحاء وقال:

بصدد الأمر الذي كلفتك باستطلاعه المرة الأخيرة

- تقصد الدابة؟

- نعم

- قال بثقة:

كما قلت لك سيدي بتقريري الذي سلمته إياك بعدها بساعة واحدة كما أمرت، محض هراء لا أصل له، آية بقرآنهم يريدون جلب الحياة لها لا أكثر

- أومأ برأسه وهو يسحب نفسًا من سيجاره وقد بانت على وجهه علامات التمعض ثم قال:

نعم، صحيح، محض هراء..

، ثم قام بضغط زر جرس استدعاء بجواره لينفتح باب من أبواب مكتبه

المتعددة ليدخل منه (نداف مرثيل) الذي ما إن رآه حاييم حتى تبدلت ملامح وجهه ليعلوها التبرم والضيق اللذين لم يستطع اخفاؤهما فصارا رغمًا عنه باديين للعيان.

جلس (نداف) دون أن يدعوه نوعام - كأنما اتُفِق بينهم على ذلك - على الكرسي أمام حاييم، وقام بوضع ساق على ساق في استعلاء وزهو جليين.

- وضع نوعام سيجاره بالمنفضدة أمامه وقال بجدية وبلهجة عملية سريعة:

لندخل بصلب الموضوع..

قلت لي يا حاييم منذ لحظة أن الدابة محض هراء وتخاريف مسلمين، أليس كذلك؟!

- رد حاييم بتردد مغاير تمامًا لثقته بنفسه منذ دقائق وقد انقلب التبرم الذي يعلو وجهه إلى قلق عميق استطاع شق مجاريه من داخل أعماقه إلى سطح صفحة وجهه وقال:

نعم، نعم سيدي كل الدلائل والمبعوثين الخا...

- صه يا حاييم، صه..

لطالما شكوت لي من جور جهاز (الشاباك) في الاختصاصات على جهازك (الموساد)، وببعض الأحيان كنت لا أستطيع الفصل باختصاصاتكم

لتداخلها وتشابكها، ورغم أن (الشاباك) أصغر الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية التي تضم الأقسام الثلاثة لأجهزة الأمن الإسرائيلي العام..

جهازك (الموساد)، وجهاز المخابرات العسكرية (أمان)..

إلا أنه أكثرها حضورًا وتأثيرًا

- قال حاييم معترضًا:

أنتم من جعلتم له ذاك التأثير..

فقد أصبح لا يمكن مقارنة تأثيره الطاغي بتأثير أي جهاز أمني آخر في إسرائيل.

حتى أن هذا النفوذ الواسع الذي يحظى به جعل كبير معلقي صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية (ناحوم بارنياع) يقول إن رئيس «الشاباك» هو الحاكم الحقيقي للدولة.

نظر إليه نوعام شظرًا بعد كلمته الأخيرة وقد اعتبرها إهانة شخصية لشخصه، إلا أنه لم يعقب وتركه لاسترساله حتى يدلو بدلوه كاملًا.

- فلم يأبه له وواصل باندفاع:

والسبب في هذا النفوذ أن الحكومة الإسرائيلية لا يمكنها أن تتخذ قرارًا يتعلق بالنزاع مع الشعب الفلسطيني دون الحصول على موافقة قيادة (الشاباك).

، صمت لحظة لالتقاط أنفاسه وقال بنفس العصبية:

حتى أن وسائل الإعلام أجمعت على أن الحكومة تضرب بعرض الحائط توصيات بقية الأجهزة الأمنية الأخرى إذا كانت تتعارض مع التوصيات التي يقدمها (الشاباك).

- واصل نوعام النظر إليه بغضب ثم قال بهدوء لا يناسب نظرته:

من الطبيعى أن تراجع الحكومة الشاباك بأي شأن فلسطيني فهذا اختصاصه على أية حال

، ثم اعتدل بجلسته وقال بنبرة لائمة مستهزئة:

أما غير الطبيعى سيد/ حاييم / أن تأتينى المعلومات الصحيحة غير المغلوطة العالمية - غير الفلسطينية - من (الشاباك) ولا تأتيني من (الموساد)..

- لقد ضخمتم دوره يا سيد/ نوعام / حتى أصبح ليثير الريبة خاصة القسم العربي منه..

أكبر أقسام الشاباك والذي تنحصر مهمته في اكتشاف خلايا ومنظمات معادية داخل المجتمع العربي في إسرائيل..

فقط في إسرائيل

، ونظر شطرًا تجاه نداف وواصل استرساله:

أما الخارج فمن اختصاصنا نحن وقد غفل الشاباك عن ذلك أو بالأحرى

الغافل رئيسه عن ذلك، حتى كُتبت عنه الكتب..

ككتاب

«حراس البوابة.. رؤساء الشاباك يتحدثون»

والذي تحدث فيه كاتبه (درور موريه) عن العمليات التي قام بها الجهاز بحق الفلسطينيين.

، ثم توجه بحديثه لنداف وتسائل:

ألم تسمع عنه سيد نداف؟؟!

، ثم وبضحكة استفزازية نابعة من غيظه قال:

اه نسيت أنكم معنيون بالشأن الداخلي فقط.

هذا الكتاب الذي يدور حول ستة رؤساء للشاباك هم «أبراهام شالوم، ويعكوب بيري، وكرمي غيلون، وعامي أيالون، وآفي ديختر، ويوفال ديسكين».

، وبتهكم جليّ هاجم نداف قائلًا:

وحتى لو كنت تعرف الكتاب أو سمعت عنه من قبل أعلم أنك لن تتفوه بذلك..

وذلك ببساطة لما ذكره المؤلف من أن رؤساء الشاباك الستة قد اعترفوا بقتل فلسطينيين مشتبه بتورطهم في أعمال معادية، وإصدارهم أوامر باغتيال آخرين.

اعترفوا..

، ثم أدار دفة الحديث تجاه نوعام وتساءل:

فهل رأيت يا سيد نوعام رئيسًا واحدًا للموساد قد اعترف بشيء من قبل!!

- تبسم نداف وقال بسخرية وتهكم:

هل سنقلب الجلسة للتحدث عن أقوال الكُتاب والأدباء؟!

ولا أعلم لماذا سيد حاييم تقلب العمل لعداء شخصي على الصعيدين صعيد الأفراد (أنا وأنت) وصعيد الجهازين (الموساد والشاباك)؟!

نحن يفترض بنا العمل سويًا في تناغم وليس تبادل العداءات والأحقاد والضغائن..

ثم أنا أستطيع ذكر مائة مقال وكاتب شكروا بالشاباك كما هجوته أنت الآن..

مثلًا كما قال المحامي الإسرائيلي (أفيغدور فيلدمان) إن جزءًا كبيرًا من عمل الشاباك ينصب على مراقبة المواطنين العرب ولذلك فأحد الأسس القوية في الشاباك يتمثل في المتعاونين، ولا تخلو قرية عربية من متعاونين مع الشاباك

، ثم بتهكم وهو يتبسم تساءل:
فهل عدد المعاونين للموساد المعنيِّ بالشأن الخارجي يساوي عدد المعاونين للشاباك بالشأن الداخلي!

ندت عنه ضحكة عالية نجح بها بإثارة حاييم الذي كاد ينفجر غيظًا إلا أنه آثر الصمت وترك دفة الحديث لنوعام الذي ابتدأ الكلام.

- فقد حول (نوعام) بصره للنظر تجاه (نداف) وقال مبتسمًا وكأنه فرح بغيظ (حاييم):
نداف، ما معلوماتك عن الدابة
- توجه (نداف) بناظريه تجاه (نوعام) وتجاهل (حاييم) طوال حديثه الذي قال به:
ظهرت بمكة وجابت العالم كله ويقولون عنها أننا لا نتذكرها لأنها تنكتنا نكتة سوداء ننسى بعدها ظهورها، وأن المسلمين يستطيعون تمييز نكتتنا السوداء بينما لا نستطيع نحن تمييزهم بنكتتهم البيضاء

- قال حاييم وقد عوج زاوية فمه متهكمًا:
وما الجديد، هذا يطابق ما قلت آنفًا، فهل هذا علم خاص ما يدعيه؟!

- قال نوعام بنفاد صبر:
الجديد يا رئيس الموساد أن هذه الدابة قبيل اختفاؤها واجهت الرئيس الصيني، وقد اقتنع بها للأسف ونكتته نكتة بيضاء كما يقال...

، ثم واصل بصوت عال:

وهل تدري ما معنى هذا وتأثيره؟!

معناه انقلاب واختلال كبير بميزان القوى العالمي..

الصين قوة لا يستهان بها كما تعلم، أم لا تعلم هذا أيضًا!!

، ثم علت نبرته حتى بلغت مداها وهو يقول:

وممن تأتيني هكذا معلومات..

من رئيس الشاباك الذي اختصاصه داخلي وليس من رئيس الموساد

- كثير الشكوى - صاحب الاختصاص الخارجي الذي من المفترض أن يكون هذا شأنه.

- قال حاييم في محاولة لحفظ ماء وجهه:

كنت سأذكر لك موضوع الصين هذا

- قال نوعام متأففًا:

كفى كذبًا وإدعاءات

- سيد نوعام..

- اسكت يا حاييم واستمع لي دون زيادة، الآن أنا أريد جمع كل المعلومات الممكنة وغير الممكنة عن موضوع الصين هذا، حتى إذا خرج المنتظر المخلص ويان كنا في عونه بما جمعناه من معلومات على الأقل

، صمت هنيهة حدجه خلالها حتى كاد حاييم أن يتصبب عرقًا وقال: وإلّا فالويل لك منه حين يظهر.

*****

أفاق عبدالله من نومه وهو ينطق باسم فاطمة حيث زارته بمنامه، ليجد هذا الكائن أمامه متبسمًا بخبث ابتسامة لم يرتح لها، شعر معها ولم يدر لماذا أنه قد شاركه حلمه وكشف ستره

- قال وهو يدور حوله:
تحبها

- من؟
- فاطمة
- قال وهو ينظر أرضًا وقد علم صدق حدسه:
حب طاهر

- ضحك الكائن ضحكة طويلة مدوية وقال يسأله:

طاهر..
وهذا المني بسروالك طاهر أيضًا

- صُدم عبدالله من سؤاله وفجاجته وقال متلجلجًا:
سأتزوجها..
أنا لا أبتغي غير الزواج، ثم إن هذا عقلي الباطن وأنا بشر لا أكثر، وربي
لا يحاسبنى على أحلامي

- عوج الكائن جانب فمه وقال باستهزاء:
ربك..

، ثم اقترب بفمه من أذن عبدالله وهمس:
ألم تخبرك الجساسة من أنا!

- ماذا تعني؟!
- ألا ترى قدراتي
- فيم أنت تتحدث؟!

- أتحدث عن رحمتي بك يا أبله، رأيتك تشتهيها فأحضرتها لك بمنامك
لقمة سائغة دون عناء، حتى تكون التجربة خير دليل، ألم تشعر أن
حلمك كان حقيقيًا أكثر من اللازم!

- إذن هذا فعلك
- وأكثر.. فقط تمنى
- ولكني لا أتمنى الحرام
- حرام، وما الحرام!! أنا أحلل لك كل شيء

- ومن أنت لتحلل وتحرم؟!

- حدجه بنظرة نارية ثم قال:

دعك من كينونتي..

أنا أعرض عليك أن آتيك بمحبوبتك بلمح البصر لتكون لك قرة عين ولتفعل ما يحلو لك ودون حلال أو حرام أو عقاب

- خاف عبدالله على فاطمة منه وقال بتوجس:

أنا لا أريد منك شيئًا، فقط اتركني لحالي ولا تلعب برأسي وتدخل داخل تلابيب عقلي..

أنا لا أعلم من أنت ولا ماذا تريد مني، ولا أريد أن أعلم، فقط اتركني أرجوك

- أيها الغبي، من تعتقد أنه أتى بك من القاهرة ووضعك وسط عائلة فاطمة!

- أهو أنت من فعل ذلك؟!

- نعم

- ولم؟!

- بتقديري لفتاة أحلامك، كانت فاطمة المرأة المثالية لك، لقد أسديك معروفًا لو تدري

- تعجب عبدالله وكاد يجن وتساءل قائلًا:

وما الذي يعود عليك من كل ذلك؟!

تبحث لي عن فتاة أحلامي..

وتُفقدني الوعي وتنقلني من القاهرة لسيناء ثم من سيناء لهنا..

ماذا تبغي مني بحق الله؟!

- لا تتعجل، سوف تعلم لاحقًا..

، نظر إليه مليًا وعاد بمجرى الحديث لمبتغاه وقال:

ولقد يسرت لك الاختلاء بها مرات ومرات إلا أنك عنيد وكنت تقاوم شهوتك

- اندهش عبدالله وقال متعجبًا مستنكرًا:

ولماذا تريدني أن أخطيء، قلت لك أريدها بحلال الله

- وأنا أقول لك، إن شهوتك محض حلال، ومن كتاب الله أيضًا..

- ما هذه الهرطقة وهذا الهراء الذي تهذي به!!

لم يرد عليه وإنما مد يده أمامه بالهواء فأخرج كتابًا من العدم ثم ناوله لشخص ظهر عن يمينه فجأة وقال له اقرأ، وحين دقق عبدالله بهذا الشخص وجده خالدًا، إلا أن الأخير لم يُعر عبدالله اهتمامًا وكأنه لا يعرفه وكأن كل ما يحدث شيء عادي.

- فتح خالد الكتاب وشرع يقرأ فقال:

سفر نشيد الإنشاد، الأصحاح ٧، العهد القديم..

مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ.

سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ.

ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ.

عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ.

عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ.

رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ.

مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ!
قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ.
قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ
الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ،
وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ.

- تبسم الكائن وقال مخاطبا عبدالله:

أرأيت يا جوزيف، هذا كتابنا كيف يصف محبوبتك، لم الإنكار ولم التواري إذن؟!

نظر عبدالله تجاه خالد وهو يستشعر الحرج من أن يكون الكلام والوصف عن أخته كما قال.

- فضحك الكائن من خجل عبدالله وقال بعناد موجهًا حديثه لخالد وقد قرأ الأفكار برأس عبدالله:
عمّن كان هذا الوصف الذي قرأته حالًا

- رد خالد بآلية وقال:
عن فاطمة

- ولمن فاطمة
- لجوزيف أوري

- وجه الكائن نظره تجاه عبدالله وقال بزهو وحبور:
ارأيت.. ثم شاور بيده لخالد فرجع خطوتين للوراء وهو ينحني برأسه بجهلًا ثم اختفى وتلاشى بالعدم من حيث ظهر

- تضاربت مشاعر عبدالله وعلا صدره وهبط من فرط قوة ضربات قلبه وقال وهو يتميز غيظًا:
أنت الشيطان

- قال الكائن بأريحية مثيرة للريبة:
أخطأت

- أنت إبليس

- للمرة الثانية أخطأت..
أخطأت بتقديري حق قدري، إبليس لا يُقارن بي، فإبليس جُل ما يفعله الوسوسة أما أنا فلا أوسوس، أنا أقول كن فيكون

- من أنت وماذا تريد مني؟!

- أريد لك كل الخير..
أريد لك الراحة والدعة على جزيرتك هذه مع فتاة أحلامك، وإن أمرت تكن أحلامك أوامرًا بلحظة..

بطرفة عين تأتيك محبوبتك وتصير هذه الجزيرة ملكك ومنزلك..
بل وأزيدك عليها ألف جارية طوع يمينك ورهن إشارتك..
وتصير الجساسة وأقرانك هنا خُدامك أبد الأبدين

- والمقابل؟!
- فقط دع عقلك لي ولا تعاند رغباتك
- ولم؟!!
- السبب يتكشَّف في حينه، لا تشغل بالك به حاليًا

- قال عبدالله بعناد جليّ:
كلا

كان عبدالله يتوقع غضبة منه تُحيل حياته جحيمًا بعد رفضه، إلا أنه فوجئ بهدوء الكائن وابتسامته العريضة التي فتحت هوة الرعب بأعماقه عن آخرها

- جاوبه مبتسمًا وقد بدأ يطير مرفرفًا بجناحيه:
الخيار خيارك..والجساسة قرارك

*****

كانت آخر كلمة تصدر عنه أثناء انقلاب سيارته وهو يستشعر مرارة الغدر ويرى النهاية:
فوبيا آل صهيون..!

*****



﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾

(النازعات: ٢٤)

بعد أن أفاقت فاطمة من الإغماءة التي وجدها عليها أباها على شاطئ البحر، لم تتكلم ولم تنطق بحرف..

فقط كانت تنظر للسماء كأنها ترقب شهابًا أو ترتقب نيزكًا، وقد عجب والداها لأمرها وسألوا خالد عشرات المرات مستفسرين فكان يعطيهم نفس الجواب:

- وجدتها كذلك على الشاطئ حين خرجت أتمشى على البحر ولم أجد لعبدالله أثرًا..

وكم توجس أباه من إجابته هذه ولكنه كان منشغلًا أكثر باختفاء عبدالله الفجائي هذا، فما إن استيقظوا من نومهم قبيل الظهر ولم يجدوا فاطمة ولا خالد أو عبدالله فخرجوا للبحث عنهم ولم يعثروا للأخير على خبرٍ حتى بدأ الشك يلعب بقلب محمود، فقد لعبت به هواجسه إنَّ هذا النذل قد فعل فعلته بابنته بعد أن غرر بها، وبدأ عذاب بصدره يقطع أوصاله تقطيعًا ويؤنب نفسه ويُلهب ضميره لماذا لم يستمع لصوت عقله تجاه هذا الرعديد!!

الويل له إذا وجده..

قام محمود بعدها باستعارة سيارة قريبه ووضع بها كل العائلة وانطلق من فوره تجاه شرم الشيخ عازمًا هذه المرة على أمرين:

أولهم إلحاق ابنه بالجيش كما كان مخططًا له

، وثانيهما إيجاد الجبان وقتله حتى وإن كان آخر ما يفعله بحياته..

، وما إن وصلوا طور سيناء حتى بدأت السيارة تأتي بأصوات شتى

وتبرجلت حتى توقفت وسط الصحراء وكان النهار شارف على الانتهاء،
فترجلوا من السيارة ووقفوا يحاولون الركوب مع أحدهم بعد أن حاول
محمود إصلاح السيارة دونما جدوى تُذكر، إلا أنهم لم يفلحوا في إيقاف
سيارتين مرتا بهم خلال ساعة كاملة فقط، فآثر محمود التخييم بالصحراء
كالأيام الخوالي وحمد ربه أنه لم يترك عدة التخييم وأحضرها معه، توغلوا
بالصحراء حتى وجد محمود مكانًا مناسبًا فأمرهم بالتخييم

، توغل خالد خطوات للأمام داخل الصحراء بعد أن أمر أبوه الجميع
بالتوقف والتخييم مكانهم، فذُهل محمود وناداه مرات إلا أنه لم يجبه فرمى
ما بيده وتبعه وتبعتهم نجوى وفاطمة متعجبين، حتى وصل خالد لبقعة
فتوقف ثم فجأة خرَّ ساجدًا أرضًا وسط تعجب محمود ونجوى أما فاطمة
فقد فطنت إلى ما سيحدث أو بالأحرى سيحضُر..

- فقالت فاطمة وهي تبكي بصمت:

وأعوذ بك ربي أن يحضرون

وما كادت تتم كلمتها حتى أتى من السماء مرفرفًا بجناحيه تجاههم
وحط أمام خالد الساجد له وسط خوف وفزع الجميع الذين شُدهوا للرؤيا
وشهقوا هولًا ورجعوا في غريزية فطرية للوراء خطوات وخطوات..

- قال محمود بصوت متقطع بعد أن حاول أن يبتلع ريقه الذي صار

كنبتة صبار بصحراء قاحلة مرات ومرات:

بسم الله الرحمن الرحيم..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

بسم الله الرحمن الرحيم..

من أنت بحق الله!!!

- من أنا..

ههههههههههه

أتريد أن تعرف من أنا يا محمود..

أنت بالذات تعرفني حق المعرفة..

ولكنك لا تدركني.. فقط لا تدركني

ولتعرفوني سأريكم من أنا، فقط افعلوا ما تؤمرون..

انظروا إلى السماء..

ففعلوا ما طلب منهم ورنوا بأنظارهم ناحية السماء.

- فقال بكل بساطة:

أمطري..

وكأنه أمرها بدأت السماء تمطر رغم الشمس الساطعة وقلة السحب

- فواصل:

انظروا إلى الأرض القاحلة تحت أقدامكم..

فتوجهوا بأنظارهم تجاه الأرض..

- فقال بأريحية وهو يتبسم:

أخرجي خيرك..

ولعجبهم فقد أَخْدَقَتِ الأَرْضُ وأخرجت زرعًا لتوها، على مدى البصر يمنة ويسرة، صارت الصحراء خضراء وبغمضة عين، نبت النبات أمام أعينهم الشاخصة الذاهلة وكأنه مشهد سينمائي يجرى بسرعة خرافية..

وقف الجميع مشدوهين غير مصدقين ذاهلين وقد أصابهم الوجوم، وهم للخبال أقرب من الرشد، عدا خالد الذي حافظ على ابتسامة تشي بالفخار تعلو وجهه منذ أن ظهر سيده.

- وبصوت جهوري مرعب ضحك ضحكةً طويلة ثم قال:

ألا زلت لا تعرف من أنا..

إن أوجه عملتي تتعدد..

فأنا كل من أحدث فارقًا بالتاريخ..

أنا القوى المسيطرة من وراء حجاب ومن أمامه..

أنا كل من وجه الناس لفكر زرع الشك بينهم وفرقهم شيعًا..

أنا بكل زمان ظهرت وبكل أرض حططت..

ثم بدأ شكله يتحول لشخوص أدمية..

كلما نطق اسمًا تبدل وجهه ليمثل شكل هذا الاسم الذي ذكره

- قال:

أنا..

أنا روزفلت..

أنا تشرشل..

أنا شمعون بيريز..

أنا كارل ماركس..

أنا فريدريك إنجلز..

أنا أوباما..

أنا ستالين..

أنا فولتيير..

أنا جان جاك روسو..

أنا بوش الأب والابن..

أنا تشاوشيسكو..

أنا بنجامين فرانكلين..

أنا نتنياهو..

أنا ترامب..

أنا هتلر..

أنا موسوليني..

أنا جورج واشنطن..

أنا سامرائي قوم موسى وأنا خوار العجل وقدسيته!

، ثم سكت للحظة وبرقت عيناه وواصل بصوت كالرعد:

أنا تيودور هرتزل..

أبو الصهيونية جمعاء وموسى اليهود في العصر الحديث وواضع برتوكولات حكماء صهيون..

أنا الماسونية العالمية والإيلوميناتي وفرسان الهيكل ومنظمة الجمجمة والعظام وكل المنظمات السرية التي لم تعد سرية!

، ثم زادت نبرته حدة وبصوت، صم الآذان واصل قائلًا:

أنا المسيا المنتظر..

وكل منتظر غيري إفك مبين..

أنا نبي الله ورسوله..

أنا المسيح بن مريم..

وتوقف عن الاسترسال لبرهة حدجهم بها ثم قال ببطء وهدوء وهو يبتسم:

أنا سيدكم محمد بن عبدالله..

- فباغته محمود بالرد رغم رعبه:

خسئت وكذبت يا كذوب، أنّي لك أن تكون أشرف الخلق يا بغيض، أنّي لك أن تكون محمدًا أو عيسى عليهما السلام

- نظر إليه شذرًا وقال بصوت كالرعد:

اخرس يا عبد..

، لا أدري لماذا تنكر وجودى وأنا كل هؤلاء وكل هؤلاء أنا..ألم تسمع قول الصوفيين قبل ذلك:

(ليس في الجُبِ إلا الله)

- تعجب لقوله وقال مستفهمًا:

وما علاقة الله بما تدَّعي؟!!

- بدأ يعلو عن الأرض ويرتقي في السماء وهو يكبر حجمًا وبصوت

تزلزلت له الأرض من تحتهم واهتزت الجبال له هزًا واصل قائلًا:
أنا «يهوا» أنا «أدوناي» أنا «الوهيم»!!

أنا ربكم الأعلى..

،ثم رعدت السماء في مشهد لن ينسوه ما حييوا وهو يصرخ بنبرة جعلت كل الموجودين يرتمون أرضاً من هولها وهم يسدون أذانهم بأيديهم قائلاً:
أنا اااااالله

وفور أن قالها ولفظ لفظ الجلالة حتى تبدلت ملامحه ،وكان محمود أول من لاحظ ذلك..
طفأت عينه اليسرى لتبرز من محجرها وقد مُسحت فصارت بيضاء ،وجَعَدَ شعره حتى صار كالليف الخشن ،وحُفرت بين حاجبيه بوسط جبهته كلمة كافر..

– استوى محمود على قدميه واقفًا واقترب منه في تحدٍ سافر وقال له بنبرة قوة لم يعهدها بنفسه:
أنت كاذب أشر..
أنت كافر.. لقد علمت ماهيتك يا عدو الله..
أنت المسيح الدجال عليك لعنة الله
– أوترى سيظل كلامك كما هو إن أنا أعدت لك والديك؟!
ثم نظر يمينه وقال:
أذنت لكما بالظهور..

فخرج من وسط اللاشيء، رجل وامرأة عجوزان يتسند كل منهما على عكاز خشبي..

– فور أن رآهما محمود خر على ركبتيه وحدث نفسه:
لا يمكن، غير صحيح

– عاجلته المرأة قائلة:
ولدي.. محمود..
اشتقت لك يا ولدي يا فلذة كبدي ونور عيني

– بكى وهو يتفحصها وصرخ:
كلا..أنتما لستما والدي .. أعلم أنكما شيطانان ولكن لم أتخيل أن يحدث هذا معي

– قال الرجل:
سلامة عقلك يا ولدي، أنا أبوك وهذه أمك

– وعاجلته المرأة قائلة:
هذا ربك يا ولدي..
الرحمن الرحيم فلا تكفر فتكونن من الهالكين، وانظر..
، ثم شاورت بكلتي يديها عن يمين ويسار هذا الكائن وقد تركت العكاز بيدها ليقع أرضًا وقالت:
وهذه عن يمينه جنته..جنة عدن

وفور فراغها من كلمتها ظهرت عن يمينه حدائق غناء وأنهارًا تجري وحسناوات يرفرفن كالملائكة وبيوت مشيدة لم يروا لها مثيلًا من قبل وروائح عطرة زكية لم تنعُم حاسة شمهم بمثلها قبلًا تفوح من قِبَلِها..

، ثم واصلت بلهجة تحذيرية:

وهذه عن شماله ناره..نار جهنم

أعوذ به أن تكون يا ولدي من سكانها

انظر..

فظهرت للتو نار عظيمة عن يساره بدأت باللون الأصفر فتحولت للأحمر فالأبيض فالأسود..نارٌ سوداء عظيمة كالطود يتطاير منها شرر فيقع أمامهم على الأرض ليصير حيات وعقارب ضخمة تنتشر بكل اتجاه عدا ناحيتهم وكأنه مشهد يشاهدونه بالتلفاز وهم في مأمن منه..

- إنهار محمود كليًا وشعر أنه يهزي إلّا أنه حاول التركيز وقال:

أنتما شيطانان تتمثلان بصورة والداي ليس إلا

، أعوذ بالله العظيم من كيد الشيطان اللئيم..

وفور أن استعاذ بالله حتى اختفى والداه وتلاشا ليندمجا بالعدم وكأنهما لم يكونا ملء الأسماع والأبصار منذ لحظة.

حدجه الدجال بغضب ثم أشاح بنظره عنه ووجهه تجاه نجوى وقال

محدثًا إياها:

- أنتِ..اقتربي

، ثم بيده أمسك بلاشيء وسحبها تجاهه فسُحبت حتى صارت على بعد مترين منه فنزل من السماء واتجه ناحيتها..

- قال وهو يدور حولها:

أتشهدين أني ربك

- جاءها صوت محمود صارخًا ناهرًا:

كلا يا نجوى اثبتى إن هو إلا الدجال وربك الله، والله ليس بأعور

، رماه بنظرة نارية وتوعده قائلًا:

دورك لم يحن..

لتكونن أشد عذابًا عن العالمين

، ثم تابع مع نجوى وقال:

فما قولك؟

- أشهد أنك الدجال وأن ربي الله لا إله إلا هو

، فتقدم منها ومرر إصبعه على منتصف جبهتها نزولًا حتى حوضها، وما أن انتهى حتى فُلقت نصفين كثمرة فاكهة ليقع كل نصف باتجاه، لتصرخ فاطمة ومحمود بنفس واحد منادين بلهفة تخالطها وتغلبها حرقة ولوعة:

نجوى..

أمي..

، فنظر إليهم وهو يضحك تهكمًا، ثم قام برفع النصفين الممثلين للجسد الذي كان منذ لحظة نجوى بلحمها وشحمها، فضمهم لتشهق نجوى وتعود روحها من العدم كأن شيئًا لم يكن..

، فيقرب وجهه منها ويركز بعينيها ويقول:

فما رأيك؟!

- فأتته إجابتها بغتة:

رأيي أنك الكافر الدجال وأن ربي الله لا إله إلا هو تبارك وتعالى عما تصف وما زاد ظني وحدسي فيك أنك الدجال إلا وثوقًا

لم يمهلها لحظة بعدها فأمسك بتلابيبها وقذفها في ناره وهي تصرخ لتندمج صرخاتها مع صرخات ابنتها

- ليقول محمود بثبات محدثًا ابنته:

لا تخشي شيئًا يا ابنتي، إن ناره جنة، وإن جنته نارٌ..

إن والدتك بأمان الله

- سمع كلمته فضحك طويلًا وقال باستهزاء:

أتظن حقًا أن من يحيي والديك ويفلق زوجتك نصفين ثم يعيدها بغمضة عين للحياة كأن لم يكن شيئًا.. أتظن أنه غير قادر على الإحراق!!

، إذًا فلتحسب ما تحسب وها هي ابنتك اقذفها خلف زوجتك

ثم صعد بالسماء ومسك الهواء بيده وسحب لتأتيه فاطمة مُساقة أمامه ليقذفها بالنار في جزء من الثانية ليصرخ محمود باسم ابنته وهو ملتاع القلب.

- فيضحك ضحكة طويلة ويقول له:

أراك وقد بدأ إيمانك بربك المغاير يتزعزع..

، لا تخف سوف أودع ابنك خالد بجنتي حتى يكون لك عوضًا..أما أنت..

، ثم واصل ضحكه وهو يقذف بخالد إلى جنته..

ونزل إلى الأرض ثانية وتوجه في تؤدة بخطوات ثابتة نحو محمود

- رفع محمود نظره تجاهه وقال بلهجة متحدية بينما هو يتبختر متجهًا ناحيته:

تذكرت يا لعين قول رسولي الكريم..

، ثم واصل بسرعة شديدة وقد لاحظ تبدل معالم وجه الدجال وعبوثه بعد إذ كان منفرج الأسارير:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)

مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)

وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤)

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾

(الكهف: ١-٥)

، لاحظ تقهقر الدجال الذي بدأ يقدم رِجلًا ويؤخر الأخرى وينظر له نظرة غضب مبين بينما يتلو القرآن فاستحثه ذلك أكثر على المواصلة والاسراع..

- فواصل بلهفة محمومة:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)﴾

(الكهف: ٦-٨)

، بدأ الدجال ينهار فعليًا فانحنى يسند جسده بيده وهو لا يستطيع رفع رأسه لينظره حتى..

- فواصل:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾.

ما كاد ينتهي من الآية العاشرة ولم يحتمل الدجال أكثر فوثب من مكانه للسماء وثبة عالية وضرب الهواء بجناحية ضربة واحدة ليختفى عن ناظري محمود بغياهب السماء وسط السحاب.

*****

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

*****

اعتدل عضو مجلس الشيوخ (جيم بينيت) بجلسته مشدوهًا فاغرًا فاه، لم يصدق نفسه وهو يقرأ الخبر الذي يتصدر الصفحة الأولى بجميع الصحف الأمريكية والعالمية:

... وفاة وزير الدفاع الأمريكي الجنرال بيتر تووم إثر حادث سيارة عنيف

... فرار سائق السيارة النقل الكبيرة التي تسببت بالتصادم

... مازال الحادث قيد التحقيق لفهم ملابساته والوقوف على أسبابه وتفاصيله

... جنازة عسكرية تليق بالفقيد تقام الغد بالتايمز اسكوير (Times Square)

فور أن أنهى القراءة نهض من على كرسي مكتبه مسرعًا، وتوجه لسيارته وقادها لينهب الطرقات نهبًا وهو يتفكر أثناء اجتياز الشوارع في ما يجب فعله، هو ذاك يرى بأم عينيه ما حسب لوقوعه منذ زمن، كان يعلم تمام العلم أن ما حدث لوزير الدفاع أمر حتمي..

فقط هي مسألة وقت..

حذره صراحة حين دعاه لمكتبه ولكن هذا الأخير من الواضح أنه لم يكن على قدر كاف من الحيطة والذكاء، كان يجب أن يغادر البلاد وبأسرع ما يمكنه، وليس المغادرة فقط بل يغادر متنكرًا متخفيًا عن العيون والأنظار وليس من العسير على من كان يشغل منصب وزير الدفاع التنكر ولا التخفي حتى عن أكبر أجهزة المخابرات.

- مستهتر

غمغم بذلك لنفسه حانقًا آسفًا على روح بيتر التي شعر أنها روح ذكية لم يكن يجب أن تكون كذلك نهايتها

، ثم واصل حديثه مع نفسه وكأنه يذكرها ويُملي عليها ما يجب فعله:
ولكني لست مستهترًا ولا قليل الفطنة مثله، هذا ما يجب فعله..
المغادرة دون أي تأخير

، ثم تردد قليلًا وقال كأنما يذكر نفسه:
ولكني بصفهم!
نعم بصفهم رغم أن دوري عكس ذلك، أم أني أظهر كعدو لمن لا يذكر دوري الذي بدأته منذ زمن..
أنا لم أعد أدري شيئًا ولا حتى من أصبح بيده صنع القرار!

، ثم أعاد على مسامع نفسه وهو يفكر بزوجته واحتمالية رفضها مغادرة البلاد وكيف سيقنعها ويفهمها أنه وضعُ فُرِض عليهم وليس محل نقاش، وكأنما يؤكد على نفسه غمغم:

المغادرة دون أي تأخير..

المغادرة دون أي تأخير

*****

كان جُل هم عبدالله أن تفارقه الجساسة ولو للحظة، ليل نهار حتى أثناء حديثه مع أقرانه الذين وجدهم على الجزيرة كانت لا تفارقه، بل وحتى أثناء قضاء حاجته..حتى أنه كان يستشعر الحرج دونما فائدة تُذكر ودون حول منه ولا قوة لإزاحتها حتى بهذا الوقت الحميمي مع الذات، وقد فهم قول الكائن أن الجساسة قراره..

فهو يعذبه بها ويعاقبه بصحبتها..

وقد كان عقابه أيما عقاب حقًا.

من خلال حديثه مع أقرانه تبين له أن جميعهم قد تم مسح عقولهم كلهم بلا استثناء، يؤمنون أن المسخ ربهم وأنهم شعبه المختار، وأنهم جميعهم أصحاب أصول عريقة من يهود الأشكناز والسفارديم، وأن رسالتهم بهذه الحياة هي طاعة الرب وإبادة المسلمين بالذات دون غيرهم، ثم بعد أن يفرغوا منهم يتحولون لباقي الجوييم أو الأغيار كما شرحوا له معنى المصطلح ودلالته الآرية، فإذا وافق هؤلاء الجوييم هواهم فليحيوا خُدام لهم في ظل نعمتهم وإلا فليلاقوا مصير المسلمين من قبلهم.

ذات صباح استيقظ وصلَّى لله الواحد القهار كما يفعل دائمًا في سره حتى لا تراه الجساسة فتخبر صاحبها المسخ، ودعا ربه أن يخلصه من هذا الكرب العظيم أو يميته فيريحه من عذابه السرمدي هذا..

فقد كان يشعر بنفس شعور بروميثيوس في أسطورته الإغريقية الخالدة..

الفرق أن بروميثيوس كان يتجدد له كبد كل يوم ليأكله طائر الرخ بلا نهاية..

وهو يتجدد يومه كل صباح ليجد الجساسة تنظر إليه بمجرد أن يفتح عينيه.

كانت ترعبه وترهبه أيما رهبة، مجرد فكرة حلول الظلام وهذا الكيان بجواره كانت تصيبه بخوف يدمر أعصابه حتى يعايشه كل مساء فتنهار أعصابه ويبكي حتى يكاد يفقد الوعي.

وبعد أن أنهى صلاته وتسبيحاته السرية، بدأ يناجي ربه أن يخلصه مما هو فيه في سره أيضًا، كان ينظر تجاه البحر، يوم عادي وبحر هادئ كأنه بساط مفروش ككل يوم فإذا بالموج يهيج بعد إذ كان البحر ساكنًا غير متحرك، ولأول مرة منذ أن وطأ بقدمه أرض هذه الجزيرة يرى هذه الجساسة تحول نظرها عنه، لم يصدق نفسه وكاد يطير فرحًا، إلا أن فرحته لم تُعَمَّر طويلًا، إذ انشق الموج الهائج عن كائن آخر جديد لم يره من قبل كائن أشد هولًا من الكائنين الآخرين، أضخم بكثير وكأنه كوكب بمفرده حتى أن خروجه فقط من الماء تخيله وقد استغرق دهرًا ليسد عليهم الأفق وتبين الجزيرة باهتة الضوء في وسط النهار بترامي ظله عليها.

فور أن خرج الكائن من الماء فكأن الزمان قد وقف تعظيمًا لهذا البنيان،

شعر أن الدهر ثبت دونها حراك وقد انخلع قلبه لرؤياها، وما قطع أفكاره المرسلة دونما وتيرة مرتبة إلا صرخة الجساسة العالية المرعبة وكأنها صرخة هجوم التي صَمّتْ أذنه، ثم توجهها ناحية الكيان وكأنها لتهاجمه حقًا رغم فارق الحجم الشاسع بينهم، وما إن اقتربت منه حتى دهسها بقدمه فقضى عليها، كما يقضي الرجل على الحشرة بحذائه.

تجاوز الكائن المهول الجساسة كأن لم تكن ثم توجه مباشرة تجاه عبدالله الذي بدأ روعه يهدأ ولم يفزع ولم يقنط وهو يتعجب من لا مبالاته المباغتة وكأن ثلجًا نزل على صدره فأمساه باردًا طيبًا دون الخوف الذي كان يلازمه منذ لحظة وبلا فزع، فقط ظل واجمًا يرقب -هذا الخلق الذي لا يدري له توصيفًا أو نوعًا- ويرقب اقترابه منه وهو يصغر حجمًا كلما اقترب منه حتى صار بحجم الإنسان العادي حين أصبح مواجهًا تمامًا له.

- فاجأه ذلك الكائن بالكلام بلغة البشر غير أنه لم يتعجب من ذلك حيث رأى الجساسة ومسخها يتكلمون من قبل حيث قال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- لم يتحرك قيد أنملة من مكانه وقال:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

ما أنت؟!

- أنا الدابة

– ابتلع ريقه بصعوبة وقال:

وما الدابة

– دابة الأرض..خلقٌ من خلق الله

خرجت بأمر الله ولأمرِ الله، أمر كان مفعولًا..

تُطوى لي الأرض طيًا

ومداد بصري موضع قدمي

خرجت لأُبين الخبيث من الطيب..

خرجت لأبشر أهل الجنة بها..ولأحبط أهل النار بخبرها..

وهذه بيدى عصا موسى من أنكته بها يبيض وجهه..

وهذا خاتم سليمان من انكته به يسود وجهه

، وما من بشر على ظهرها إلا نكته

، ومن حيث خرجت أعود.

فغر فاه عن آخره ولم يستوعب حرفًا مما قالت، إلا أنه شعر بطمأنينة بقلبه، وشعر أن هذا الماثل أمامه حق، وتذكر القرآن الكريم وآية الدابة فزاد اطمئنانه ثم راودته فكرة أن من الجائز أن يكون ممن ينكتون بالنكتة السوداء إن صح كلام المسخ عنه أنه صهيونى، فجفل.

- فتح فاه ليتكلم فأتاه صوتها عذبًا نقيًا:

بوركت يا عبدالله، بوركت وحق الله

لا تخشى شيئًا..

أنت ممن يُنكتون بعصا موسى، فأبشر..

تهللت أساريره وتبسم وهو يشعر بالسعادة تغمره وتفيض على أوصاله وكل أنملة منه

، ثم نكتت في وجهه نكتة بيضاء فتفشت في وجهه حتى ابيضَّ وجهه وشعر كأن هموم الدنيا قد زيحت جمعاء.

- قالت بصوت يزداد عذوبة كلما تكلمت:

تحضر لرحلة طويلة، تهيأ لعبور نصف الكون

- قال بتعجب:

إلى أين؟!

- إلى قدرك

- وما قدري؟!

- لا تسل عن المستقبل، فقط ضع ثقتك بالله وتوكل عليه

- ولكن أنا حتى لا أعرف من أنا، وهذا الكائن قال أني..إسرائيلي يهودي!

- أنت مسلم عربي

- قال إن اسمى جوزيف وهم ينادونني عبدالله!

- أنت محمد بن عبدالله

- محمدا

- نعم ونسلك يمُد للرسول ﷺ

- قال باندهاش وبصوت كمن صعقه التيار وقد اتسعت عيناه عن آخرهما: أنا؟!!!

- نعم أنت، لا تتعجب فكل شيء بقدر

- ولكني إنسان عادى أصيب وأخطئ

- كل البشر غير معصومين..حتى الأنبياء

ثم قامت بوضع يدها على جبهته فتراءى له ماضيه واستعاد ذاكرته كاملة وعلم بكذب كائنه الخرافي وتزييف ماضيه برأسه، وفهم لم أفقده ذاكرته.. حتى يسطر ماضيه برأسه كما يحلو له.

- قال والفضول يعتريه ويلتهم عقله:

خبرني أكثر

- حين ترى قدرك لا تجزع

- وما قدري؟!

- اصبر واعلم أن الله معك

- وماذا أيضًا

- والنصر حليفك

- أنتِ تتكلمين بالألغاز

- فور أن نصل وجهتنا يتضح لك كل مبهم..

بعدها قامت بتناوله من يده ووضعته على ظهرها
، ثم بدأ حجمها بالازدياد ثانية حتى عادت سيرتها الأولى كما رآها منذ برهة، وكان حاله منبهر الأنفاس فوق ظهرها يرى العالم للمرة الثانية من علٍ.

- فتذكر شيئًا فقال مستدركًا وهو ينظر للخلف:
انتظري

- ماذا تريد؟

- إن لي أقرانًا بالجزيرة يفوقون الألف عددًا، فهلا نحضرهم معنا أثابك الله؟!، إنهم يظنون أن المسخ ربهم ولكنني أعتقد أنهم مجرد شباب مثل قد غسل الدجال عقولهم.

- خُيلَ له أنها تضحك من طريقتها بالرد وهي تقول:
لا تقلق ستراهم ثانية، أو بالأصح ستسمع عنهم ويكونون لك ضدًا..
وبالمجمل حتى لا تحزن فليس لك من أقران

- ماذا تعني؟!
- إن هم إلا شياطين من الجن سخرهم دجال لخداعك
- ماذا؟!
شياطين، جن..ماذا تقولين؟!
- كما سمعت
- وكيف سأراهم ثانية كما قلتِ؟!
- لا تتعجل أمر الله

نظر للخلف فوجدهم يصطفون على الشاطئ في أربعة أو خمسة صفوف، رافعين رؤوسهم تجاهه وعيونهم مركزة عليه في مشهد لن ينساه جفل له وشعر برعب منه بعد ما سمعه عنهم، فأدار وجهه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم

- وقال محاولًا نسيان ما رأى:
ومن هو هذا الدجال؟!
ولماذا يتكبد هذا المسخ كل ذلك العناء من أجل نكرة مثلي؟!
- أنت لست بنكرة قلت لك إنك فرع من نسل خير الخلق ﷺ ويوافق

اسمك اسمه واسم أبيك اسم أبيه..سوف تفهم لا حقًا أنك لا يوجد أثمن منك بالنسبة لهذا المسخ، أما لماذا، ومن يكون هو، فستعرف كل ذلك حين نصل وجهتنا

- ولكن حالي لا يدل على أني صالحٌ حتى، قلت لك أني بشر عادي

- وأنا لم أقل إنك نبي، وقد يصلح لك الله حالك بليلة وضحاها..
، ثم واصلت قائلة:
وقلت لك أيضًا أن رحلتنا طويلة، فهلا سميت الله حتى ننطلق..

- قال وهو شارد الذهن مبلبل:
بسم الله الرحمن الرحيم

وما كاد يُتم كلمته وما كادت تتحرك داخل البحر حتى وجد نفسه وسط الكعبة المشرفة بلمح البصر..

وقد كان موسم الحج..

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك..
لا شريك لك

*****



﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ

ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾

(المعارج: ٤٢)

(١)

اليوم ٢٠
بعد فك الحصار
(مبنى الموساد-تل أبيب)
اجتماع رسمي لكل العاملين بالجهاز

- قال حاييم:

םידחוימ םידיקפתלו ןיעידומל דסומה

(هاموساد لموديعين اولتافكديم ميوحادي)

استخبارات ومهمات خاصة..

استخبارات..

استخبارات يا سادة استخبارات..

هل تفهمون معنى الكلمة!!

كيف لخبر كظهور دابتهم أن يمر من تحت أنوفنا هكذا؟!!

لو جاز التعبير فهذا فشل..فشل ذريع للأسف.

، سكت هنيهة ثم استطرد قائلًا:

لأعود بكم كثيرًا للوراء لأذكركم بماهيتنا وماهية وظيفتنا علكم نسيتم أو تناسيتم!

منذ أن حول بن غوريون (رئيس وزراء إسرائيل ووزير الدفاع أنذاك)،

حال إعلان قيام دولة إسرائيل العظمى بالعام ١٩٤٨) منظمة (الهاغاناه) العسكرية الاستيطانية التي أنشئت بأورشليم بالعام ١٩٢١ بهدف الدفاع عن حياة اليهود وممتلكاتهم وشرفهم وإنشاء مستوطنات ونقاط عسكرية وتدريب أفراد جديدين..منذ أن حولها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي وقد نشأت الحاجه الماسة لإنشاء جهاز قوى جهاز عملاق تمتد فروعه وأذرعه بكل قطعة من هذا العالم الشاسع لجمع المعلومات والقيام بالمهام الاستخباراتية لمؤازرة الدولة والعمل بمثابة جهاز الإبصار أو العيون للجيش لتوجيهه أينما يضع قدمه وهو ما فعله (إيسر هاريل وديفيد بن غوريون) مشكورين وقاما بتأسيس هذا الكيان الضخم..الموساد..موسادنا.

ومنذ تولى (رؤوفين شلواه) منصب أول رئيس للجهاز عام ١٩٤٩ وحتى (تامير باردو) وإلى الآن حتى أيامي هذه لم يخفق الجهاز خفقة كخفقته هذه..

، نظر للأرض وصمت قليلًا ثم تحدث بنبرة هادئة أولًا ما لبث أن ازدادت حدة وقال:

أين قسم المعلومات التابع للجهاز!!

لم يكن أبدًا بهذا السوء ولا حتى أيام ١٩٧٣، لم يخفق ويفشل كهذه أبدًا، إننا وللأسف صرنا مزحة أجهزة الاستخبارات بالدول الأخرى.

وحتى وإن كان هذا الخبر خبرًا كاذبًا ومجرد شائعة وهو ما لا يهمني في شيء ظهرت أم لم تظهر دابتهم تلك فكيف لا نعلمه إلا كآخر من يعلم، وكيف لا نعلم أنه كاذبٌ من الأصل، هل وصل الأمر أن يلاعبونا نحن حربًا نفسية؟!!

أين قسم الحرب النفسية بجهازنا وكيف نعطيهم فرصة أن يطلقوا علينا نحن حرب نفسية كهذه؟!!

، صمت هنيهة ثم زم شفتيه غيظًا وطرق المنضدة أمامه بيده بقوة ثم قال بحزم وعصبية:

أين قسم العمليات الذي يتولى وضع خطط العمليات الخاصة بأعمال التخريب والخطف والقتل ضمن إطار مخطط عام للدولة؟!!

وشهادة حق فالدولة من جانبها ولم تقصر وخططها موضوعة ومعدة سلفًا..إذًا بحق الرب أين أنتم؟!!

هل تقاعستم بعد الحروب الأخيرة..

ألهذا أنشأنا هذا القسم بالجهاز ليعمل وقت السلم فقط ويتقاعس ويتخاذل عن نصرتنا وقت الشدة؟!!

وحتى وإن كان كذلك يا سادة ألا وإن الحصار قد انفك.. ألا فلما لا تعملون وأرى لكم خططًا تُنفذ على أرض الواقع؟!

أين الذريعة والوقيعة، أين الخبث والدهاء، أين ربيع الدول المجاورة لنا..لم لا أراه يحيا مجددًا ويُبعث؟!

أين بواقي جماعاتنا الارهابية الإسلامية هناك؟!

أين الرشاوي وأين المرتشين والخونة؟!

أين التسجيلات الجنسية لقادتهم ورموزهم؟!

لا أخفيكم سرًا لقد خاب أملي فيكم

، حرك رأسه آسفًا يمينًا ويسارًا ثم قال محفزًا:

أروني همتكم، أبذلوا الجهود، تحركوا على الأرض، ضعوا الخطط، أنفقوا الأموال، أشعلوا التحزبات النائمة والطائفية الهامدة وإن لم تُشعل فحزبوا الناس من جديد، أهدروا الدماء، إزرعوا الدسائس، أيقظوا الجماعات والخلايا النائمة..

سلطوا عليهم كل خبراتكم وعلومكم..

نحن على شفير حرب عالمية ثالثة أم أنكم وكما لم تعلموا بأمر الدابة لم تعلموا بأمرها؟!!

أين دوركم بها؟!!

أين أيادينا الخفية ولعبنا بمقدرات البشر ومستقبلهم؟!

، ثم ابتسم بجانب فمه وقال بسخرية وبأداء مسرحي:

ليكن لكم دور قبل أن تنتهي الأدوار.

*****

طار الدجال مبتعدًا بكل قواه بعيدًا عن محمود، مترنحًا من وقع سماع فواتح سورة الكهف.

كان يشعربغضب عارم وغيظ ممزوجين بألم..

الألم كان يأتيه من سماع القرآن، أما الغيظ والغضب فكان بسبب فشله مع أول عائلة يحاول غوايتها.

كان يتوقع أن يكون أداؤه أعتى من ذلك بكثير بعد أن أذن له الله بالخروج بعد طول مدة حبس قد طال أمدها أجيالًا وقرونًا مكبلًا بجزيرته مع جساسته.

كيف أن تكون هزيمته بهذه السهولة رغم كل ما يملك من قوى؟!

، ليكونن انتقامه شديدًا من هذا المحمود الذي يعتقد أنه شيخ الإسلام.

قام بالتواصل بينما هو يطير ببعض معاونيه ومريديه من سفلة الجن ومجرميهم، وابتسم وهو يتفكر في حال محمود الآن بعد أن سلط عليه أعتى مردة الجن الذين يسكنون الصحراء القابع بها محمود بعد أن تركه مباشرة، ووصاهم أن يُرِيَنَّهُ أشد وأنكى أشكال الرعب والهوس جزاءًا وفاقًا لما فعله.

ثم عاد لتفكيره السابق وتفكر أن كيف تكون بدايته غير مبشرة هكذا! مع بني البشر أولاد آدم وهو محدود المدة على هذه الأرض وآماله عريضة وطموحاته واسعة.

جال كل ذلك بخاطره وهو يتوجه نحو جزيرته وتفكر أن كل ذلك ليس هامًا، المهم هو أسرهِ للمدعو محمد بن عبدالله ومنع دوره من الظهور بالبداية أو حتى تأخيره إن لم يستطع منعه.

وقبل أن يحط على جزيرته رأى الجساسة وقد انطرحت أرضًا على جانبها ممددة على شاطئ البحر، لم يفهم ما هذا في البداية فاخترق السماء نزولًا وحط بجوارها، وبدأ يتفحصها ويدور حولها غير مصدق، وحين تيقن من نهايتها وموتها أطلق صرخة اهتزت لها الجزيرة كلها حتى أن الطيور هجرت أعشاشها بالأشجار فزعًا من قوتها.

، ثم قام بوضع يده على جبهتها واستطاع أن يتبين بطريقته ما حدث وعلم أن الدابة نقلت محمد بن عبدالله إلى مكة وأنه قد فقد سيطرته عليه حيث أنه لا يستطيع دخول مكة، وحينها زفر زفرة غيظ وتوعد الجميع بالويل، وقام بنداء عجيب كأنها صيحة خرج له على إثرها من الجزيرة جيش -قوامه كأوراق شجر وارفًا بحقل مديد- من الجن الطالح التابعين له..

- فقال لهم آمرًا:

استعدوا فقد حان دوركم وأعدوا أقوامكم

- سمعًا وطاعةً أيها العظيم.

هكذا أجابه كبيرهم..

ثم كان أن قام بضرب الهواء بجناحيه مرتفعًا عاليًا بالسماء حتى لامس السحاب، وقرر التوجه إلى وجهته المنعقد عليها العزم سلفًا والتي اعتبرها وعدّها مركز بداية أحداثه القادمة التي نوى أن تكون أسرع وأعنف مما توقع الكل.

*****

اجتاز مدخل فيلته الخاصة والحديقة المؤدية لمنزله بعجلة، حتى أنه صدم إناء من أوان الورد التي تضعها زوجته أمام المدخل، فتح باب السيارة وإنزا

منها مهرولًا تجاه الباب وما إن أدركه حتى وجده يُفتح من الداخل ليجد زوجته بمواجهته

- قالت وهي تفتح عينيها عن آخرهما ذهولًا:
جيم!!
غريب عودتك من المكتب الآن سريعًا هكذا وفي غير ميعادك

- اقترب منها واحتضنها بلهفة غير معتادة وهي غير مستطيعة لتفسير هذا الفعل من سبيل، وقال برجاء:
مارلين
احزمي أمتعتنا كلها الآن، يجب أن نغادر البلاد بأسرع ما يمكن، وأرجوكِ لا تناقشيني، هي مسألة حياة أو موت، لاحقًا أعدك سوف أقص وأشرح لك كل شيء

- عقدت ما بين حاجبيها وقالت بتعجب:
أمتعة وخارج البلاد، جيم هل تعني عطلة؟!

- كلا، لا أعني عطلة، أعني هجرة مستديمة

- وضعت يدها على جبهته تستشعر درجة حرارته وغمغت:
جيم، هل أنت مريض؟!

- مارلين، أرجوكِ، أسرعي لا وقت إنها حياتي أنا التي على المحك، قد
أقتل اليوم بلا مراء

- لا بأس جيم، قابل ضيفيك الآن ولنتكلم لاحقًا حين يذهبون

- قال باستفسار:
أي ضيوف؟!

- استدارت لتشير بيدها إلى داخل المنزل حيث تركز بصر زوجها وقد
أخذت عينه بالاتساع وظهرت عليه أعتى علامات الهلع وهي تقول:
بعد أن مشيت مباشرة حضروا، قالوا إنهم زملاؤك بال..

قطعت حديثها وهي ترى الضيفين يخرجان من داخل المنزل حاملين
بجميع الا جين نارين يصوبونها تجاهها، وتناثرت الطلقات المتعاقبة السريعة
حاء تمامًا كما تناثرت الدماء.

- جاهد جيم ليستدير
كانت قد فارقت الحدير تجاه زوجته بعد أن وقع أرضًا جوارها والتي
لم يكد يسمعه هـ ت الحياة بالفعل فتحسس وجهها وقال بصوت خافت
آسف مارا معه هو نفسه قبل أن تلحق روحه بها ويلفظ أنفاسه الأخيرة:
، مارلين.. كنت أتخيل أني بصفهم كما كان يتخيل بيتر!

استريحي في سلام يا مليكتي.. استريحي في سلام مارلين..

ولا تقلقي..فالرب يخطط..

و(شاؤول) سينتقم.

*****

بالمرة الأولى له بمكان عمله المرتقب كانت التعليمات أن يذهب إلى مكتب رئيس الوزراء لمقابلته حيث سيتم تعيينه هناك.

حين دلف إلى داخل مكتب السكرتارية وجدها هناك، كان شعرها قصيرًا كما الرجال ذي لون أصفر فاتح تستطيع تمييزها بسهولة وسط جيش السكرتيرات بالغرفة.

- اقترب منها وقال في هدوء وهو متبسم في كياسة:

شاؤول دافيد..

الوافد الجديد، لي موعد مع سيادة رئيس الوزراء، وكما قلْتِ بالهاتف تعرفت إليكِ من تسريحة شعرك، حقًا إنها تزيدك جمالًا فوق جمالك

- تبسمت لمجاملته ومدت يدها تصافحه ورددت:

عاديثيلا آخيعازر..

رئيسة سكرتارية مكتب رئيس الوزراء..

التوصية عليك تأتي من جميع الجوانب، والسيد / نوعام / في انتظارك
بنفسه وقد أوصاني أن تدخل إليه فور وصولك.

قطعت حديثها بأن أخبرت رئيس الوزراء بوصول المنتظر هاتفيًا، ثم
قامت بنفسها وأوصلته للباب الذي فتحته بعد أن نقرته مرتين لتشير له
بيدها علامة أن تفضل.

، ثم قالت له بصوت خافت قبل دخوله:
- لنا حديث مطول حين تُنهي مقابلتك، بالتوفيق

- بالداخل استقبله نوعام استقبالًا حافلًا بدا غريبًا من رئيس وزراء
لأحد موظفيه القادمين، ثم قال بترحاب باد:
عزيزى شاؤول، لم تقم بزيارة إسرائيل من قبل؟

- حقيقة لم يسعدني الحظ، ولكني أنوي أن لا أتركها

- سوف تسعد أيما سعادة ها هنا، ولا تقلق كل شيء مُعد لك سلفًا،
فخبرات مثلك يجب أن يتم تقديرها

- شكرًا جزيلًا لك يا سيدي

ثم كان أن غمز له بعينه اليسرى قبل أن يتصل بسكرتيرته عاديثيلا ويطلب حضورها ثم بعد أن جاءته طلب منها أن ترافق شاؤول كظله وأن تذلل له كل العقبات!

- ثم تداركه قبل أن يخرج خارج مكتبه وقال وهو يومئ برأسه مستبشرًا:
شاؤول..
أعتقد أن كل منا سيكون مؤثرًا بحياة الآخر..
إلى حد كبير

والحقيقة التي لم يدركها ساعتها حين قال ذلك أنه كان محقًا..
كان محقًا إلى حد كبير

*****



من عزتي.. !!

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك..

لا شريك لك..

ما كاد الطُوَّاف بالكعبة يروا الدابة حتى لهجت ألسنتهم بتكبير لا ينقطع..

الله أكبر..الله أكبر..الله أكبر..الله أكبر

وقد أفسحوا لها مجالًا رغم الزحام والأعداد المهولة بينها وبين مقام إبراهيم (عليه السلام)، أنزلت محمد بن عبدالله من على ظهرها الذي كان مايزال يتعجب اسمه الجديد فقد تعود على اسم عبدالله..

- قالت له وهي تواجهه:

الآن يبدأ قدرك..الآن يبدأ دورك..

الآن لتعود سنة الله في الأرض كما فطرها..

الآن تتطهر من نجسها ووثنها..

الآن يا عترة خير خلق الله..

الآن يا محمد بن عبدالله..

والآن أيضًا أتركك وإلى الملتقى بدار السلام..

تحت ظل عرش السلام وبصحبة خير الأنام

، فتحضر للمكتوب..فطريقك مرسوم..ومصيرك محتوم..

فتشجع ولا تخف.

همَّ محمد بالكلام والتساؤل عن ماهية الحديث ومعناه، إلا أن خادم الحرمين كان من بين الطائفين وبدقائق معدودة كان قد حضر بحضرتها ليستقبلها مستبشرًا فرحًا، فمنع محمد عن الحديث دخول الملك مهرولًا مكبرًا، فصمت حتى يفرغ الملك من حديثه معها، كانت تساؤلاته كثيرة وتحيره وتقلقه فأسرها داخله حتى ينتهي الملك احترامًا له وتوقيرًا، ورجع إلى صفوف المستمعين ليسمع حديثهم.

- قال خادم الحرمين بفرح وبِشْر:

لقد أصبح العيد عيدين بقدومك يا نذيرة الله

، ولقد وددت برؤياك ثانية فعندي الكثير والكثير من التساؤلات، وطريقنا وعر، وعدونا خبيث لدود كما تعلمين، أريد منك الايضاح، أنيري لنا الطريق

- ماذا تريد أن تعرف يا عبدالله
- متى الساعة؟
- علمها عند ربي
- هل رُفعت الأقلام بعد ظهورك وظهور الشمس من مغربها؟
- العلم عند ربي
- ما الخطوة القادمة لنا كمسلمين وعرب مع عدونا؟!
- هذا مقيض بكم، وإن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم والعلم عند ربي

- كيف نواجههم بعد عودة الطاقة والغلبة لهم؟

- تأدب يا عبدالله فمولاك هو الله، ولا تخف ولا تجزع فربك القاهر فوق عباده، فقط ارجعوا لله الواحد وأنيبوا يا أمة خير خلق الله

- أنا لا أقصد لا سمح الله، فقط أنا أقصد التدبر والتدبير والتفكر والتفكير

- فكر ودبر والتوفيق من الله بإذن الله وبوعد منه جل عُلاه

- أراح الله قلبك

- وقلب المؤمنين أجمعين بإذن الله، إلى هنا وتنتهي مهمتي، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه

- أين تذهبين؟

- أنسيت ما قلت لك..

من حيث خرجت أعود

، ثم وجهت حديثها للجميع:

وأذكركم يا أمة المحمود، لاتنسوا ما جزلتم لربكم من الوعود، فأثبتوا وثابتوا ورابطوا..

- همت بالاستدارة تجاه باب السلام والرحيل إلا أن الملك استوقفها

-قبل أن ينطق محمد بن عبدالله الذي كان على وشك الصراخ لمنعها من الرحيل قبل أن تفسر كلامها معه- وقال:

انتظري.. مازال عندي سؤالان

- هات ما عندك

- لماذا لم نسمع عنك بوسائل الإعلام الغربية بينما اعلامنا يضج بأخبارك، وقد قلتِ أنكِ ستَسمي كل الناس بوسمتك إما البيضاء أو السوداء فلماذا لم يراك الغرب؟!

- من أنكته نكتة سوداء ينساني بعدها فورًا ولكن تبقى نكتتى السوداء بوجهه لا يراها إلا مؤمن فيميز الكفار من الصالحين أما هم فيروا أنفسهم وإياكم دون تمييز فلا يستطيعون رؤية أية نكتةٍ ، ولذلك لم تسمع عنى بإعلامهم فأنا بالنسبة لهم حتى لو تواترت وتسربت حكاياتى لهم مجرد وهم أو خيال، ونعم ما من بشر على ظهرها إلا نكته كما قلت لك في أول مرة

- وعن ما قلته لي عن دورى هل لك أن تفصحى قليلًا

- يا مؤمن، يا عبدالله..

أدّ دورك المرسوم قبل أن تنزل الغيوم وتصير بإذن ربك مرحوم..

- نعم نعم، أتذكر ما قلت حرفًا حرفًا وأحفظه عن ظهر قلب، أنا أريد التوضيح، ما هو دوري وما هي الغيوم؟!!

- دورك واقف جوارك، وأما الغيوم ففى حينها ستفهم ولا تتعجل أمر الله

- نظر حوله يمنة ويسرة فلم يفهم فقال متسائلًا:
أين جواري؟!

- أحضرته لك بنفسي

، وبدون كلمة زيادة ووسط وجوم الجميع قالت: أستودعكم الله..

همّ محمد بن عبدالله بالكلام لاستيقافها إلا أنه وجد أنه لا صوت بحنجرته وكأن هناك من سرق صوته، بينما اتجهت تجاه باب السلام ومن حيث خرجت عادت..

وخلال رحيلها كان هناك من يغمغم للملك بأذنه أن ما أحضرته هو محمد بن عبدالله الماثل أمامه
، فطفق يفكر ويقلب الأفكار برأسه، حتى انجلى فكره وفهم المقصد من حديثها.

- نظر إلى محمد نظرة رضا غير مبررة وقال بأنفاس منبهرة:
ما اسمك؟

- تعجب محمد وحسبه يتحدث إلى شخص خلفه ، وحين استوضح أن

الكلام موجه له تفكر باسمه حيث كان سيسمى اسمه القديم حيث اختلطت كل الأحداث عليه داخل عقله ثم قال باستدراك:

محمد بن عبدالله

- فتح الملك عينيه عن آخرهما وقال وهو يكاد يطير طربًا وفرحًا:

غير معقول..

مولانا..!!

*****



﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

(الزخرف: ٨٣)

(٢)

ما كاد اللواء الجمصي والجيوش الجرارة تحت إمرته تتخطى الحدود السورية وتلامس مدينة درعا حيث الأوامر بالانضمام للقوات الروسية-الصينية الحليفة المرابضة بدرعا، حتى وجد أهالي درعا وليسوا وحدهم بل كان معهم أهالي دمشق وحلب وطرطوس والسويداء وحمص وكل الداخل السوري في استقباله واستقبال جيشه بالورود والرياحين والزغاريد والأهازيج والهتافات بل والقبلات والأعناق أيضًا.

استقبال لم يتخيله أيٌّ من أفراد الجيش ولا حتى السوريون منهم، استقبال خلع عن الجيش بكامله كل هم وحزن وأسى وشعور انهزامي وجعله يحلق بسماء روحه المعنوية، وشحذ كل همة قد تراجعت وكل نفس كانت قد تثبطت.

وكان في زمرة المستقبلين الرئيس السوري ذاته الذي ساعد اللواء الجمصي بالنزول عن فرسه وشد على يده بالتحية بعدها.

ودعاه للنزول بالقصر الرئاسي إلا أن الجمصي أصر على المكوث مع جيشه بالمعسكرات المعدة لهم فكان له ما أراد.

دلف الرئيس السوري مع الجمصي داخل خيمة القيادة الواسعة المديدة ذات الفُرش الوثير وغرفة العمليات المعدة سلفًا، وفور أن جلسا تبادلا أطراف الحديث عن الوضع الراهن والتوقعات والاستراتيجيات.

- قال الجمصي:

بعيدًا عن الكلام الاحترافي سيادة الرئيس، أشعر أن الله ناصرنا بإذن الله

- بالطبع سيادة القائد، إن العرب والمسلمين عامة أمة سلام والله من أسمائه السلام، ولكن حتى تحين هذه اللحظة سنمر بالكثير والكثير وأرجو الله أن يهونه علينا

- اطمئن، مادام بين جنبات جيوشنا وحوش كاسرة كالوحوش السورية، فلن ينال منا أعداء الله، لقد رأيت ما يفعلون بنفسي والحق يقال حين الحرب فأولادكم للوحوش أقرب من البشر

- شعر الرئيس السوري بالإطراء فقال مبتسمًا:
لقد عانى هذا الجيل الذي يحارب معك الآن وجيله السابق الأمرّين، كان يصحو من النوم على صوت القنابل والمدافع الرشاشة، وكانت البيوت تتهاوى بجواره كما تتهاوى أوراق الشجر بجوارك بفصل الخريف، ومنهم من مات أبوه وأمه وكل ذويه فأصبح وقع خبر الموت لهم كخبر يذاع بنشرة أخبار أمامك وأنت جالس بسريرك أمام شاشة تلفاز

، نظر لسقف الخيمة سارحًا لثانيتين ثم واصل دامع العينين:
حسبنا الله ونعم الوكيل فيمن أوصلهم لهذا، كان هدفه كسرهم ولكنه جهل أننا لا ننكسر وأن الله خلقنا لنطيع أمره ونرضى بقضائه مهما كان

- هوّن عليك سيدي الرئيس، إن غدًا لناظره قريب، وغدًا بأمر الله نفتح قدسنا ونذيقهم الأمرين

- لقد طال انتظار هذا الغد

، ثم اقترب من أذن الجمصي وتابع هامسًا:
ولا أخفيك سرًا هناك أنباء غير مؤكدة عن أن الملاعين يدبرون لهدم بيت المقدس من أجل هيكلهم المزعوم، وأخشى ما أخشاه أن يفعلوها هذه المرة

- تراجع الجمصي بظهره للوراء وقد اتسعت عيناه هولًا وقال واجمًا:
الكلاب الملاعين، إنهم أقذر خلق الله

- فقال الرئيس كأنما يكمل جملته:
وأخطرهم طرًا

- يريدون (هرمجدون)، فلتكن لهم إن فعلوها..

- لو كان صحيحًا لفتحوا على أنفسهم أبواب الجحيم، لسوف نذهب إليهم ولو زحفًا على الصدور والبطون وحتى آخر جندي وآخر رمق..
لا أعلم لماذا لا يشغل هؤلاء الصهاينة أنفسهم بشيء غير هذا الثأر الذي لا جريرة لنا به..
ثأر له نار ولا يخبو له أوار..

يريدوننا سبايا كما عاشوا أيام السبي البابلي وكما طوردت فلولهم أيام النازية

- قال الجمصي كأنما كان بعالم آخر وكأنه سمع جملته السابقة توًا:

معك حق..

إنهم أخطر خلق الله طرًا

*****

لو أن مؤلف الرعب القوطى الأشهر (لافكرافت) كان جمح بخياله أضعاف مضاعفة في وصف وسطر ما رآه (عبدالله الحظرد) شخصيته الأشهر على الاطلاق، ما كان ليتخيل نصف ما تراءى لمحمود بليلته هذه بالصحراء.

فقد وقف محمود وحيدًا بعد هروب الدجال من قرآنه، يسمع طنينًا شديدًا بأذنيه من وقع الصخب الهائل الذي كان موجودًا منذ دقيقة واحدة.

نظر حوله مشدوهًا وكان عقله مايزال لم يستوعب كل ما مر به، فجلس وحط مكانه على الأرض ووضع رأسه بين كفيه طلبًا لسكينة لم يدر لها سبيلًا، لم يدر كم مرّ عليه من الوقت بهذا الوضع إلا أنه وفور أن هدأت نفسه أجهش ببكاء مرير اعتصر قلبه عصرًا، كان أكثر ما يهمه ابنته وزوجته ومصيرهما..

هل قد ماتا أم أن هذا الدجال يخفيهما أم ماذا؟!

حتى خالد ولده لم يسترع من حزنه قيد أنملة، شعر ولسبب ما أنه لاقى ما يستحق.

رفع رأسه وتأمل الصحراء من حوله راجيًا أن تظهر ابنته أو زوجته من العدم أمامه من حيث لا يدري أين، إلا أن أمله ورجاءه خابا ولم يظهرا حتى جن الليل وتوغل.

فبدأ يرى ما لم يدر هل هي هلاوس يخيلها له عقله المنهك أم أفاعيل من فعل الشياطين أم أعوان هذا الدجال جاؤا لينتقموا منه..

وكأن الصحراء تحولت فجأة إلى مسرح للمردة والشياطين وطريقًا لهم!!

أناس تمر به وأقوام وقوافل يركبون الجمال ينظرون إليه ويتهامزون ويتلامزون عليه ليضحكوا ضحكة سخرية جلية ثم يختفي أثرهم فجأة كأن لم يكونوا، ليظهر بعدها أقزام ذوي آذان عظيمة تكاد تلامس الأرض وتضاهى حجم أجسادهم يتهامسون ويتقافزون فيما بينهم لينظروا إليه فجأة ويصرخوا بوجهه فيجفل ثم يختفوا، وجيوش من أسود تزأر بقوة وضباع تزمجر مكشرة عن أنياب رهيبة وهي تجرى نحوه ثم تختفى فجأة كأن لم تكن، ليحل محلها عفاريت ذات وجوه مرعبة تظهر وتختفي من حوله وتهمس بأذنه بكلام غير مفهوم حينًا وتتوعده حينًا آخر بلغته، ليختفوا كسابقيهم ويحل محلهم جمع من النساء يلبسن ثياب شبه عارية لا مثيل لجمالهن ولا لغوايتهن، يتغامزن عليه ويطوفن حوله كأنهنَّ يستعرضن مفاتنهن في محاولة إغواء ما تلبث أن تتبدل لمأساة ومشهد من فيلم سينمائي مرعب وهن يتحولن بأشكالهن لتظهر وجوههن الحقيقية ورؤوسهن ذات

القرون الملتوية وجلودهن حمراء اللون وأنيابهن الطويلة وفحيحهن المماثل لفحيح الحيات، فتظهر بعدها نار عظيمة تحيط به في دائرة يبين من خلفها قوم وجوههم بشعة وقد دهنوا وجوههم باللون الأبيض وجلودهم سوداء وأجسادهم عارية وعيونهم يكسوها اللون الأسود ينظرون كلهم تجاهه ويتلون شيئًا كأنهم يلقون تعويذة بينما تدور بهم الأرض من تحتهم وكأنهم يقفون على ترس دوار..

كل ذلك تراءى له وهو مسلوب القوة لا يستطيع الحراك فقط تدمع عيناه وكأنه مشلول بشلل رباعي لا يتأتى له إلا البكاء، حتى استجمع قواه وذكر الرحمن وشرع بقراءة ما تيسر له فاختفى كل ما كان حوله كأن لم يكن، فقام بصعوبة بالغة وجهد جهيد من جلسته وهو يحاول الهرب هلعًا من هذا الجحيم ويشفق من أن يتراءى له ثانية أي من هذا الرعب، وبدأ يجر رجله ومعها يجر أذيال الحسرة..

حسرته على أسرته وعلى دينه وأمته اللذين يشارفان على هزة عنيفة سوف تحدث شرخًا بهم بالتأكيد..

هذا الدجال وفتنته..

مصيبة من أعظم المصائب والفتن التي حذر منها الرسول الكريم ﷺ أكثر من غيرها ها هي قد ظهرت بالفعل..

بل وقد عاينها وعايشها واكتوى بنارها بشخصه وهو ما لم يجل له بخاطر من قبل ولا حتى بأحلامه.

خرج للطريق ثانية وكان مشوش العقل سابحًا بشتات فكره بلا هوى مرتعشًا من الخوف، فذهب إلى سيارته وجلس بها، وحاول تدويرها مرة

أخرى ولعجبه دارت معه ومن المرة الأولى كأن لم يكن بها عطب يذكر، فضحك..

ضحك كثيرًا من سخرية القدر وكأن عطلها كان مقدرًا لحدوث ما حدث أو أن عطبها كان بفعل فاعل أراد لذلك أن يحدث..

ومازال بضحكه حتى بكى..

بكى حتى خارت قواه فصرخ

وظل يبكي ويصرخ ويخبط مقود السيارة حتى سكت وهدأ، وبدأ التفكير المنطقي فقرر العودة أدراجه لقريبه بأبورديس حتى يتعافى عنده ويقضي فترة نقاهة مما حدث، ثم هداه فكره بعد أن وصل هناك وقضى فترته أن يسافر لمكة وليلقى الله برحابه فيشكى له بثه وهمه عله يجد الشفاء والدواء من حزنه والأمان من الفتنة المشارفة على الظهور والتي لن تُبقي ولن تذر..

وقد كان له ما أراد.

*****

خبر بالصفحة الأولى بمعظم صحف العالم:

... أنباء عن زلازل وبراكين تجتاح معظم دول العالم ومازالت الخسائر غير مقدرة

...قلة ملحوظة بالأمطار تنذر بعواقب جفاف بالكثير من المناطق المنكوبة

... ومنظمة الصحة العالمية تحذر من انتشار الأوبئة ومن مجاعات

ستحدث بالقريب نتيجة لما سبق ونتيجة للحروب المتوالية وهجرة الفلاحين للالتحاق بالجيوش.

... هذا وقد أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط

*****

قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بجولة اجتمع فيها برؤساء الدول الحليفة المختلفة حيث كان يبشر الكل بقرب ميعاد المخلص المنقذ وخروجه، وقد كان اجتماعه برئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو الأخير قبل عودته لوطنه.

وبينما هم بالجلسة المغلقة تبادلا أطراف الحديث عن الخطة الموضوعة للفترة القادمة، واستطرق الحديث لكل المجالات حتى المبهم منها.

– قال له وعلى وجهه ترتسم ابتسامة خبيثة:

سوف يكون الظهور ها هنا، من عندكم، ومن أرضكم، فيا له من شرف لكم

– قال بتعجب واندهاش:

أي ظهور؟!!

– فغر نوعام ايتان فاه واتسعت عيناه ذهولًا وقال:

ماذا تعني بأي ظهور!!

من المؤكد أنه تم إعلامك!!

ظهور المسيا المنقذ..المسيا المخلص..

هل حقًا لا تعلم؟!

- قال وهو يبتسم:

نعم نعم، لقد أخبروني بالطبع، وطلبوا مني الاستعداد، لا تقلق كل شيء جاهز ومعد

- تبرم نوعام وقال بلهجة تحذيرية:

أعلم أنك مسيحي وقد لا يروقك كلامي كيهودي ..

- رد باستنكار وقال:

كلا بالطبع، ماذا تقول!

- صمت نوعام ونظر للأرض قليلًا ثم زفر وقال:

تأكد تمامًا أنه عندما سيملك المسيا سيتطلع إليه قادة جميع الأمم ليكون الملهم..

هذا ليس بكلامي..إنما كلام نبي الله أشعياء

- صديقي العزيز نوعام، أنا أتفهم كل حرف وأعيه..

لا تقلق مخططنا يمشي حسب الخطة الموضوعة وحتى وإن كانت معتقداتي مغايرة فلا مناص من تنفيذه وإلا..فالنهاية معلومة..أعلم ذلك جيدًا..

فلا داعي للقلق

- تبسم نوعام ارتياحًا ثم نقل مجرى الحديث لاتجاه آخر وقال:

لقد زادت الزلازل عن الحد، حقيقة قد أصبح أمرًا مزعجًا، هل لك أن تتخيل حجم الخسائر؟

- بالطبع مهولة
- نعم مهولة وهو ما يجعلنى أطلب منك الآتى
- أوامرك
- أريد رؤوسًا نووية احتياطية تُنقل لنا عن طريق ميناء حيفا
- عقد ما بين حاجبيه وقال:

رؤوس نووية احتياطية، ولما؟!

- لقد أثرت الزلازل الأخيرة وبشكل ملحوظ على مفاعل ديمونة وقدرته الانتاجية، إلى جانب تلف في المخزون لا ندرى له سببًا حدث بعد الزلازل مباشرة، وما زاد الطين بلة مفاعل الضبعة المصري الذي

تم إنشاؤه مؤخرًا يعمل على قدم وساق، وأخطر ما بالموضوع هناك أنباء عن أن إيران تستعد أيضًا لشيء ما

- سكت الرئيس الأمريكي هنيهة ثم أردف كمن تذكر شيئًا:
لقد رفع لي شخصيًا الجنرال المتوفى بيتر تووم تقريرًا عن مفاعلكم، قد يكون ذا قيمة

- وماذا قال به؟
- إنه تقريرٌ رسميٌّ موجود عندي لم أقرؤه حتى الآن
- هل موجود عندك الآن؟!
- نعم
- أرنا إياه

أخرج حافظة مغلقة من درج مكتبه مكتوب عليها سري وفضَّها وأخرج ما فيها ليقوم بإعطائه لنوعام الذي شاور له بيده علامة أن فلتباشر أنت

- فلبس نظارته وشرع بالقراءة سرًا ثم قال بصوت مسموع:
يتحدث الجنرال بيتر تووم بإسهاب عن معلومات عن تهالك المفاعل النووي الإسرائيلي بديمونه وأنه دخل بمرحلة الخطر الإستراتيجي، أرفق

حديثه بحالات عديدة أصيبت بسرطانات مختلفة من العاملين به ومن قاطني منطقة الخليل وسكان منطقة النقب الصحراوية.

- قاطعه نوعام قائلًا بتعجب:

وما علاقتنا بهذه الترهات، إن معظم تلك المناطق يقطنها العرب والمسلمون، فما الضير إذن؟!!!

- خلع الرئيس الأمريكي نظارته ونظر له وقال:

أنا أقرأ المكتوب من شخص قد توفي، فلا تلمني على ما أنقل لك وانتظر حتى ننتهي

- قال نوعام بلا تعابير بصفحة وجهه:

توفي.. نعم.. توفي

لقد قال لي المسيا ذلك حين قابلته

- قال الرئيس:

أو قد قابلته؟!

- استدرك نوعام قائلًا:

أعني بمنامي.. بمنامي

- نعم!! منامك

، ثم وضع نظارته ثانية وواصل:

ثم تحدث عن خطر الغبار الذري المنبعث منه، والمتجه نحو الأردن وضرره البيئي والبيولوجي، وتحدث أنه في حالة وقوع انفجار قد يمتد مدى ضرره لدائرة نصف قطرها قد يصل إلى قبرص، وأنه حسب التقارير العلمية وصور الأقمار الصناعية فإن المفاعل يُعاني منذ زمن من أضرار جسيمة بسبب الاشعاع النيتروني، ويحدث هذا الاشعاع أضرارًا بمبنى المفاعل، فالنيترونات تنتج فقاعات غازية صغيرة داخل الدعامات الخرسانية للمبنى مما يجعله هشًا وقابلًا للتصدع، وقد بات تصدع المباني واضحًا للعيان منذرًا بكارثة بيئية قد تودي بحياة مئات الآلاف إن لم يكن الملايين.

إضافة إلى أن المفاعل أصبح قديمًا، بحيث تآكلت جدرانه العازلة كما أن أساساته بدأت تتشقق بسبب قدمها محدثة كارثة نووية ضخمة.

- أسند نوعام خده على كفه وقال بنفاد صبر:

دعك من هذه الترهات، إن قضايا التعويضات بالمحاكم الإسرائيلية قد تجاوزت المئة مليون دولار فهل تتخيل أن الحكومة الإسرائيلية ستدفع فلسًا، إنهم مدعون أفاقون، وهذا الكلام ليس بالجديد بل من العام ٢٠٠٢ ولم يحدث شيء بالمفاعل حتى الآن..

كل ذلك بسبب هذا التقني المسمى .. المسمى

لا أذكر اسمه على وجه التحديد..

نعم نعم كان اسمه (موردخاي فعنونو) الذي أفشى للإعلام بعض أسرار البرنامج النووي فبدأت الأنظار تتجه إلينا والخرافات والقيل والقال تتبعثر هنا وهناك

، أنزل يده وعدل من جلسته ثم ضحك وهو يقول متذكرًا:

وقد أخفقت بعدها أكثر من ١٥ دولة عربية في تمرير قرار يخضع برنامج إسرائيل النووي للتفتيش الدولي بالمؤتمر العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا ١٥-٩-٢٠٠٣.. واضطرت لسحب مشروع القرار على وعد أن يطرح المشروع النووي الإسرائيلي للمناقشة في اجتماع العام المقبل..

والعام المقبل يُدبر بوعد آخر بالعام المقبل الذي يليه وهكذا دواليك..

هؤلاء الملاعين العرب يتخيلون أن أجهزتنا ومنشأتنا ستعمل ضدنا..

الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومجلس التعاون الدولي ومنظمات حقوق الإنسان وغيرهم..

، ثم ضحك ضحكة طويلة وأردف:

يا لغبائهم..

حرفيًا أنا أتقزز منهم ومن قلة حيلتهم وعويلهم وولولاتهم المتتالية كالنساء الثكالى

، قطع حديثه لثانية مفكرًا وواصل:

ولكن، قل لي ما الغرض من تقرير كهذا يعده وزير دفاعك.. لا أفهم هل كان ينوى الترشح لمنصب أمين عام الأمم المتحدة أم ماذا؟!

- أعتقد أنه كان يفعل ذلك في بادئ الأمر كجزء من عمله بحماية دولتنا دولة إسرائيل

- ثم تحول بعد ما وجد من مشاكل لمصلح يخاف على البشرية جمعاء.. الذين منهم سكان مناطق المفاعل المجاورة من الملاعين العرب والمسلمين

، أشاح بوجهه ثم واصل محدثًا نفسه بصوت خفيض:

لاقى ما يستحق

- ماذا قلت؟!

- لا شيء..

، قام من موضعه وخطا نحوه ثم وضع يده على كتفه وقال:

سأريحك من التفكير.. إن مفاعل ديمونة مجرد ستار الآن فقد أصبح من التاريخ..

بمعنى أصح نقلنا عملنا النووي بمنطقة أخرى، ولكن هذا سر عسكري أخشى عليك إن انتقل خارج هذه الغرفة، لذلك لم نعلمك بهذه الأخبار

- قال الرئيس بوجوم:
لا تخشى شيئًا فلن ينتقل

، بفضول اعترى صفحة وجهه واصل:
إذن فلم تؤثر الزلازل بشيء كما حدثتني منذ قليل فلا وجود لديمونة من الأساس؟!

- ابتسم نوعام ببرود وواصل متجاهلًا سؤاله الأخير:
المهم لا تنسى ما حدثتك عنه، فالأوضاع بالمنطقة لا تبشر بخير

ثم توجه ناحية الباب مغادرًا

- وقبل أن يمضي استدار لمحدثه وقال مبشرًا مبتسمًا ابتسامة عريضة:
أريد أن أذكرك عنده بالخير حين يظهر..
وذلك ليس ببعيد فلتعد العدة..
أؤكد لك أنه وشيك وأنا على علم لا جهل..
إنه قريب..قريب جدًا..
فلتستعد لدورك في اللعبة القادمة..
فبمجرد خروجه سنلعب بمقدرات العالم ومستقبل الأمم كما يلعب

أولادك بقطع البازل، ثم استدار عنه وهو ما يزال يتبسم في بشر مواصلًا بينما يخطو خارج المكتب البيضاوى ويفرد ذراعيه على اتساعهما في أداء مسرحى:

أصبحت كثيرًا ما أردد هذه الكلمات من كتاب النبي إشعياء..

«عندما سيملك المسيا سيتطلع إليه قادة جميع الأمم ليكون قائدهم»

*****

اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزَّكِ يَا صِهْيَوْنُ! الْبَسِي ثِيَابَ جَمَالِكِ يَا أُورُشَلِيمُ، الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ، لأَنَّهُ لاَ يَعُودُ يَدْخُلُكِ فِي مَا بَعْدُ أَغْلَفُ وَلاَ نَجِسٌ

(سفر إشعياء – الأصحاح ٥٢/١ – العهد القديم)

*****

حين علم المغزى من حديث الملك له لم يدر على وجه التحديد ماهية ما يشعر به ويختمره من أحاسيس وأفكار وترهات ونوبات هلع وفزع وجنون وضحك وبكاء..

كل ذلك بآن واحد..

لبيك اللهم لبيك..لبيك لا شريك لك لبيك..إن الحمد والنعمة لك والملك..

لا شريك لك..

هل يُعقل ما يسمعه أم أن أذناه خاناتاه؟!

محال..هذا حلم..بل هذا كابوس..

صحيح أنه مر واختبر رؤية جن وعفاريت ومردة ووحوش وكائنات خرافية بل وقرآنية أيضًا، ولكن هذا الذي يذكره الملك أكبر وأوسع وأعمق من كل خبراته وما قد مر به.

أعادها الملك على مسامعه مرات ومرات، وقد كان سمعها أول مرة بوضوح تام ثم بدأ سمعه يتخلى عنه فيرى الملك يرددها بشفتيه وهو يهزه من منكبيه فرحًا به، ولكنه لم يكن يشاركه نفس الشعور ولا الفرح..

كان يهيم بوادٍ اخر..

كان تائهًا مرتعشًا..

حتى أنه شعر أن يديه باردتان كالثلج وتبع ذلك شعوره بدوار عنيف وما لبث أن فَقَدَ وعيه وسقط مغشيًا عليه وهو مايزال يتردد بذهنه قول الملك

- أنت مولانا الإمام المهدي المنتظر..

أنت مولانا الإمام المهدي..

أنت مولانا..

أنت..

*****

وَعَدُونَا فِي الذُلِ يَوْمَ قَرِيبْ لَسَوْفَ يستَكِينَ

وَتَتَبَدَلُ الأَدْوَارُ أَنْ نَرْجَعَ لِلرَّبِ مهطعِينَ

*****



﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾

(النازعات: ٢٣)

ذات مساء بعد الأحداث العظيمة المتواترة الأخيرة، انقطع بث محطات التلفاز ومحطات الراديو والشبكة العنكبوتية وجميع وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، لتظهر وتحل محلها بجميع شاشات الدنيا شاشة لرجل يجلس على كرسي عظيم الصنعة ذي فخامة.. هذا ما رآه كل العالم ولم يختلف عليه اثنان.

أما من يجلس على الكرسي فقد انقسم حوله المشاهدون..

فبعض الناس بالعالم رأوه رجلًا شديد الوسامة، جميل الطلعة، بهاء وأبهة، وشخصية وروح نافذين..

أما باقي البشرية فقد رأته شخصًا شديد القبح، مخيف الشكل، جعد الشعر، طافئة عينه كحبة العنب التي خرجت عن عنقودها ونتأت وبين حاجبيه رُسمت كلمة كافر..

قرأها من يستطع القراءة ومن لا يستطيع.

وأما حديثه فكان ذات الكلمات لكل من رآه لم يختلف سمعه، إنما اختلف فهمه وتأويله.

- قال:

إن من العقل أن تصدق فقط ما ترى ويبرهن لك على وجوده..

وإن، لمن الخبال أن تؤمن بما لم تره ولا يصدقه إلا خيال طفل..

ظهرتُ لكم بفترة من الزمان زاد فيها التوجس والريبة، وشاعت الاشاعات وتضاربت الأقاويل وتعددت المتاهات..

فكان لا بد لظهوري أن يحين

وها أنا ذا أبين ولا أبخل عليكم بالهداية لطريقي

والرجوع إلى الحق، حتى لا تُفقدوا أحبائي..

فكما من قبل أنقذتكم وتحملت جميع أوزاركم..ها أنا ذا أنقذكم ثانية.

ولمن لا يزال في حيرة من أمره..

لمن لا يزال في حيرة من أمري..

سأعطيك الأدلة والبراهين لتكشف بنفسك الحقيقة ولتصل إليَّ بعقلك

قبل قلبك

وأول دليل..

، صمت قليلًا وتركزت عيناه كأنها يتحدى المشاهدين وقال:

هل تستطيع أية قوة بالعالم مهما كانت وإن كانت حتى الولايات المتحدة

أن تسيطر على كل بث بآن واحد هكذا..؟

الإجابة..كلا، ولكن أنا أستطيع..

، هل تستطيع أية قوة بالعالم أن تُمطركم جميعكم وحالًا بجميع دولكم

وأقطاركم وبحاركم وقفاركم رغم الجفاف والعجاف؟

الإجابة كلا..

ولكن أنا أستطيع..

، ثم طقطق بإصبعيه وقال:

أمطري..

ولعجب الناس فقد أمطرت الدنيا جميعًا لتوها وبنفس اللحظة، وكأنه
ساحر أخرج السحاب من جعبته.

- ثم واصل قائلًا وهو يتبسم واثقًا:
ومن أنا..!!
أنا الماضي والمستقبل

، وقام من على كرسيه وخطا خطوات للأمام
وقال بلهجة مسرحية فاتحًا ذراعيه عن آخرهما وقد علت نبرة صوته:
أنا مولاكم، قائدكم، مخلصكم ومطهركم
أنا المسيا المنتظر وليس منتظرًا غيري
أنا من ليس كمثله شيء..أنا الأعلى..
أشفي المريض وأحيي الميت..
أمطر السماء وأُنبت الزرع..
أخلصكم من الجفاف والأيام العجاف
أظهر ومعي الخير الوفير..
فهل يستوى من يظهر ومعه خير الدنيا ومن يظهر ليقضي على خير
الدنيا؟!
ظهرت لأقضي على أدعياء المهدية وأشباههم وأتباعهم وكل من ينصرهم

أو يأويهم والذين ظهرت معهم الزلازل والبراكين وندرة الأمطار والجفاف والأوبئة فهل تعتقدون أنها مصادفة؟!

هؤلاء الضالون المضلون الذين لم ننزلهم بسلطان.

وجئت هذه المرة بالجنة والنار معي، فمن تبعني فلا يهمه من الدنيا صعاب مهما بلغ مدى حزنه أو عجزه أو همه أو مرضه أو أي شيء، أما من يخالفني فالويل له مني..

وتبيانًا لحديثي ولأختبركم فإني أجوب الدنيا جمعاء، وليتحضر الجميع فردًا فردًا لمقابلتي، فمن كان مني فليعد العدة للانضمام لجيشي للقضاء على من هم ليسوا مني.

ورسالتي الأولى لأحبائي وشعبي المختار وخاصتي بأورشليم وإسرائيل..

أولادي الذين عملوا من أجل ظهوري منذ سنين طوال..

وكانوا مخلصين..

تحضروا وأعدوا العدة..فملككم الذي ترجون هو آتٍ لكم..ولتجن ثمرة عملكم وجهدكم

، فانتظروني بنهاية المطاف بعد أن أُخضع العالم والدنيا جمعاء لنحكم سويًا من أرضنا..إسرائيلنا..ذاتنا وميعادنا

نحكم كل العالم ويدين لنا الكل..

فإلى الملتقى القريب.

*****

«وَأَعْطَى لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كنعان مُلكًا أَبَدِيًّا وَأَكُونُ إِلهَهُمْ». (سفر التكوين - الاصحاح ١٧/ ٨ -العهد القديم)

******

كان المشهد عبثيًا إلى حد بعيد بعد ذلك..

فلقد انقسم العالم أجمع لفريقين كل فريق يحتفل بظهور ما طال انتظاره وكأن الظهور للشخصيتين كان مقدرًا له الحدوث بنفس التوقيت.

فبلاد الإسلام والعرب وحتى بلاد مجلس العالم الشرقي خاصة الإسلامية منها كانوا يحتفلون بظهور المهدي المنتظر بعد إعلان المملكة العربية السعودية ظهوره وتأكيدها أن كبار العلماء والفقهاء من الدول العربية والإسلامية قاطبة قد أجمعوا على أنه هو المنتظر بعد استشارتهم..

وكان احتفالهم مقتصرًا على ألعاب نارية وتجمعات بالشوارع، وجماعات ذكر بالمساجد وقيام ليل وصلوات تهجد وشكر، ودعاء من فوق المنابر وبالصلوات وبمكبرات الصوت بصلاح الحال وتقبل سائر الأعمال وطرح البركة بالمهدي وجيوشه ونصرهم النصر المبين على أعداء الله، إلى جانب أناشيد دينية وأدعية وابتهالات بمحطات التلفاز والراديو والإذاعات المختلفة.

أما بلاد الغرب ودول اليهود والصهاينة فقد كانوا يحتفلون بظهور المسيا المنتظر والمخلص الذي سينفذ إرادة الرب على الأرض ويخلص البشرية من الشرور حتى يعيش من يعيش بعدها تحت حكمه ألف عام في سلام ووئام لم تشهد الأرض مثيلًا لهم من قبل.

أما احتفالاتهم فقد شملت كل أنواع المجون وأقيمت بكل مكان..

حفلات سكر وعربدة ومخدرات وإباحية وعري وجنس جماعي وشذوذ، وحفلات غناء ورقص اتسمت بزخم شديد بالشوارع والطرقات وأضيئت الشوارع بشاشات العرض الهائلة الضخامة والألعاب النارية حتى ليبين ليلها نهارًا، وكان الدجال يظهر بنفسه في هيئته البشرية بهذه الحفلات بالشوارع فتهيج الجماهير لرؤياه فيحييهم كنجم هوليوودي لامع لترتمي النساء والصبايا بأحضانه فيستقبلهم بضحكة واسعة شيطانية أحببنها كثيرًا.

ليتركهن سكارى يتلذذن بتذكر وقع قبلته على شفاههن لمن يسعدها الحظ ويقبلها ولمسته الساحرة لأجسادهن كأروع ما اختبرن يومًا، وينتقل بطريقته الشيطانية لمكان آخر ليعيد الكرة ويحيي مريديه ويبعث فيهم روح الدنيا وحبها كما يريد وأراد دومًا.

وكان ذروة ليلته أن اتخذ طائرة كبيرة مرسومًا على بدنها كله مناصفة علم الولايات وعلم إسرائيل، توجه بها لتل أبيب ولم يطر بجناحيه ليقوم بتصوير ذلك إعلاميًا وبثه مباشرة ليراه كل العالم.

وكان الاستقبال بتل أبيب حافلًا..

استقبلوه على أنغام النشيد الوطني الإسرائيلي..

هَتِكْفاه הַתִּקְוָה

بمعنى (الأمل)..

وهو اسم النشيد الوطني الإسرائيلي الذي تمت كتابته على يد (نفتالي هيرتس إيمبر) شاعر يهودي من شرق أوروبا.

وقد صدرت أول نسخة لهذه القصيدة في القدس عام ١٨٨٦، وعلى ما يبدو أن إيمبر كتبه خلال زيارته لفلسطين لتضامنه مع الحركة الصهيونية. وفي سنة ١٩٣٣ تبنت الحركة الصهيونية البيتين الأولين للقصيدة -بعد تعديلها بقليل- نشيدًا لها، حيث صار نشيدًا وطنيًا غير رسميٍّ لدولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وفي عام ٢٠٠٤ أعلنت الكنيست «هتكفاه» نشيدا وطنيا رسميًا لدولة إسرائيل.

- استقبلوه وهم يتمايلون دامعي العيون من وقع تأثير كلمات النشيد واللحن الحزين والذي قام بتلحينه (صموئيل كوهين) وهم يترنمون مع النغمات مرددين:

(طالما في القلب تكمن نفس يهودية تتوق، وللأمام نحو الشرق عين تنظر إلى صهيون

أملنا لم يضع بعد، الأمل الأزلي أن نعود إلى بلاد آبائنا، إلى المدينة التي نزل عليها داود.

أملنا لم يضع بعد، أمل عمره ألفا سنة، أن نكون أمّة حرّة في بلادنا، بلاد صهيون وأورشليم.)

(كول عود باليفاف پنيا نيفش ييهودي هوميا أولفأتيه مزراخ كاديما عاين ليتسيون تسوفيا.

عود لو أفداه تكفاتينو هاتكفاه بات شنوت ألپايم لهيوت عام خوفشي بأرتسينو إيرتس تسيون ڤيروشالايم.)

*****

إِبْتَهِجِي جِدًّا يَا اِبْنَةَ صِهْيَوْنَ، اِهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ اِبْنِ أَتَانٍ

(سفر زكريا - الأصحاح ٩/ ٩ - العهد القديم)

*****

تبع ذلك مباشرة تتويج كل فرقة لشخصيتها..

فالعرب قاموا عن بعد بتتويج المهدي على الجيش العربي الموحد رغم كراهيته لذلك..

حيث قام خادم الحرمين الشريفين بالاجتماع هاتفيًا بكل ملوك ورؤساء العرب بعد التشاور مع كل علماء الأمة الكبار الذين أكدوا علامات المهدي وأجمعوا على شخصه، وقد قام الكل بمبايعته على الهاتف بإمارة المؤمنين وقيادة الجيش العربي الموحد.

وبذات الوقت قام الغرب أيضًا بتتويج المسيا على جيوشهم وحلفهم بعد أن ظهر لمعظمهم وشاهدوا معجزاته وقدراته الخارقة التي لا يمكن أن تتأتى لبشر.

وما إن تم التتويج بالجبهتين حتى هدأت الدنيا لأيام متتالية خلت من أية أحداث تُذكر.

ولكن كان هذا خنوع خادع.. كان هدوء ما قبل العاصفة..

العاصفة المدمرة.

*****

أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط.

*****

بدأ محمود موسم حجه، شعر قبل أن يطأ الأرض المقدسة وقبل أن يرى الكعبة المشرفة أن قلبه يكاد ينفجر مكسرًا عظام صدره من شدة الألم والحزن، حزن لم يختبره من قبل على طول عمره وكثرة خبراته..

حزن عنيف، حزن يفت في عضده ولا يفلح معه أي شيء مهما حاول.

وأكثر ما كان يؤرقه أنه لم يعلم ما حدث لابنته قبل اختفاء عبدالله، ولماذا كانت فاطمة صامتة رافضة للتحدث حول ما حدث؟!

سؤال كان يؤرقه ويَقِضُّ مضجعه ويعاود الظهور بسطح عقله كلما تملص منه ودفنه بأغوار سحيقة..

وما مصيرها هي ونجوى زوجته!؟

أما ولده خالد فهو ما كان يعجب له كلما تذكره..

فلم يكن يشعر بحزن وإنما بنقم وغضب عليه وكان يعزى ذلك لشعوره بضلوع ولده فيما حدث بطريقة ما..

فهو من جلب لهم الشيطان الدجال أو أنه بريء والشيطان هو من دنسه ولوث روحه!!

لم يدر الإجابة ولم يدر ما العمل تجاه كل هذه المشاعر المختلطة من حزن وآسى وغضب وكره وغل وحنين واشتياق ولهفة وكآبة وغم وهم؟ إلا أن يشغل نفسه بالحج الذي وفقه الله للحاق به بأعجوبة رغم أنه لم يعد له عدته قبلها.

وبينما كان يطوف ويتفكر بكل ذلك..لمح عن قرب وسط الزحام وجه عبدالله.

جفل وفزع وانتبهت حواسه حتى لا يضيعه وسط الزحام، ولاحظ أنه شبه مرتعب ويجرى بعيدًا عن الطواف باتجاه معاكس وهو يتلفت حوله فتبعه، في بادئ الأمر ظن أنه يهرب منه إلا أنه بعد برهة وجد أنه يهرب من شرطة الحرم فقد وجد اثنين منهم يلاحقونه، فاستمر في ملاحقته هو الآخر ونجح في الوصول إليه قبلهم، ومد يده فأمسكه من كتفه ولفه من جزعه ليواجهه..

- نظر إليه محمد وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ذهولًا وهو ينطق باسمه: محمود

- حاول أن يرفع صوته وهو يقرب فمه من أذن محمد ليُسمعه وسط ضجيج الحجاج وقال:

ماذا فعلت بابنتي يا خائن

- ماذا حدث لفاطمة؟!

- أمسكه من لبس الاحرام وقال بعنف:
أنا الذي أسألك، أجب وإلا فالويل لك

- جاوبه وقد بدأ القلق على فاطمة يقتله:
صدقني لا أعلم، أنا الذي أريد منك إجابة، أرجوك ماذا حدث؟!

وقبل أن يبادله الحديث وجدا الشرطيان على رأسيهما قد حضرا وطلبا من محمد المشي معهما دون مقاومة، فانصاع للأمر ولكنه أصر على اصطحاب محمود الذي ألجمه الموقف فسكت وانقاد لهما عله يجد تفسيرًا، فاقتاداهما خارج الحرم المكي، ثم أركباهما سيارة واتجهوا بهما مباشرة للقصر الملكي ليجدوا الملك بانتظارهم والذي فور أن رآهم هب من كرسيه واقفًا وهرول ناحيتهم.
- قال معاتبًا:
مولانا المهدي، لماذا كنت تريد الهرب؟ ألم أحذرك من تفكيرك ذلك!

- سيدي الملك، أنا لست بالمهدي، صدقني، أنا مجرد إنسان عادي، أقسم لك على ذلك، لماذا لا تصدقوني؟!
أنا لست وليًا ولا عالمًا ولا شيخًا من شيوخ الإسلام، وللمرة المليون

أرددها أنا شخص عادي جدًا، أخطئ وأندم أذنب وأتوب وليس لي أية كرامة، ولم أكن يومًا أفضل ممن حولي ولم أدعِ ذلك حتى، فلم أنا؟!

أنتم مخطئون، مؤكد أنكم مخطئون

- استمع إليه الملك دون مقاطعته ثم رق لحاله فربت على كتفه وسحبه من يده ليجلسه قائلًا:

اجلس يا ولدي، اجلس..

أعلم أن الأمر جلل وجد كبير، ولكن لنستمع لصوت العقل..

اسمعنى وفكر معي حتى نهاية كلامي دون مقاطعة..

من أتى بك ها هنا؟!

- الدابة..

- جميل.. وما الدابة؟!

خلقٌ كريمٌ من خلق الله، ذُكر بقرآنه، وكان لنا شرف رؤياها بأم أعيننا والحمدلله أن طبعتنا بطابع العباد الصالحين، وهي ليست خلق عادى تراه وكأنك ترى سائر خلق الله الذين نراهم كل يوم من بشر وطيور وحيوان ونبات..

إنما هي خلق متفرد لم ولن نراه مرة أخرى..

أفليس في ذلك لك بيان لتفرد ما تمر به؟!

ما يحدث لك بالنسبة لك درب من الخيال..أعلم ذلك..

ولكن كل ما يمر بنا هذه الأيام هو درب من الخيال، ويجب حتى لا نفقد عقولنا أمام كمية المتغيرات واللا ممكن التي نراها وبصفة شبه يومية أن نرجع إلى ديننا الحنيف وقرآننا وسنة نبينا العدنان حتى لا نفقد الجنان..

تنهد وصمت يستجمع كلماته للحظة وواصل:

- لقد قالت لك الدابة أكرمها الله بالنص..

يُصلح لك الله حالك بيوم وليلة..

ألا ترى أن هذا يوافق حديث رسول الله ﷺ برواية سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه:

«المهديُّ منا آل البيتِ يُصلحُه اللهُ في ليلة»

، أفلا تتدبر يا ولدى؟!

ثم إن اسمك يوافق اسمه واسم والدك يوافق اسم والده وأوصافك تطابق ما حكى عليه الصلاة والسلام، حتى أنك تمد لنسله الشريف وقد تحققنا من شجرة عائلتك حتى سيدنا الحسن بن على وفاطمة بنت الرسول رضى الله عنهم جميعًا وأرضاهم آل البيت..

وزيادة بعد كل ذلك فقد تحقق علماء الأمة من كل بقاع وطننا الإسلامي من المعطيات وأجمعوا على ترجيح أنك هو..

، فهل بعد كل ذلك مازلت متشككًا؟!

نعم أنت شخص عادي ولم نقل غير ذلك، وجدك الأكبر أعظم خلق الله ﷺ حين نزلت عليه الرسالة كان شخصًا عاديًا..

وقد فزع من هول وعظمة جبريل عليه السلام حين رآه وذهب لزوجته خديجة رضي الله عنها وأرضاها وكان يرتجف وقال لها..

«زملينى دثرينى»..

صمت قليلًا وهو يرقبه كأنما ليرى وقع حديثه عليه ثم واصل قائلًا:

- ولدي، أوصيك بالهدوء والصبر وتقبل أمر الله ولتبدأ في تهيئة نفسك لدورك الذي أعده الله لك، دون فزع أو خوف..

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن..

واعلم أنه لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله لك فلن يحدث..

فتوكل على الله..هو حسبك

- طأطأ محمد بن عبدالله رأسه وقد اقتنع بما قال الملك وردد بعد أن أخذ نفسًا عميق:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

، لله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله

- فقال الملك مستبشرًا:

الحمدلله

كان محمود لم ينبس ببنت شفة طوال جلستهم وقد دار عقله واضطرب فؤاده مما قد سمع من..كيف؟!، عبدالله صار المهدي المنتظر؟!

، متى وكيف حدث ذلك؟!

، وفور أن رآه محمد بن عبدالله سابحًا بأفكاره حد الغرق ..أجلسه بجواره، وربت على كتفه، وحكى له كل ما كان..

فأضاءت برأس محمود مناطق كانت مظلمة ومبهمة وفهم كثيرًا مما غُمَّ عليه واستوعب ماهية حدوثه، ثم حكى هو لمحمد بن عبدالله ما قد حدث لهم وموت فاطمة ووالدتها المأساوي..

فتحركت مشاعرهم ليبكوا سويًا حزنًا وكمدًا، ورق الملك لمنظرهم فتزعزت مشاعره ودمع هو الآخر

- تبع ذلك أن قام محمود بعد أن كفكف دمعه وقَبَّلَ رأس محمد بن عبدالله الذي صار المهدي واعتذر له عما سلف وقال:

مولانا الإمام المهدي..

بارك الله فيك وبارك عليك ووفقك لدورك ولما فيه خير الأمة وصلاحها..

من اليوم أنا جندي من جنودك..أرجو أن تتقبلني وتغفر لي ما كان..
أعزك الله وأعز الإسلام والمسلمين.

*****

بمقر إقامته بمدينة هانجشو الصينية، دخل غرفته بعد يوم طويل مرهق مليء بالأحداث، غيَّر ملابسه ولبس لباس نومه، تمدد فوق سريره المكان الوحيد الذي يشعر به أنه بعيدٌ عن الشكليات والرسميات والبروتوكولات والقرارات.

بدأ النوم يداعب عينيه، استلسم له وهو يشعر بالخدر اللذيذ المحبب وقد بدأ يسري ويستشري بجميع أوصاله.

ثم تراءى له رجل جميل الطلعة، بهي النظرة، صبوح الوجه ذو ملامح حادة بعض الشيء وتكسبه وسامة فوق وسامته.

- تبسم الرجل بوجهه وقال بصوت خلاب موسيقي له وقع محبب بالأذن كأصوات عزف الكمان:

(وانغ جين تاو)..

أنت أكثر أهل الأرض حظًا..

جئتك بالسعادة والقوة أحيزها لك جميعًا..

ولك وحدك.

تفكر (وانغ جين تاو) أن يا لهذا الحلم الجميل، طوال عمره يبحث عن السعادة وها هو يأتيه ملَكٌ كريم ليعطيه إياها بكل يسر وسهولة، فما...

- ولكنه فوجئ بمن يلكزه ليخرجه من نومه وخدره إلى أرض الواقع قائلًا:

(وانغ جين تاو)..

استيقظ، أنت لست بحلم..
استيقظ فهذا واقع ملموس وهذا يوم سعدك لا حلم ولا مراء.

فزع (وانغ جين تاو) وانتفض من مرقده وهب واقفًا على قدميه بلحظة وقد ارتعدت أوصاله، تراجع خطوات بسرعة للوراء حتى أنه تعثر وسقط على ظهره متأوهًا ولكنه رغم ذلك حرص على ألا تجفل عيناه للحظة عن هذا الغريب أمامه، ورغم حرصه فقد فوجئ بهذا الغريب يتجسد أمامه على بعد سنتيمرات منه للمرة الثانية وكأنه لم يبتعد عنه لتوه أمتار.
جفل للحظة وفزع ثم صاح بكل ما أوتيَ من قوة على حرسه الشخصى، إلا أن أحدًا لم يجبه وكأن صوته لا يتعدى حنجرته وهو ما زاد توتره ورهبته.

- ضحك الغريب ملء شدقيه ثم مدَّ يده يعاونه على النهوض قائلًا:
لا تخف (وانغ جين تاو)، أنا أعطيك الأمان

- قال بريبة وهو يتحاشى أن يضع يده بيد الغريب الممدودة:
من أنت، وكيف دخلت إلى هنا؟!

- تناول يده عنوةً وقال بجدية وهو يرفعه من مكان سقوطه:
قلت لك لا تخف قد أعطيتك الأمان، لو أردت بك شرًا لفعلت

- قام معه ثم ابتعد عنه وقال بتوجس لا يخلو من خوف:
أفصح عن هويتك وغرضك

- ألا تتابع التلفاز ونشرات الأخبار؟!
دقق بملامحي يا رجل مؤكد أنك قد رأيتني من قبل، أنت المفروض رئيس دولة من أكبر دول العالم!

- سرح للحظات ثم تمتم:
أنت من ظهر بالبث العالمي، أنت من لقب نفسه المسيا المخلص

- لست ألقب نفسي، هذا أنا بالفعل..

، صمت للحظة وأردف وهو ينظر بعينه:
وأكثر من ذلك إن أردت
- ماذا تعني أكثر من ذلك وماذا تعنى إن أردت؟!

- أكثر من مسيا، مخلص..

- أدار وجهه وقال بصوت هادر:
أنت لا تريد أن ترى وجهى الآخر، صدقني

- عقل حديثه فوجده على حق فقد رأى من قبل ما يستطيع فعله فقال متحاشيًا اغضابه:

وماذا تريد مني أيها العظيم؟

- كل خير، أريدك زعيمًا للعالم أجمع

- قال متعجبًا وقد مط شفتيه:

ولماذا أنا تحديدًا؟!

- لأنك رئيس الصين، ولأن بلدك الصين..

هذه القوة الجبارة الفاعلة، والتي أريد أن أرشدها وأشدها لطريق الحق

- غمغم وقد عقد ما بين حاجبيه غير فاهم:

طريق الحق!!!

- نعم، أما أنت فسوف تُفتح لك كنوز الدنيا، فأسرارها معي

- ما المقابل يا سيدي، أرجوك أفصح

- المقابل ودون إطالة شيئين..

أولاهما أن تترك حلف مجلس العالم الشرقي وأن تنضم لحلفنا، من المؤكد أنك تفطن أن العالم على شفير حرب عالمية ثالثة..

، ثم وجه إصبعه تجاهه وواصل قائلًا:
وأنت يجب أن تنضم إلينا

- وثانيهما؟!

- ثانيهما..أن تركع لي

- قال بتعجب زاده تهكم:
ماذا؟!

- تركع لي (وانغ جين تاو)، أظن صوتي واضحًا مسموعًا
- أدار له ظهره وقال:
وماذا إذا رفضت؟

باللحظة التالية اختفى من موقعه ليتمثل أمام ناظريه ثانية بعد أن أدار له ظهره، إلا أن هذه المرة تراءى له بهيئته الأخرى وقد تضاعف حجمه.

- قال وهو يفتح جناحيه ليمعن بإرعابه:

هل تريد حقًا أن تختبر معي ماذا إذا..؟!

قلت لك إني حزت سيادة العالم لك وكل ما تتمناه سيتحقق..حتى الميت..الميت يعود للحياة..

معي هذا ممكن!

، ثم شاور بيده فأخرج له ابنه المتوفى (وانغ جانغ لي) من العدم مارًا أمامه للحظة كاد قلبه أن ينخلع ويخرج خلالها خارج قفصه الصدري من فرط تلهفه وانفعاله، ليختفي ثانيةً باللاشيء كما ظهر ليترك قلب أباه فارغًا.

صاح (وانغ جين تاو) بأعلى صوت مناديًا مادًا ذراعيه تجاه صورة ولده الذي تلاشى، ثم بدأ ببكاء تحول سريعًا إلى عويل.

- اقترب منه وقال متبسمًا:

أبعد ذلك تريد أن تختبر معي ماذا إذا..؟!

- ابتلع (وانغ جين تاو) ريقه وردد بصوت مشوش وهو مايزال يبكي:

كلا

ثم من دون كلمة أخرى..

خرّ له ساجدًا.

*****



وَهَيَّأَ مِحْرَابًا فِي وَسَطِ الْبَيْتِ مِنْ دَاخِلٍ لِيَضَعَ هُنَاكَ

تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ.

(سفر الملوك الأول - الأصحاح ٦/ ١٩ - العهد القديم)

نَبْكِي وَنَبْكِي دَمًا وَالله مَا يَكْفِينَا

وَإِنْ بَعْدَ الزَّمَنِ بِزَمَنٍ ظَلَلْنا آسِفِينَ

رُعَاعُ أَسَافِلُ جَرُؤا غَيْرُ خَائِفِينَ

تَالله لَيَذُوقُونَ الهَوَانُ وَيَمْسُوا أَسْفَلِينَ

فَمَا الدُّنْيَا بِثَمَنٍ يَهُونُ وَطَأْكَ السَّافِلِينَ

وعَدُونَا في الذُّلِّ يَوْمٌ قَرِيبٌ لَسَوْفَ يسْتَكِينَ

وتَتَبَدَّلُ الأَدْوَارُ أَنْ تُرْجَعَ لِلرَّبِّ مهطعينَ

استيقظ العالم على خبر أسود، خبر سمعوا عنه تنبوءات وتكهنات وتوقعات من قبل، وخالوه دربًا من دروب الخيال خاصة العرب والمسلمين، لم يدر ببالهم أن هذا قد يحدث حقًا، كانوا تخيلوا مرارًا وتكرارًا هذا السيناريو وتصوروه كثيرًا، ولكن الكل استبعد حدوثه، الكل شعر منافاته للعقل والمنطق.

إسرائيل تبدأ بهدم بيت المقدس..

تهدمه للبحث تحته عن هيكل سليمان..

تهدمه لبناء هيكلها الموعود..

متى، كيف، ولما الآن تحديدًا؟!

كان ذلك مثار حديث اليهود بوسائل الإعلام المختلفة، حاولوا بشتى الطرق فرض وجهة نظرهم وبثها على العالم أجمع، حيث كان مفاد ونص حديثهم الموحد بكل وسائل البث أن:

- هيكلنا..

إرث أجدادنا على أرضنا..

بناه الملك سليمان إتمامًا لعمل أبيه الملك داود بأمر من الله.

وكان داود هو الذي نقل تابوت العهد والأحجار المنقوش عليها شريعة موسى إلى مدينة أورشليم بعد احتلالها من اليبوسيين.

أما سليمان فبنى الهيكل في أورشليم ووضع فيه التابوت والأحجار وجعل المكان معبدًا لله، وقد استمر بناء الهيكل ١٦ عامًا (من السنة الرابعة بعد توليه العرش وحتى السنة العشرين) وأنه تم بالاستعانة بحيرام ملك صور الفينيقي الذي باعه الأخشاب وأرسل إليه كبار صناعه.

وللهيكل تاريخ والتاريخ يحكي ويعبر عن قصتنا وقضيتنا نحن اليهود على مر العصور..

فقد تم بناء الهيكل وهدمه ثلاث مرات، أولها حين تم تدمير مدينة أورشليم والهيكل عام ٥٨٧ ق.م على يد نبوخذ نصر ملك بابل وسُبي أكثر سكانها، وأعيد بناء الهيكل حوالي ٥١٥-٥٢٠ ق.م.

وهُدم الهيكل للمرة الثانية خلال حكم المكدونيين على يد الملك أنطيوخوس الرابع عام ١٧٠ ق.م، وأعيد بناء الهيكل مرة ثالثة على يد هيرودوس الذي أصبح ملكًا على اليهود عام ٤٠ ق.م بمساعدة الرومان.

وهدم الهيكل للمرة الثالثة على يد الرومان عام ٧٠م ودمروا أورشليم بأسرها.

وبعد الفتح الإسلامي بُني مسجد قبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الأمر الذي لا يقبله اليهود لأنهم لا يؤمنون بالإسلام كديانة منزلة من الله، وبقى المسجد الأقصى على حاله التي هي عليه الآن، حتى بعد قيام دولتنا إسرائيل التي تسعى لبناء الهيكل مرة أخرى على جبل الهيكل، وذلك لأن مجلس الحاخامين الإسرائيلين رأى أن إعادة بناء الهيكل على جبل الهيكل بهذا الوقت آنذاك أمر ممنوع..

حتى يظهر فينا المخلص، المسيا..

وها هو قد ظهر، وها هو قد أمر، أمرنا بالهدم لنجد هيكلنا ونبنيه..

حتى يصبح وجهة الأمم، ومكان عبادتهم..

بأرض الميعاد..

ليعبدوه جنبًا إلى جنب، ليعبدوه كما قال كتابنا بكتف واحدة..

(لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ)

*****

جاءت أول ردة فعل فردية لخبر بدء إسرائيل بهدم الأقصى من جانب غير متوقع.

إيران..

- إيران قصفت إسرائيل نوويًا!!

قالها العاهل السعودي متعجبًا وهو ينظر بذهول لمحمد بن عبدالله المهدي

، ثم واصل محدثًا نفسه:

إن هذا لمجب العجاب..

وجعل يتعجب بعدها لفترة، وهو ما جعل المهدي يتساءل عن السبب

- فنظر إليه الملك وظفر ظفرة طويلة، ثم تأبط ذراعه وغمغم وقد بدأ السير:

فلتتمشى معي قليلًا يا ولدي..

أنت الآن ستصبح إمامًا للمسلمين أجمعين، ويجب أن تكون مضطلعًا بمسؤولياتك ولن يتأتى لك ذلك إلا حين تكون مطّلعًا على خبايا العالم السياسية..

ولكن أولًا دعنا نترحم على ضحايانا الفلسطينين الذين راحوا نتيجة هذه الضربة غير المدروسة ونحسبهم عند الله شهداء أحياء عند ربهم يرزقون

- رحم الله أرواحهم جميعًا وأسكنهم فسيح جناته.

- وبعد أن انتهوا من قراءة الفاتحة جال بخُلد الملك أن اطلاع المهدي على خبايا العالم هو دوره المرسوم وسرح بعيدًا وهو يغمغم لنفسه:

مؤكد أن هذا دوري الذي أشارت إليه الدابة..

حتمًا هو كذلك..

، ثم توقف عن السير والتفت إلى الإمام المهدي وقال بتودد وهو يخرج سيفه من غمده ويشير به تجاه حصانه:

أولًا أهديك سيفي (المنصور) وحصاني (الأشهب)

هكذا أسميهم، فلتبقَ على أسمائهم أو تغيرها إن شئت

- ردد المهدي مبتسمًا وهو يتناول السيف من يده:

شكرًا لعطاياكم جلالة الملك، بالطبع سأبقي على الأسماء فيكفي أنك من أطلقتها، وليعيننا الله على رد جزء من أفضالك علينا

- لا تقل هذا يا ولدي فالفضل فضل الله، وقد أتاك من فضله الكثير لو تعلم، جعلنا الله عونًا لكم وجمعنا بكم على خير بالدار الحقة الآخرة..

، بعد أن أمّن المهدي على دعاء الملك تابع الأخير حديثه قائلًا:

الآن سوف أعلمك كل ما أعلم يا مولانا..

اسمع يا ولدى.. ولنبدأ بحكاية إيران هذه..

من البداية كان عزل إيران عن العصبة الإسلامية تآمر أمريكي غربي، وخلق أعداء للإسلام من داخله كان نهجهم وسياستهم.

وقد نجحوا، فبالرغم من الشعارات الرنانة الثورية المنتشرة دومًا بإيران «الموت لأمريكا والموت لإسرائيل»، إلا أن هذه ما هي إلا ألعاب سياسية، مجرد لافتة لدغدغة المشاعر المحلية في إطار عمليات الحشد الشعبي الدائم للنظام في طهران.

فعدد يهود إيران في إسرائيل يتجاوز ٢٠٠,٠٠٠ يهودي، وكبار حاخامات اليهود في إسرائيل هم إيرانيون من أصفهان، ولهم نفوذ واسع داخل المؤسسات الدينية والعسكرية ويرتبطون بإيران عبر حاخام معبد أصفهان، ووزير الدفاع الإسرائيلي السابق «شاؤول موفاز» إيراني من يهود أصفهان، وهو من أشد المعارضين داخل الجيش الإسرائيلي لتوجيه ضربات جوية لمفاعلات إيران النووية، والرئيس الإسرائيلي سابقًا «موشيه كاتساف» إيراني وكانت تربطه علاقات ودية حميمة مع «الخامئني» والرئيس الإيراني الأسبق «أحمدي نجاد».

- تطلع إليه محمد بن عبدالله بذهول وقال:

كل ذلك!!

ولكن الظاهر كان عداوة جلية للعيان بينهم

- مازلت سأزيدك من الشعر بيت..

كما وتعتبر إيران من أكبر الدول التي تضم تجمعات كبيرة لليهود خارج «إسرائيل»، حيث يتواجد فيها أكثر من ٤٠,٠٠٠ يهودي أو يزيد، وكنائس اليهود في طهران وحدها تجاوزت ٢٠٠ كنيسة، حيث تعتبر إيران بالنسبة لليهود هي أرض «كورش» الكبير مخلّصهم..

أول وأحد أعظم ملوك فارس، وفيها ضريح «استرومردخاي» المقدس، كما يحج يهود العالم إلى إيران، لأن فيها جثمان «بنيامين» شقيق نبي الله يوسف عليه السلام، ولهم إذاعات تبث من داخل إسرائيل ومنها إذاعة «راديس» التي تعتبر إذاعة إيرانية متكاملة كما توجد لديهم إذاعات على نفقة ملالي إيران.

- عقد ما بين حاجبيه وتساءل مندهشًا:

إذًا فلماذا تضرب إيران إسرائيل نوويًا بعد كل ما حكيت؟!

- السياسة بحر قذر وقاك الله إياه..

حتى الآن لا أعلم لماذا، أغلب الظن أن تكون إيران قد غيرت حسبتها وتريد أن تقف بالجانب الروسي المنحاز للعالم الإسلامي بالآونة الأخيرة، وأن هذا الدب قد حذرها من التلاعب على الوجهين معنا ومعهم كعادتها دائمًا من فوق المنضدة معنا ومن تحتها معهم، وأنه قد حرضها على ضربتها تلك بعد أن طمأنها بالدعم والمساندة، فالكل يعلم أن إيران لم تكن لتستخدم ما تمتلكه من سلاح نووي ضد إسرائيل، لأنها تعلم جيدًا حجم الفارق الكبير في القوة النووية والعسكرية بينها وبين إسرائيل التي تملك أكثر من ٢٠٠ سلاح نووي فضلًا عن الدعم العسكري والنووي الأمريكي.

هذا إلى جانب سبب آخر وهو أنه بالآونة الأخيرة كانت هناك استفزازات ومحاولات لا تُخفي من الجانب الإسرائيلي والولايات المتحدة لاغتيالات علماء إيرانيين وتفجيرات في منشآت صاروخية ونووية إيرانية، وتخريب الكتروني في معدات تخصيب اليورانيوم، فضلًا عن عمليات تجسس جوي وبشري وهو عامل آخر من الممكن أن يكون قد دفعها إلى ما فعلته.

- إنه لمستنقع آسنٌ قذر وليس بحرًا، ولكن أنر عقلي زيادة من فضلك يا جلالة الملك..

قولك هذا أنها ليست معنا من تحت المنضدة ما معناه؟!

- كان الخوف فيما مضى من قوة إيران النووية يأتي من جانبنا نحن العرب وليس إسرائيل التي تبعد عنها حوالي ١٨٠٠ كم، فلم يكن عند إيران صواريخ باليستيه متوسطة وطويلة المدى لتصيب إسرائيل بالعمق، وفي ظل عدم وجود قوة ردع نووية عربية، تصبح العواصم العربية في منطقة الخليج ومصر في مرمى الصواريخ الباليستية الإيرانية القادرة على حمل رؤوس نووية، ولا تتعجب فوحدها الأمة العربية هي العدو الحقيقي والتاريخي لإيران، منذ هزيمة الإمبراطورية الفارسية وتدميرها في معركة القادسية بالعام ٦٣٦م ، ورغم أنهم أصبحوا مسلمين منذ مئات السنين إلا أنهم لا ينسوا تلك الهزيمة من قبل المسلمين العرب، لذلك هناك من يرى أن نفخ نظام الملالي منذ العام ١٩٧٩م في نار الطائفية خلفيته الكراهية للعرب.

- إذًا فإيران لها يد عميقة بما يحدث من تحزب ببلادنا العربية؟

- بالطبع فهي ترعى العديد من الميليشيات في العراق وتمدها عبر الحرس الثوري بالأسلحة والتدريب، وكانت في مركز الإتهام دائما في إذكاء الفتنة الطائفية في هذا البلد الذي كان عدوا لدودا لها في الثمانينيات، وقد كانت طرفًا في حرب الخليج الأولى ضد العراق والتي استمرت لثماني سنوات، وكانت منخرطة في عمليات عسكرية في سوريا، وهي عنصر دائم في الأزمة السياسية بلبنان عبر حليفها حزب الله، وتصدرت إيران مجددًا مشهدًا متأزمًا آخر ولكن في اليمن عبر دعم ميليشيات الحوثي المتمردة التي عانينا منها الأمرين هنا بالداخل السعودي والتي دمرت البنية السياسية والعسكرية لليمن وكانت تحاول الاستيلاء على الشرعية الدستورية هناك قبل دحضها ودحرها ولله الحمد، وغير ذلك مما يخفى.

، شرد قليلًا ثم واصل:

أكثر من أربعين عامًا من «الثورة الاسلامية» الإيرانية، ماذا قدمت للقضية الفلسطينية وتحرير القدس، سوى الخطب الجوفاء والشعارات الرنانة، واطلاق تسمية «فيلق القدس» على أكبر وأخطر ميليشيا في الحرس الثوري الإيراني، المسؤ لة عن عمليات خارج الحدود الإقليمية؟!!

لا شيء..حقًا لا شيء حتى بأيامنا هذه حين اتحد العرب تحت لواء

إسلامي غير خافٍ فهي لم تفكر حتى بالانضمام لجيوشنا كما فعلت روسيا والهند والصين..

واليوم يريدون أن يقلبوا كل الموازين ويعدلوا الاتجاهات وهو ما أراه غريبًا، ولكن الله على كل شيء قدير، فعلى كل حال وقوفها إيجابيًا إلى جانبنا بهذه الحرب التي لن تُبقي ولن تذر لن يخسرنا شيء مهما كانت نواياها، فهي قوة لا يستهان بها ستعدل كفة ميزاننا ولو قليلًا.

ثم شرع بعد ذلك في سرد الكثير والكثير من خبايا العالم السياسية والحربية حتى لم يتبقَّ شيء مما عرفه، وقد كان المهدي حريصًا على معرفة كل تفصيلة متقد الذهن ليستوعب كل معلومة ويحاول فهمها وهضمها وحتى تسجيلها بعقله، وقد سرقهم الوقت حتى أتى وقت صلاة الفجر، فقاموا للصلاة وكل نفسٌ منهم راضية عن جهدها بهذه الجلسة المنصرمة، وما إن دخلوا المسجد حتى صلَّى كل منهم ركعتين بنية الدعاء وفاض كل منهم بسيل من الأدعية وجهها لربه راجين منه أن يتقبل.

*****

بالوقت الذي كان فيه المسيح الدجال يدور بالعالم كله لينسق بين مريديه وأعوانه ويرتب الأدوار ويوزعها بعد ضربة إيران، كان نوعام ايتان رئيس وزراء إسرائيل يُعد عدته لضربة نووية قوية لطهران..

حسبَ أنه يستطيع تأدية دوره كيفما يتراءى له بحكم العادة..

إلا أنه فوجئ وقبل صدور الأمر بالضرب مباشرة

بينما كان يُشعل سيجارًا ليدخنه بغرفة مكتبه ليتفكر بأبعاد قراره، أن المسيا يتجسد أمامه من العدم.

بداية جفل لرؤية الظهور المفاجئ، ثم زادت وعلت وتيرة الرعب داخله إذ استشعر غضبة المسيا الجلية والواضحة على ملامحه.

- نظر إليه الدجال وقال بصوت مرعب وهادر:

من أذن لك بقرار كهذا؟

- ابتلع ريقه وغمغم:

أي قرار سيدي

- قرار الضربة النووية

- سيدي، لقد ضربونا ويجب الرد عليهم ويجب ردعهم وتأديبهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر، حسبت أمرًا كهذا سيبهجك، إن....

- قاطعه قبل أن يتم جملته وصرخ حانقًا:

اخرس..

ثم تجسد بصورته المرعبة حيث كبر حجمه فجأة حتى بلغ سقف الحجرة العالي وظهر جناحاه وتحول لونه للأسود، تبدلت كل معالم الرجل الشديد

الوسامة لهذا الوحش بلحظة، وكاد نوعام رغم تيقنه أن هذا مخلصه أن يغشى عليه من رعبه.

- اقترب منه وجذبه من ياقته فنزعه من على كرسيه وطرحه أرضًا أمام مكتبه ثم جلس مكانه وقال:

من هنا أحكم العالم..

أنا..ولست أنت أو غيرك

، أتدري يا أبله لما جعلتك تنشر خبر نيتنا بهدم بيت المقدس؟

- اعتدل نوعام من رقدته أرضًا ونفض ثيابه ولم ينهض وقال وهو يشعر بالإهانة:

لنُظهر الهيكل ونعيد بناءه

- ضحك المسيخ ضحكة طويلة بعد رده وقال بتهكم:

هيكل..

هل تصدق أني أفعل كل ذلك لأجل هيكلك المزعوم!!

ألم أقل لك إنك أبله..

إن حرب اليوم تتلخص في شخصي وشخص مهديهم الذي توجوه فوق رؤوسهم..

اليهودية والإسلام..

وكل الأمم الباقية تابعون وجدوا أنفسهم في حالة وجب فيها أن يتخذوا صف أحدنا في حرب عالمية خططنا لها ودبرنا لها تدبيرًا..

، لقد فعلت ذلك لأستفز العرب.. منشأ الإسلام ودرته ومركزه..

ولأضعهم أمام حائط سد بين عزة أنفسهم وبين الهوان والرضوخ..

، فإذا ارتضوا ورضخوا كان خيرًا ولنتخذهم مثلًا وعبرة لمن يعتبر من باقي المسلمين، وليعلم الجميع منزلنا وقدرنا بكل العالم وسيكون رضوخ الكل لنا بالمثل دون عناء، ولسوف يتخذ الناس المتحيرون الذين لا يعلمون أي جانب يتخذون جانبنا بالطبع.

- بادر نوعام بالرد وقد شعر بثغرة ليلج منها لربح هذا السجال:

وإن لم يرتضوا وجرؤوا وفعلوا كما حدث من إيران وخيبوا ظننا وأملنا، وأفشلوا خططنا!!

- كل ثانية تثبت لي أنك أشد بلاهة مما ظننتك..

، لا أحد يستطيع إفشال خططي يا غبي..

، ثم وقف من على كرسيه وفرد جناحيه وقال بنبرة مرعبة خلعت قلب نوعام للمرة الثانية:

أنا الكبير.. الواسع الماكر الجبار..

أنظر لمن تتحدث

- قال برعب وأوصاله ترتعد:
أنا آسف يا سيدي لم أقصد، صدقني

- لم يعره اهتمامًا وأدار له ظهره ونظر من النافذة المطلة على تل أبيب من علٍ وواصل قائلًا:
الخطة البديلة أن يفعلوا مثل ما فعلت إيران، بهذه الحالة لن نرد، سنرجع كعادتنا إلى عهدنا القديم..
سنظهر أمام العالم أننا أدعياء سلام لا نرد الإساءة بإساءة..
كنا نريد فقط هيكلنا الذي نتعبد به لربنا، حقنا منذ الآف السنين قبل بناء بيت المقدس ذاته، وها هم قد قصفونا لطلبنا حقنا..
نحن نريد السلام أن يعم العالم وهم يقصفوننا نوويًا..بمعنى أصح سيناريو مشابه لسيناريو محارق الهولوكوست..
بهذه الحالة سنظهر بمظهر الحمل وهم كالذئاب ونضلل كل من كان متحيرًا لنضمه لطرفنا..
ثم بعد ذلك نُحرك كل جيوش العالم ضددهم متحكمين بالموقف عن بُعد دون أن يُحسب التدخل علينا..
، هل فهمت؟!
، حقا إني لأتعجب كيف أنك يهوديٌّ وتغفل أسلوبنا الأشهر على مر التاريخ!!

، رجع لينظر إليه.. تقدم منه وأمسك يده بعينه على الوقوف وحيث كان

ما زال مطروحًا أرضًا، أجلسه على الكرسي أمامه ثم رجع سيرته الأولى التي د ل بها عليه هيئة الرجل الوسيم، وأردف مواصلًا حديثه:
أتعلم مع من كنت قبل أن أتيك مباشرة

- جاوبه نوعام دون تعابير بصفحة وجهه وكان ما يزال يشعر بالمهانة:
مع من يا سيدي؟

- قال وعينيه تلتمع:
بابا الفاتيكان..
أو تدري ماذا فعل هذا الرجل لنا؟

- أعذرني لجهلي

- واصل كأن لم يسمعه وقال:
هذا الرجل وسابقوه كان لهم دور كبير لترتيب ظهوري..
- عقد حاجبيه وقال بدهشة:
وكيف وهم لا يؤمنون بك، إنهم يؤمنون أن مخلصهم هو السيد المسيح وليس أنت؟!!

- ضحك ضحكة طويلة ثم قال:
وما أنا للمسيحين إلا السيد المسيح!
وللمسلمين إلا محمد بن عبدالله..
وللذين يريدون أكثر فأنا ربهم الأعلى المحيي المميت صاحب الجنة والنار..

، واصل ضحكته ثم قال وهو يفتح ذراعيه كالسحرة ليُظهر شاشة ارتسمت على الحائط أمامه وبدأ تدافع مشاهد متتالية عليها كأنه فيلم:

لا تقاطعني واسمع وأنت تشاهد فيها ساعد بابا الفاتيكان الحالي وسابقيه..

ظهرت على الشاشة ساحة الفاتيكان ثم ظهر وجه بابا الفاتيكان ومن بعده تدفقت المشاهد تبعًا لكلماته، وهو يواصل قائلًا:

- لقد ساعدوا بالسلطة المُخولة لهم وبشعبيتهم وسيطرتهم على مريديهم في بناء جماعات تدعم نظرية إعادة بناء هيكلك منذ القرن البائد وترمي طريقًا ممهدة لظهوري ومنها..

... المسيحيون الإنجيليون:

الجماعة التي تدعم إسرائيل في كل مواقفها التي كانت ترى أن نهاية العالم قد صارت وشيكة وتعد العدة منذ زمن لمعركة هرمجدون..

...فريق الصلاة لأورشليم:

تقوم بالدعم لإسرائيل منذ نشأتها وبوجهة نظرهم يفعلون ذلك لأن عودة السيد والمخلِّص ترتبط بأورشليم مباشرةً وأنَّ معظم النبوءات التوراتية تشير إلى أورشليم ونهاية الزمن، وإلى بناء الهيكل الجديد، وقيام معركة هرمجدون.

...السفارة المسيحية الحولية:

أنشأها الإنجيليون في سبتمبر بالعام ١٩٨٠، وتعمدوا أن يكون مقرها في أورشليم، وللسفارة المسيحية خمس عشرة قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بأنواع متباينة من الأنشطة الفعالة لصالح إسرائيل يشمل تشجيع كل أنواع الدعاية للدفاع عن القضية اليهودية في الصحافة والراديو والأفلام والاجتماعات أوة وسيلة إعلامية أخرى.

... منظمة الأغلبية الأخلاقية:

وهي التي أسسها القسجيري فالويل بالعام ١٩٧٩ وهي ذات توجه ديني سياسي، لها برنامج إذاعي يومي يستمر لساعة كاملة، واسمه ساعة الإنجيل تبثه ستمائة محطة في أنحاء العالم، ولها مجلة دورية بعنوان (صوت المسيحية)، وينظم فالويل من خلال منظمته رحلات دورية إلى الأراضي المقدسة.

...هيئة المائدة المستديرة الدينية:

تأسست بالعام ١٩٧٩ لتنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي، وتضم عددًا كبيرًا من أضخم المنظمات، ومن أنجح العاملين باليمين الديني، وبها منظمة أبحاث غاية في السرية، ولديها ملفات عن آلاف الشخصيات العالمية، وتعتبر هذه الهيئة دعم إسرائيل واجبًا لأسباب لاهوتية واستراتيجية.

...مؤسسة جبل الهيكل:

أسسها تيري ريزنهوفر وهو تاجر أراضي وبترول من أجل العمل على تحقيق النبوءة التوراتية بشأن بناء الهيكل الثالث، وقد جمعت عشرة ملايين دولار آنذاك لتستخدمها في تقديم المعونة لبناء المستوطنات وشراء الأراضي من الأوقاف الإسلامية والمساعدة في مشروع إعادة الهيكل، وشارك ريزنهوفر في تنظيم حملة بالعام ١٩٨٣ للاحتجاج على القبض على المستوطنين الإسرائيليين المتورطين في مؤامرة ضد المسجد الأقصى بل وتبرع بتكاليف الدفاع عنهم

، وتبرع أيضًا بمبالغ ضخمة لمنظمة الهيكل المقدس اليهودية.

- استعاد نوعام إحساسه بنفسه بعد ما سمعه وأسعده ونفض إحساس المهانة عنه وقال بزهو وهو يبتسم:

معنى ذلك أن مسيحيي العالم اتخذوا صفنا؟

- تأفف الدجال وقال بأسف جلي:

ليس كلهم..

تبقى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمصر وتابعيها بالعالم كله..

والتي هي من أعرق الكنائس بالعالم للأسف..

تبقى حجر عثرة أمامي إلى الآن..

فلقد أكدت مرارًا على أنها لن تدخل أورشليم إلا بعد دخول المسلمين

حسب ما قاله (البابا شنودة) بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية السابق قبل وفاته، وقد جددت العهد وأكدت أيضًا معارضتها لإقامة الهيكل الثالث.

، وسرح قليلًا ثم واصل حديثه:

ولكن يكفيني حاليًا ما سردته لك.

، ثم هب واقفًا وقال بجدية:

كل أتباعي لن يقوموا بأية قرارات فردية من اليوم وأنت منهم، إن احتجت مشورتي بأي قرار فقط اهمس باسمي وسأتيك كما الآن

- سمعًا وطاعًا يا سيدي

- أتركك الآن لأذهب لاكمال جولتي بالعالم فمازال أمامنا الكثير

خطا خطوتين للأمام وتلاشى بالعدم واختفى كما ظهر.

*****



قف على الأعتاب..

أنت بحضرة الروضة الشريفة

فلا تخف من السقم!

وكأول طلب يطلبه، سأل المهدي الملك أن يذهب به للمسجد النبوي..
تحديدًا الروضة الشريفة وقد تذكر رؤياه بمنزل قريب محمود.
وقد كان له ما سأل وبذات اليوم..
وما إن دلف إليها حتى شعر بشعور لم يداخله من قبل..
رضا ممزوج بطمأنينة داخلتهم قوة استشرت بعروقه كما يستشرى الدم داخلهم.
وقف ينظر حوله متفحصًا كل متر من المكان حتى وجد زخرفًا بمدخل الروضة حسب أنه رآه من قبل رغم أن قدمه تطأ المكان لأول مرة، مكتوب عليه حديث الرسول ﷺ:
(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)

- فقال محادثًا نفسه وهو يستنشق عبيرًا هفهف عليه حسبه عبير الجنة:
صدقت يا سيدي يا رسول الله، حقًا روضة من رياض الجنة
، ثم كان أن ضحك وهو يقف بعتبة الروضة مسترجعًا حلمه بمنزل قريب محمود فقال بصوت خافت:
(قف على الأعتاب أنت بحضرة الروضة الشريفة فلا تخف من السقم)
، ثم ضحك مستبشرًا وردد:
والله ما أخاف يا سيدي..
والله ما أخاف.

*****

مكة المكرمة

الاجتماع العاشر لملوك ورؤساء العرب

- الرئيس السوري (رئيس الجلسة):

بسم الله الرحمن الرحيم

بادئ ذي بدء نحب أن نرحب بالضيفين الكبيرين، سيادة الرئيس الروسي (ديمتري ألكسندروفيتش)..

وفخامة الرئيس الهندي (ناريندرا براتاب).

اللذين شرفانا بزيارتهم الكريمة ليطلعوا على آخر تطورات ومستجدات صنع القرار العربي بالمنطقة وليشاركوا بالطبع بآرائهم وتوجيهاتهم كحلفاء بحلف مجلس العالم الشرقي

، ثم تبسم وقال ببشرٍ وسرور:

ونود أيضًا أن نُعرب لهم عن حبورنا وسرورنا ونتقدم لهم بأسمى آيات التهاني بالنكتة البيضاء البادية على وجوههم..

فهنيئًا لكم.

فقام الجميع بالتصفيق وتبادلوا معهم عبارات التهنئة الجماعية والتي ترجمها لهم المترجمون فردوا عليها بالابتسامات والإيماءات الموزعة هنا وهناك.

- وبعد أن سكت الجميع وعمَّ الهدوء واصل الرئيس السوري قائلًا:

نبدأ بكلمة الرئيس الروسي يتبعه الرئيس الهندي ثم باقي الزعماء تباعًا حسب الجدول..

فليتفضل الرئيس ألكسندروفيتش..

- اعتلى الرئيس الروسي المنصة وقال بعربية شبه جيدة جعلت الجميع بعدها يصفق ثانيةً:

السلام عليكم..

، وبعد أن انتهى التصفيق واصل بلغته قائلًا:

العالم باتت أيامه محدودة..

لو كان أحدٌ حدثني منذ عام واحد مضى أن كل ذلك سيحدث ما كنت لاصدقه بل وكنت لأنعته بالمجنون..

شمس تشرق من المغرب، دابة رأيتها بأم عيني تكلم الناس مصداقًا للقرآن، حروبًا نووية ومسيا يظهر ومهدي يُعرف، زلازل وجفاف، أعاصير وسيول..

، صمت هنيهة ثم تعجب قائلًا وهو عاقد ما بين حاجبيه:

ما هذا؟! هل هذا يصدقه عقل..

بالطبع لا..

وبالطبع يجب أن نكون أذكياء على قدر الحدث وأن تكون ردات فعلنا تناسب الأحداث السريعة المتلاحقة..

المتلاحقة السماوية

، نعم السماوية.. لا تتعجبوا لقولي هذا، فما جئتكم اليوم إلا لأعلمكم بخبر..

خبر يتعلق بما نحن فيه ونواجهه..

كان عدد المسلمين في روسيا وهذه الأرقام تقريبًا من عقد مضى أو يزيد، أكثر من ٢١ مليونا يشكلون أكبر أقلية دينية في الفيدرالية الروسية..

أقلية كانت مرشحة لأن تصبح أغلبية خلال السنوات المقبلة لأسباب عدة أسردها لكم تباعًا..

فتاريخ الإسلام يعود في روسيا إلى القرن الثامن الميلادي، وقد شهد عدد المسلمين تزايدًا في روسيا بعد سيطرة الإمبراطورية على مناطق بشبه جزيرة القرم.

وتزايدت أعداد المسلمين في روسيا بشكل مطرد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حين هاجر الآلاف من سكان الجمهوريات السوفيتية السابقة ذات الغالبية المسلمة، نحو المدن الروسية الكبرى من أجل البحث عن فرص عمل.

وكان الخبراء بروسيا يرون أن بلادنا قد تتحول إلى بلد ذي غالبية مسلمة إذا ما استمر النمو الديموغرافي للأقلية المسلمة بالوتيرة نفسها.

وأكد كثيرون أن جميع الأسباب متوفرة من أجل أن يصبح الإسلام الديانة الأكثر انتشارًا.

فعلى سبيل المثال لم تكن الأقلية المسلمة تعاني في روسيا من الوفيات

نتيجة الإدمان على الكحول والذي يعتبر أحد المسببات الرئيسية للوفيات ببلادنا.

وتمنع الأقلية المسلمة في غالبيتها المرأة من الإجهاض، في حين أن نسبة الإجهاض داخل المجتمع الروسي عرفت تزايدًا كبيرًا خلال السنوات العشرين الماضية.

وعامل آخر..الزواج..

والزواج داخل الأقليات المسلمة التي نادرًا ما تختلط بالأقليات الأخرى وهو ما يشكل مناطق ذات غالبية مسلمة ساحقة، كما هو الشأن في جمهوريات الشيشان وتتارستان وداغستان وإنغوشيا.

،سكت قليلًا متأملًا ومفكرًا ثم تحدث قائلًا:

هذه المقدمة التي سردتها على مسامعكم قد أسمعتكم ياها لأني قد تعجبت..نعم تعجبت..!

فبعد أن نكتتني الدابة النكتة البيضاء وكلمتني بلغتي..تذكرت

تلك الموضوعات التي سردتها عليكم بمقدمتي..وأيقنت

أنه يجب أن يحدث التغيير..

وبعد أن لاحظت أن معظم من حولي بل ومعظم إن لم يكن كل من أصادفهم بالحياة العادية ببلادنا قد نُكتوا هذه النكتة البيضاء..

أن التغيير دوري ودوري أنا وحدي المنوط بي حمله وفعله بل وتيسيره أيضًا..

فبالتأكيد لم يضعني الله بكل هذا هباءً..

من المؤكد أن لي دورًا!

ومن هذا المنطلق قررت..

أن أعلن على مسامعكم والآن أني أشهر إسلامي

، ثم وبوتيرة سريعة واصل حديثه ولكن هذه المرة بلغة عربية مبينة وقال:

وأنه..

لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

وفور أن أنهى جملته ضج الحضور بصخب عارم وهللوا وكبروا وصفقوا وصاحوا وضحكوا ودمعوا وهنأوا واحتضن بعضهم بعضًا ..، بالوقت الذي كان الرئيس الروسي يبكي وتسح عينيه دمعًا من تذوق حلاوة كلمة الشهادة والقرب من الرحمن ومن فرحته بردة فعل إخوانه بالإسلام.

- استحثهم على الرجوع لهدوئهم وواصل:

وأنا ومن اليوم أدافع عن الإسلام بكل ما أوتيت من قوة..

وهذا الخبر أنتم أول السامعين به، وفور أن أعود أدراجي للوطن ويشجعني على ما أقدم عليه ما أخبرتكم به منذ قليل أن الدابة تقريبًا نكتت الكثير من شعبنا حسب إحصاءاتنا السريعة التي كلفت الجهات المنوطة بعملها بعد أن ظهرت لي الدابة ونكتتني بالنكتة البيضاء، وعليه فسوف

أقدم مشروع استفتاء شعبي لتحويل الاتحاد السوفييتي لجمهورية تدين بالدين الإسلامي.

شكرًا

ونزل عن المنصة، بينما تواصل ارتجاج القاعة بالتصفيق بعدها لفترة منعت الرئيس الهندي من بدء إلقاء كلمته رغم اعتلائه المنصة،

وكان خلالها الرئيس الروسي يتنقل من أحضان أحد القادة ليحتضنه الآخر في حميمية وحب مهنئين ومؤاخين إياه، وكلٌّ يعرض عليه عروضًا من بعثات لمعلمين ووفود ومساعدين لتعليم ونشر تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي.

*****

- الصين تترك حلف مجلس العالم الشرقي

، قالها الرئيس الأمريكي بسعادة عارمة، ثم نظر للدجال الجالس أمامه وقال:

مجهود رائع سيدي، الصين قوة لا يستهان بها وضمها لجانبنا نصر بكل المقاييس

- نظر إليه نظرة عدم رضا وقال:

نعم، ولكن الهند وروسيا يأبيان الانصياع مهما فعلت بالناس هناك،

وكأن رسول قد بُعث فيهم وثبتهم على إيمانهم لا يتزعزعون..
كل قدراتى استخدمتها معهم وما من فائدة..
وقد أتيتك لهذا الغرض..

- كلي آذان صاغية

- يجب أن نوجه للمسلمين وللعرب خاصة ضربة قوية حتى لا يشعروا بأنفسهم

- لنجهز حاملات الطائرات ولندكهم دكًا

- أشار له بإصبعه أن لا، ثم قال:
كلا ليس أنت..
حلف الناتو سيفعل ومن دونك
- ولماذا من دوننا؟!

- لنبين رعاة السلام بالعالم..
هذه الخطة لا تخيب دائمًا..
ومن الممكن أن نضم بنفس النهج ونجتذب الدول الساكنة المحيدة التي تبعد عن الصراع الدائر.

، ضيق عينيه وتبسم بخبث وسعادة ثم قال مواصلًا:

- اسمع الخطة ولتستعد للتدخل إن شعرت أن لهم الغلبة ولو قليلًا..

لتضيق الخناق على الجيش العربي الموحد وحليفيه الروسي والهندي المتمركزين بسوريا الآن..

، ثم قام وشاور على الخريطة أمامه شارحًا وقال:

جيش حلف الناتو يهجم من الغرب..

وجيش الصين يهجم من الشرق..

، ثم برقت عيناه وقال:

وجيش آخر من الجنوب عبر شبه الجزيرة العربية..

- تساءل بفضول:

أي جيش؟!

- جيش خاص، لا قبل للعرب به، ولا قبل لك أنت حتى به..

جيش يدين لي ولي وحدي

- أهو الجيش الإسرائيلي؟!

- نظر إليه باستعلاء وقال بتهكم:
لا أعلم كيف تفكرون.. إسرائيلي..!!
قلت لك لا قبل لك أنت حتى به فتقول لي إسرائيلي!!

، مشى خطوتين ثم عاد وقال بتأنٍ:
إنه جيش من..من..

، ثم قطع كلامه للحظة كأنه كان سيذكر شيئًا ثم عدل عن قراره فواصل:
جيش من التابعين لي، سخرته قبل ذلك لخداع مهديهم..
والآن حان دوره الحقيقي..
جيش مقاتل لا يُشق له غبار، سوف يجعل ليلهم نهارًا ونهارهم ليلًا
وسيلاعبهم ويذيقهم ألوان الهلاوس والخبال والرعب حتى ليجنوا..
- ضحك الرئيس الأمريكي وقال:
يا للذي سيحدث، أتحرق شوقًا لرؤيته..

، ثم واصل بخبث:
ولمعرفة هويته!!

- تبسم وقد فهم خبثه الذي حاول مواراته وقال:
احذر من الفضول الذي قتل الهر، ولا تقلق فما زال بجعبتي الكثير..
المهم أعد نفسك لقيادة العملية وللتدخل إن لزم الأمر

- هم بالانصراف فبادره متسائلًا:
وأين تذهب أنت يا سيدي؟!

- عندي حساب أريد أن أصفيه..

ودون كلمة أخرى تركه واختفى..

*****

- بسم الله الرحمن الرحيم..
بسم الله الرحمن الرحيم..
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

قالها المهدي وهو يستيقظ فزعًا من نومه بالغرفة المجاورة لغرفة الملك الذي سمع صوته فقَزَّهُ عن كرسيه مسرعًا تجاهه ففتح غرفته ودخل عليه ليجده جالسًا على مخدعه يتصبب عرقًا ويبين عليه إمارات الفزع والإرهاق.

- خيرًا يا ولدي، خيرًا إن شاء الله

- كابوس، كابوس شنيع

- أذكر الله والتقط أنفاسك واهدأ، وسوف أحضر لك شربة ماء

وفور أن أحضر الماء وأعطاه إياه جلس جواره وطلب منه بعد أن أتم شربه وتأكد أنه التقط أنفاسه أن يقص عليه ما رأى.

- تنهد المهدي وبدأ يسرد ما رأى وهو يتخيل حلمه وكأنه يراه ويعايشه بوضوح حتى أنه تصبب عرقًا ثانية، قال:

رأيت فيما يرى النائم..

أني أتقدم جيشًا كبيرًا يقف بالصحراء وكلنا نركب الخيل دون الآت أو معدات حديثة فقط سيوف ودروع، وأمامنا وعلى بعد بدأ يظهر جيش جرار.. جيش كبير مهول، يتقدم نحونا بسرعة وثبات دون خوف أو تذبذب..

الغريب بالأمر أنهم كانوا جميعًا يرتدون السواد ويتعممون بسواد ويرفعون رايات سوداء لم أتبين ما عليها، وكانوا يأتون من بياض وكأن تحت أقدامهم الثلج وليس صحراء مثلنا وكلما تقدموا كلما زحف الأبيض تحتهم وتحولت الصحراء تحت سنابك خيولهم إلى ثلج زاحف تجاهنا حتى إني لشعرت برجفة برد حين أصبحوا على مقربة منا.

- ثم سرح قليلًا وشرد فاستحثه الملك على المواصلة فقال وقد تغيرت ملامح وجهه:

أشكالهم..

كانت أشكالهم شنيعة..

ضخام جدًا يركبون خيولًا ضخمة هي الأخرى، أما وجوههم فالمها

بالله منها، وكأنها وجوه الشياطين خرجت لتوها من الجحيم، عيون بيضاء بلون الثلج تحت أقدامهم، تبينتها من بعد، وأيادي يكسوها شعر كالزغب الكثيف وأصابع طويلة ذات مخالب بانت حين رفع أحدهم وكأنه قائدهم يده وشاور بإصبعه ناحيتنا وهو يصرخ صرخة رهيبة جمدت القلوب وكأنه يستحث جيشه علينا.

وأغرب ما بالأمر أني رأيت بعد أن اقتربوا، الدجال يظهر بالخلفية من ورائهم وهو يصعد بالسماء طائرًا ويبين من وراء الجيش وهو يضحك ضحكة شيطانية..

أما أكثر ما أفزعني فكان حجمه.. كان كبيرًا جدًا يا جلالة الملك..

كبيرًا جدًا حتى أن عرض جناحيه كان بعرض الجيش الزاحف.

- تبسم الملك بعد أن أمسك المهدي عن الكلام وقال:

وهل تخشى وإن كان حجمه بحجم كوكب، والله تعالى عز وجل معك؟!

- لا والله، فقط فزعة الكابوس ليس إلا ولا أكثر

- هذا ليس كابوسًا يا ولدي، هذه رؤيا

- ماذا تعني!

- أعني ما سمعت، هذه رؤيا من الله..

، أمسك عن الكلام لحظة مفكرًا ثم واصل مؤكدًا وقال:
لا بد أن تكون رؤيا..
الله أكبر الله أكبر..

أذَّن الفجر وهما يتحدثان، فقاما للصلاة وبطريقهما للمسجد تفكر الملك برؤيا المهدي
حي على الفلاح..حي على الفلاح

ولايدري لماذا تذكر حديث الدابة للمهدي الذي قصه له بوقت مضى وهي تنقله من على جزيرة الدجال..
حين حدثها عن أقرانه فذكرت له أنه سيراهم ثانيةً!

- وغمغم لنفسه وهما يدخلان المسجد وهو يتبسم:
حقًا إنها لرؤيا..
رؤيا مستقبلية!!

******

- ماذا يريدون؟!

تساءل اليزن بن عمار في دهشة مستنكرًا

- عض رئيس وزرائه على شفته السفلى وقال:

أكثر من ربع تعداد الجيش دخل بهذا الاعتصام

، يريدون الثأر لحيدر من قتلته..

المصريون كما يزعمون

- ماذا؟!

كلنا يعلم من قتله هذا الخائن، لو كان عندي لمزقته إربًا، ثم هل هذا وقت للاعتصامات وهذه الترهات كنا على وشك التحرك للحاق بجيشنا العربي الموحد، إننا بوقت عصيب..

- بل ويزيدون أننا يجب أن لا نرجع للمشاركة بالجيش العربي الموحد مرة أخرى، فهم قتلة حيدر وخونة ولا يجب مشاركتهم القتال بجانب واحد، وقد بدأوا اليوم في تكفير الحكومة والمجتمع ممن يعارضهم

- هل هذا جد أم هراء؟!!!

- إنها الفتنة..

، قالها القرشي مقاطعًا حديثهم وقد أوقف تسبيحه على مسبحة يده وواصل:

حتى وهو ليس متواجدًا بالبلاد فقد أشعل نار الفتنة..

حيث أن الناس انقسموا على أنفسهم من مؤيد لهذه المجموعة ومعارض لهم، وكل قسم يختصم الآخر..

فتنة مكتملة الأركان..

، ثم سهم قليلًا تابع أثناءها تسبيحه بمسبحة يده كأنها لتساعده على التفكير وواصل قائلًا:

وأرى أنه لا بد من وأدها في مهدها وإلا آتت على الأخضر واليابس

- فهم يزن معنى كلامه وتساءل قائلًا وهو يفكر:

هل ترى حقًا إن السامرائي هو من أجج النار؟

- ومن غيره!!

- قال رئيس الوزراء:

أرى أن هذه ألاعيب اليهود، ومما يدلل على كلامي أن أحد جنودنا أخبرني أنه رأى بين صفوف المعتصمين من يدور بينهم كأنه يوجههم ويثبتهم من يطابق شكلًا ذلك الرجل المسمى بالمسيا والذي ظهر على كل شاشات التلفاز من قبل.

- نظر القرشي تجاه المعتصمين وقال بغيظ يحادث نفسه:

الاثنان سواء، كلهم دجالون

، ثم وجه حديثه لهم وقال مواصلًا:

سواء كان هذا أم ذاك فهؤلاء الرابضون أمامي هم الخوارج..

خوارج هذا العصر

- نظر يزن ناحيته عاقدًا ما بين حاجبيه وردد:

خوارج!

- أو ما تدري أن لكل عصر خوارجه!

- قال يزن بنفاد صبر:

أفصح عما بصدرك وقل لي ماذا ترى يا قرشي؟!

، كيف ننهي هذا ولا نجعله يُلهينا عما نحن بصدده، يجب إرسال القوات للمشاركة بالجيش العربي المشترك بالشام حيث أن الأعداء على قلب رجل واحد يبيتون النية لنا كما تعلم

- قال رئيس الوزراء محذرًا:

حذاري استعمال القوة معهم، فهم مسلمون وليسوا أعداء، يجب التعامل معهم باللين والهواد..

، وبلهجة مترددة واصل حديثه:

وبنفس الوقت أخشى ويلات الحرب الأهلية ، التي إن اندلعت وقواتنا ليست بالبلاد فسيحدث ما لا يُحمد عقباه

- نظر إليه القرشي مليًا، ثم وجه نظره تجاه يزن وقال مخاطبًا رئيس الوزراء:

قل لى، أتدري شيئًا عن اعتصام حروراء وموقعة النهروان أيام سيدنا علي بن أبي طالب؟

- تفكر قليلًا ثم غمغم متلجلجًا:

نعم بالطبع سمعت بها، ولكني لا أتذكر التفاصيل جيدًا، ولا أتذكر سببها، ولا سبب الاعتصام

- أغمض القرشي عينيه وتنهد ثم قال:

لا أعلم لمَ لا يقرأ المسلمون تاريخهم..

على الأقل ليعتبروا ويتدبروا، ألسنا مأمورين بالتدبر؟!

إن التاريخ يعيد نفسه، وبدقة متناهية أتعجب لها حقًا..

بعد معركة (صفين) بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعه سلمان الفارسي، وعبد الله بن عباس، وغيرهم من الصحابة الأجلاء..

وبين الصحابي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم وأرضاهم جميعًا)..

والتي كان سببها أن معاوية ومن معه بأرض الشام يطلبون القصاص لمقتل عثمان بن عفان وتسليمهم القتلة لأن معاوية وليه، ويرفضون البيعة لعلى خليفة للمسلمين حتى يتم ذلك..

، على الجانب الآخر كان علي (رضي الله عنه) يرى أن مبايعة معاوية

(وكان آنذاك واليًا على الشام) يجب أن تتم أولاً، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان.

وبعد قتال ومعارك دامت لثمان أيام..

وبعد أن كادت كفة جيش سيدنا علي ترجح..

اضطر جيش معاوية إلى رفع المصاحف على أسنّة الرماح، ومعنى ذلك أن القرآن حكم بينهم، ليدعوا جيش علي إلى التوقف عن القتال ويدعون عليًا إلى حكم القرآن.

ووافق علي واتّفقوا على مبدأ التحكيم وتوقف القتال ،وأمر كل منهما بإطلاق أسرى الفريق الآخر وعاد كل إلى بلده.

- تسائل رئيس الوزراء متعجبًا:

نعم نعم لقد تذكرت ،ولكن أنّى لفريق الشام يصلون ويدعون الله أن يمكنهم من رقاب الفريق الآخر جهادًا في سبيل الله،مع أنهم يعلمون أنهم يقاتلون فريقًا فيه كبار الصحابة..

علي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عباس، وغيرهم؟!!

- هز القرشي رأسه وعاجله قائلًا:

نسيت أن أذكر لك أن الجانب الآخر أيضًا كان معهم الكثير من الصحابة..

فإلى جانب معاوية بن أبي سفيان كان هناك عمرو بن العاص

، وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو من أفقه الصحابة..

والذي لم يكن يرغب على الإطلاق أن يقاتل في صف معاوية ولا في صف علي ولم يشترك في هذه المعركة إلا لأن الرسول ﷺ كان قد أوصاه بألا يخالف أباه، وقد أمره أبوه عمرو بن العاص أن يشارك في القتال، فاشترك في الحرب، غير أنه لم يقاتل ولم يرفع سيفًا في وجه أحد من المسلمين.

- ليتهم جميعًا حذوا حذو عبدالله بن عمرو بن العاص

- تابع القرشي قائلًا:

لكل شيء سبب ،وما بالدنيا حدث إلا وله عند الله مبرر فما الدنيا بهباء..

فهؤلاء هم الأسود الشجعان الذين قهروا دولة الروم ودولة الفرس تراهم يتناحرون فيما بينهم ،وأعتقد أن ما حدث بينهم وقتها درس لنا أن نعتبر منه ونتخذ منه نهجًا نسير عليه حين الفتن..

وها نحن بفتنة مماثلة.

- قال اليزن مستفسرًا:

هلا توضح أكثر يا قرشي أثابك الله ،فا والله لا أدرى ما العمل وأعتقد أن بجعبتك حل لهذا المأزق!

- أستمع لبقية الحكاية وسيأتيك الحل..

فبعد التحكيم تحرك الإمام علي رضي الله عنه بجيشه تجاه الكوفة ،وقبل

وصول الكوفة انشقت مجموعة من الجيش قوامها من ١٢-٢٠ ألفا حسب الروايات المختلفة ،امتنعت من دخول الكوفة وسلكت طريقًا إلى منطقة (حروراء) واستقرت بها.

قوام هذه الفئة المتمردة كان من الفئات التي أجبرت الإمام علي (رضي الله عنه) على قبول التحكيم في صِفِّين وبعدها قالوا بأن قبول التحكيم منهم كان خطيئة وأنهم تابوا ورجعوا عن ذلك وطالبوا الإمام علي بالرجوع وإلا فهم منه براء.

وقد أعلنت هذه الفئة مبررات خروجها تحت شعار (لا حُكمَ إلاّ لله) ونحن لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله لذلك سُمُّوا (بالمحكِّمة) وبعدها أطلق عليهم الخوارج.

أوضح لهم الإمام علي (رضي الله عنه) أنَّ الأخلاق الإسلامية تقتضي الوفاء بالعهود أي الهدنة لمدة عام وهو ما أُبرِم بين المعسكرين.

فأبوا الاستماع..

وكانت هناك وساطات لحل الأزمة التي ستعصف بالمجتمع وتهوى به إلى شفير حرب أهلية ولكن أصر معتصموا حروراء على رأيهم ووضعوا حلًا لفض اعتصامهم والاندماج مرة أخرى في المجتمع المسلم..

وهو حل غريب وشرط عجيب..

أن يشهد علي بن أبي طالب على نفسه بالكفر ثم يعلن إسلامه!!

فبلغ سيدنا علي بما قاله المعتصمون في حروراء فقال..

«ما كفرت منذ أسلمت!!»

ثم حاول معهم ثانية وبعث لهم وساطات أخرى فقد ذهب إليهم سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) فناظرهم في مناظرة شهيرة أتت ثمارها فرجع منهم ما يقارب الألفان .

بعدها ترك سيدنا علي أهل حروراء وشأنهم..

وقال..

«لكم علينا ألا نمنعكم من مساجدنا ولا من الفيء» ونهي أصحابه عن قتالهم إلا إن أحدثوا حدثا.

وقد كان..

فقد تطور الأمر حين مر عليهم سيدنا عبد الله بن خباب بن الأرت ومعه امرأته..

فقالوا: من أنت؟

فأنتسب لهم..

فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فأثنى عليهم كلهم فذبحوه وقتلوا امرأته وكانت حبلى فبقروا بطنها.

فلما وصل الخبر للإمام علي رضي الله عنه أرسل إليهم الصحابي الحارث بن مُرّة العبدي لكي يتعرّف إلى حقيقة الموقف غَير أنّهم قتلوه كذلك .

فلما عَلم على (رضي الله عنه) بالأمر تقدَّم نحوهم وبذل مساعيه من أجل إصلاح الموقف دون إراقة الدماء فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة عبدالله بن الخباب والحارث العبدي وغيرهما ليكفَّ عنهم .

لكنّهم أجابوه أنهم كُلّهم قاموا بالقتل!

فأرسل (رضي الله عنه) إليهم الصحابي قيس بن سعد فوعظهم وحذّرهم وطالبهم بالرجوع عن جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون مُبرِّرٍ مقنع.

ثم تابع علي (رضي الله عنه) موقفه الإنساني فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصاري فوعظهم ورفع راية ونادى:

مَنْ جاء تحت هذه الراية - مِمَّن لم يقتل - فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نُصيبَ قَتَلَةَ إخواننا.

وقد نجَحَت المحاولة الأخيرة نجاحًا جزئيًا حيث تفرَّق منهم أعداد كبيرة ولم يبقَ إلا أربعة آلاف معاند.

- قال رئيس الوزراء:

إذن ترى أن نفض الاعتصام بالقوة أم ماذا؟!

- حدجه القرشي بنظرة لوم على تسرعه وقال:

يا ولدي اصبر حتى أفرغ من كلامي..

ثم أهذا ما فهمته مما قلت فقط؟!

، ثم واصل قائلًا:

لاحظ ذكاء وحصافة وأخلاق الإمام علي (رضي الله عنه وأرضاه) فمن المهم جدا أن لا يكون جيش علي هو البادئ بالقتال ،حتى آخر لحظة يحرص الإمام على الانتصار الأخلاقي ووضع الخوارج في موضع المعتدي أمام الناس وأمام التاريخ..

فلما بدءوا بالقتال قاتلهم فأفناهم عن آخرهم إلاَّ تسعة نفر نجحوا أن يفروا.

- تأفف اليزن وقال معترضًا:

أنت تكرر لفظة الخوارج هذه كثيرًا وتلمح بها إلى موقفنا الحالي دونما إثبات، لقد انتهى فكر الخوارج منذ ذاك العصر الذي ذكرته توًا!

- قال وقد علا صوته وزادت نبرته حدة:

كلا لم ينته فكر الخوارج..

ومن يكن الخوارج إن لم يكن هؤلاء ممن يكفرون المجتمع والناس ممن يخالفونهم الرأي حتى ولو بثأر؟!!

بل أخبر رسول الله أنهم سيخرجون على فترات فعن عبدالله بن عمر قال سمعت رسول الله يقول:

«يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم»

- اهدأ يا قرشي وقل لنا إذن ماذا ترانا فاعلون؟!

- نفعل كما فعل سيدنا عليٌّ..

- قال رئيس الوزراء متسائلًا:

نضربهم؟

- للمرة الثانية تُخطئ..

البطش يكون آخر المطاف وليس أوله..

نحاورهم ونبعث إليهم بالوساطات ونلين لهم ونحاول فض الاعتصام بالحسنى

- وإن لم يستمعوا لنا!

- نحاول معهم مرات عدة، فإن فاءوا إلى الصواب فنعم، وإن لم يستمعوا إلى صوت العقل شريطة أن لا يضرونا تركناهم وشأنهم، أما إن أحدثوا ضررًا أو استباحوا دمًا بغير حق فلنقاتلهم كما تعلمنا من حروراء..

، ثم ذكر قول الله تعالى:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾

هذا رأيي والله تعالى أعلى وأعلم

- استدار اليزن وأعطاهم ظهره ونظر تجاه السماء وقال مناجيًا:

إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي

*****



﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

(المؤمنون: ٥٤)

تكررت مرات اللقاء بعدها حسب توجيهات وتوصيات (نوعام)، وأيضًا حسب توجيهات حاجة (عاديثيلا) نفسها كما بدا لشاؤول.

فمرة اللقاء الثانية وعلى عكس ما توقع شاؤول كانت بسريرها، وهو ما كان يستبعده نظرًا لجمود نظراتها وملامحها باللقاء الأول بمقر عملهم.

والحق أنها أفادته أكثر مما استفادت منه، فكل صغيرة وكبيرة علمها كان الفضل فيها يرجع إليها.

- وذات مرة بعد اللقاء السريري الذي أصبح معتادًا، اعتدلت بجلستها فوق مخدعها وهي شبه عارية متدثرة بالغطاء وأشعلت لفافة تبغ وتسألت:

لكنك اعترفت لي بالسبب الحقيقي وراء وجودك هنا ولم تفصح عن ماهية من ورائك ومن زرعوك ها هنا

- اعتدل هو الآخر وقال بتعجب:

ولمَ تريدين معرفتهم؟!

- تلعثمت وقالت محاولة إصباغ الهدوء على قسمات وجهها:

لا شيء، مجرد فضول ليس إلا

تبرم منها ثم نفض عنه الغطاء وانتتر واقفًا ليرتدي ملابسه في تساءل منها عن وجهته، بينما لم يعرها انتباهه وخرج من شقتها خلال دقائق.

- فور أن أغلق الباب خلفه خرج شخص ما من مخبأ صغير سري خلف خزانة ملابسها، اقترب منها قبلها، ثم قال مبتسمًا:

هو يظن أنك جاهلة بمسعاه الحقيقي ها هنا، فلما تضغطين عليه؟!

، ثم تبدلت ملامح وجهه بلحظة وقال بغضب:

أحببتينه؟!

- ردت بتبلد:

قلنا أن لا أقيم معه علاقة فأصررت، وقلت أن الحمقى وذوي العقول الهشة هم فقط من يشعرون بالحمية والغيرة، وأن هذا عملًا وأصررت أن ترهب بنفسك كل شيء حتى مضاجعته لي، فلماذا تغضب وتتبرم الآن؟!

- ضحك كثيرًا ثم قال:

أنا لا أغار البتة..مطلقًا..

فقط أراكِ تدفعينه باتجاه لم نتفق عليه، أنت على علم أعلى منه بما يدور فلما تحاولين نزع معلومة منه يعتقد هو أنك لا تعلمينها بينما الحقيقة مغايرة لذلك!

- اقتربت منه وتمايلت بدلال وتبسمت وقالت:

أنت رجلي الأول والأخير، فقط أنا ألهو به، ثم إن يومنا قرب أن يحين فلا مجال للتشكيك والتشكك بمشاعرنا تجاه بعضنا البعض..

فأنت ستكون آدم وأنا حواء

- ضحكا بعدها ثم ردد معقبًا على كلامها:

نعم، آدم وحواء..

آدم وحواء صهيون!

*****

قام الرئيس السوري بزيارة للواء الجمصي بمقره بمعسكرات الجيش العربي الموحد بدرعا، وفور أن رآه قام الأخير لاستقباله مرحبًا

- هذا شرف عظيم حضور معاليكم بأنفسكم

- وماذا أفعل لك سيادة اللواء إن كنت لا تريد ترك الجيش للحظة، فكيف أراك

- عظيم أسفي لإرهاقكم

- لا عليك، اجلس واسترح فيومنا طويل، جئتك لنتحدث سويًا عن آخر التطورات، تعلم أني أحب التحدث معك لخبرتك الطويلة وعلمك الواسع

- هذا وسام أضعه على صدري سيدي الرئيس وشرف لي
- أنت تستحق أكثر من ذلك، هل رأيت الصين وخروجها من حلفنا
- نعم رأيت، ولكن هذا لن يثنينا، فالله معنا والله فوق الكل
- أتساءل عن سبب ذلك، فلا الرئيس الصيني أفصح عن السبب ولا خارجيته تحدثت في شيء!!
- أغلب الظن أنه تأثير سحري..

، ثم صمت لحظة نظر خلالها لمحدثه وواصل وهو يمعن النظر بعينيه:
كتأثير الدجال

- نعم من الجائز جدًا، لقد نسيت أننا بآخر الزمان وكل شيء يجوز

، ثم تنهد تنهيدة طويلة وقال:
لله الأمر، دعنا من هذا وأشعل التلفاز فهناك جلسة طارئة وبيان هام للأمم المتحدة سيذاع بقناة (السي إن إن) أردت أن أراه معك

تساءل الجمصي وهو يدير وجهه الذي بانت عليه علامات الامتعاض:
- هل تعلم سيادة الرئيس أن دور (السي إن إن) في الحروب التي قادتها الولايات المتحدة وإسرائيل منذ نشأتها مؤثر جدًا وفعال كأداة حرب نفسية، لدرجة أن الدكتور/ بطرس بطرس غالي

الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة قال على الملأ:

«إن السى إن إن هي العضو السادس عشر بمجلس الأمن»

«CNN is the sixteenth member of the security council»

فدورها في الحروب النفسية مروع وثابت ومعروف لدرجة أنه يوجد نظرية قائمة بذاتها بالعلوم السياسية عن تأثير (السى إن إن) بالحروب تسمى نظرية (تأثير السى إن إن The CNN effect)

وكيف أنه ببثها لأخبار وشائعات معينة تستطيع تغيير مسار حروب بل وتوجهات دول كاملة، نفس الكلام ينطبق على (الدايلى ميل)

(The daily mail)

والتي أسسها (اللورد ألفريد هارمسوورث)

(Alfred charles william harmsworth)

أول من أقنع إنجلترا أن تستعمل الحرب النفسية بالحروب.

- بالطبع فهذه هي حروب الجيل الرابع وما بعدها يشنها عليك عدوك عن طريق الإعلام سواء كان مرئيًا أو مسموعًا أو حتى مكتوبًا.

- حقيقة، وبحروب الأجيال الثلاثة الأولى أيضًا كانت الحروب النفسية ذات أهمية قصوى وكان ذلك جليًا بحرب أكتوبر المجيدة التي يطلقون عليها (حرب يوم الغفران) (Yom kippur war)

، أما ما زاد الطين بلة بحروب الجيل الرابع فهي وسائل التواصل الاجتماعي التي يبثون من خلالها السم بالعسل

- صدقت، حسرة علينا ياعرب، لا أعلم لما لم يكن عندنا من رجال الأعمال من يقوم بإنشاء إعلام خاص قوى كإعلامهم؟!

- هل سمعت قبل ذلك عن (كيث روبرت مردوخ)؟

- عقد ما بين حاجبيه ونفى قائلًا:

كلا، من يكون هذا؟

- إنه الملقب بإمبراطور الإعلام، وهو رجل أعمال استرالي أمريكي يعتبر قطب من أقطاب التجارة والاعلام الدولي، أصبح المدير العام لشركة نيوز ليميتد News Limited بأستراليا، مؤسس ورئيس مجلس الإدارة لشركة نيوز كوربوريشن News corporation التابع لها قناة فوكس نيوز الإخبارية المشهورة بمناصرتها المطلقة لإسرائيل وعدائها الشديد للقضية الفلسطينية.

وهو يملك نسب مئوية كبيرة بمحطات وصحف ودور نشر عالمية أخرى.

شخصيات صهيونية كهذه قمة في الذكاء أرادوا امتلاك الرأي العام والاستيلاء على العقول ليوجهونها كما يريدون..

وقد كان لهم ما أرادوا

- نظر إليه بإعجاب وقال:

كلما جلست معك أتعجب، من أين لك بكل هذا الكم من المعلومات، أعلم أنك كنت رئيسًا للمخابرات الحربية ولكن رغم ذلك إنك تذهلني

- تبسم الجمصي وأردف:

أخجلتم تواضعنا

- رجع الرئيس السوري لحديثه الذي غير ملامحه فبان عليه التبرم وهو يقول:

أوتعلم إن أكثر ما يؤلمني كعربي هو أننا لا نملك منبرًا إعلاميًا كتلك الصروح

- بل نملك ولكن هذا المنبر الذي نملكه يفت في عضدنا نحن وليس العكس، كلما تذكرت تلك القناة العربية تذكرت الدعاء الذي يقول: «اللهم اجعل كيدهم في نحرهم»

إن هذه القناة لهي الكيد ولكن بنحرنا نحن مع شديد الأسف وهي تمارس حربًا نفسية داخلية قذرة علينا نحن أمتها، وقد سلط الله علينا أنفسنا قبل أعدائنا لتهاوننا وتخاذلنا..

- تهتم أنت كثيرًا بأمر الحروب النفسية هذه

- لأن للحروب النفسية دورًا لا يجحده إلا جاهل أو منافق، بمعركة ١٧ التي كانت جزءًا من حرب طويلة متصلة اشتغلت الآلتين الإعلاميتين المصرية والإسرائيلية بقوة وعنف، فكانت الصحف المصرية ترفع معنويات الناس والجنود بعناوين من طراز:

«قواتنا تتوغل داخل إسرائيل، أسقطنا كذا طائرة للعدو»..

بينما كانت إسرائيل تكتب بصحفها:

«القوات الإسرائيلية تغزو القاهرة»..

والحقيقة إن هذا كان من الممكن حدوثه وأن يدخلوا القاهرة بالفعل لولا الحملة التي شنتها صحفنا بذلك الوقت، وللأسف اليوم نسمع من كثير من الجهال ضيقى الأفق، الذين يريدون نشر العبثية ونزع الوطنية من قلوب الشباب وإشاعة روح اللامنتمى بينهم وتحريف الأحداث التاريخية من أهميتها، نسمع منهم بالمنتديات وعلى مواقع التواصل الاجتماعي (social media) وبكل المحافل أن ذلك كان كذبًا إعلاميًا بينما الحقيقة أنه علم يسمى (حرب نفسية) (Psychological warfare)

أو (بروباجندا الحرب) (War propaganda)

- لا تحزن يا صديقي، هذه أيام ولت وانتهت، المهم فيما هو قادم، وبإذن الله أنا متفائل فقد ظهر من طال انتظاره والذي سوف يجمعنا على كلمة سواء

- نظر لأعلى داعيًا وهو يقول:
اللهم آمين

- هيا لنرى ماذا يبثون بأممهم المتحدة

- ماذا سيبثون!
كالعادة سيتمخض الجبل عن فأر، فلا تمني نفسك بشيء

وفور أن أشعلوا التلفاز ظهر الأمين العام للأمم المتحدة وهو يُلقي التحية على الحضور، ثم صعد المنبر ورتب أوراقه أمامه وتهيأ لإلقاء خطبته.

- وضع فمه قريبًا من مكبرات الصوت أمامه وقال بجدية:
هذه الجلسة الطارئة للتحدث بأمر شديد الخطورة، أمر على قدر عال من الأهمية، والذي لا يحتمل التأخير..
فأنا وبصفتي أمينًا عامًا للأمم المتحدة..
أعلنها صراحة.. أمام العالم أجمع.. وبدون مواراة..
أقول..
أني أعرِبُ عن قلقي الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط!

*****

يَا جَسَدَ العَرَبِ يَا جَسَدَ الأُمَّةِ
لَمَّا بَكَيتَ وَالرُّوحُ فِينَا فَضَاعَتْ الأُمَّةُ

*****

لم يستطع دخول مكة رغم محاولاته المستميتة..

كان يريده.. يريده هو ولا غيره..

باءت محاولات أن يشغله بمحبوبة وأن ييسر له الحرام معها بالفشل حتى حبسه بجزيرة معزولة مع جساسة مرعبة لم تنجح.

ورغم قوته وملكاته الخاصة وسطوته وكل إمكانياته لم يستطيع قتله، ولا حتى من سلطهم عليه استطاعوا، بكل مرة كان يحاول كان يرى الهول بعينه الطائفة.

وكأن حراسًا من جهنم يبينون دفاعًا عنه، حتى هو ذاته ارتعد لرؤياهم، ثم اختفوا وكأن لم يكن لهم وجود حتى يحاول قتله مرة أخرى ليبينوا بلحظتها.

وقف على أبواب مكة يذرع الأرض القاحلة جيئة وذهابًا، يفكر فيما العمل والحراس يظهرون له كل مرة يحاول فيها دخول مكة فيفزعونه، وبعد تفكير طويل نادى نداءًا سحريًا فجمع حوله أعوانه من الجن والإنس بلحظات، وبعدها بوقت ليس بطويل خرج إليه من مكة والمدينة جمع من

الناس أكثرهم نساء جاءوا ليتبعوه وقد سمعوا نداءه فشعروا بقلوبهم ترفرف ناحيته فلبوا.

- قال وهو يدير وجهه بينهم:
أريده هنا والآن

- قال من علم بما حدث سابقًا من أتباعه من الجن:
ولكنك تفشل بقتله، فلماذا تستدعيه؟!

- نظر إليه شذرًا وقال:
لأقتله
- ولقد حاولت ذلك أيضًا ولم تستطع

- المرة تختلف، معي له هدية يشتاق قلبه لرؤياها

- قال نفر من شياطين الإنس من أعوانه ممن يستطيعون دخول القصر الملكي:
اذهب فأتيك بمحمود مساعده، إنه لا يفارقه كظله وهو الآخر يحبه ويعتبره والده

- ضحك الأعور وقال برضا:

نعم الرأى، اذهب

وبوقت قصير أيضًا رجع وبيده محمود الذي لم يكذب خبرًا من رجل يعرفه أنه يريده بفعل خيرًا للمسلمين فلبى وذهب معه من فوره

- وفور أن رأى محمود الدجال علم بالخديعة التي حيكت حوله فنظر لمن أحضره وقال:

هداك الله، اشفق عليك من اتباع هذا الدجال ومن نار جهنم

- نظر إليه الدجال وقال:

أما آن الأوان يا محمود

- أوان ماذا يا لعين

- تجاهل سبته وقال:

أوان أن تتبعني

- نظر محمود لعينه الطافئة وتبسم بسخرية وهو يقرأ كلمة كافر على جبينه بصوت مسموع ثم قال:

كيف أتبع ربًا أعور يا أبله

- إن اتبعتني تبدل شكلي بنظرك في التو واللحظة

- همّ محمود بقول:
بسم الله الر..

- فبادره الدجال وقال بسرعة:
انتظر، قبل أن تصرفني اسمع..
إن صرفتني سأبعث لك أصدقاءك الذين آنسوك وأنسوك اسمك المرة الغابرة بالصحراء..
وها أنت بصحراء مماثلة بل وأشد قفرًا من التي بسيناء فأنت بالرّبع الخال الآن، صحيح ولا تنسى فما من سيارة ولا منقذ هذه المرة

- قال محمود بتحد:
من حفظني بالمرة الأولى قادر على حفظي بهذه المرة أيضًا يا لعين

- أوّاه يا محمود، إنك لعنيد، خصومتي ليست معك، أنا أريده هو

- أعلم من تريد، وهو عنك ببعيد، لن تطاله طالما الله حارسًا وطالما بنا شهيق يدخل وزفير يخرج

- نظر إليه بتبسم مصطنع ثم عادت هيئته سيرته الأولى ففرد جناحيه وصعد بالهواء مترين وقال وهو يبسط يديه على جانبيه:
اظهرا

، ثم ظهرت بعد كلمته جنته وناره عن يمينه وعن يساره فتابع قائلًا:
اخرجا

وعلى الفور خرجت من ناره فاطمة ووالدتها نجوى يسعلان وارتميا أرضًا، فخفق قلب محمود بقوة وبدأ يجري نحوهما، إلا أن الدجال لم يمهله ومد يده بالهواء وسحبهما فكأنما كُبلتا بحبل ليديه ارتفعتا معه ليقذفهما بالنار ثانية وسط صراخهما ومناداتهما لمحمود

- نزل الدجال من الهواء واقترب من محمود الذي كان يبكي وقال ببرود:
هل تريدهما أم أنك في غنى عنهما

، لم يرد وظل يرمقه وهو يبكي فعاود الدجال سؤاله بنبرة عالية ثم أضاف قائلًا:
أستطيع أن أعيدهما إليك ومعهما خالد..
أم نسيته هو الآخر

- نظر محمود إليه وبصق في وجهه وقال وهو مازال يبكي:
بسم الله الرحمن الرحيم

وفور أن علم الدجال ما سيقرأ عليه طار مبتعدًا بالهواء، وتبعه أتباعه جريًا ينادونه وأيديهم مرتفعة ناحيته وكأنهم يترجونه، إلا أنه لم يعرهم انتباه

وكأن ليس لهم وجود، فغضبوا ورجعوا أدراجهم مزمجرين ينظرون شظرًا تجاه محمود الذي أحاطوه بدائرة والشرر يتطاير من عيونهم.

خرج من وسطهم نفر مغطى الرأس مدثر الوجه كأنه يُخفي ملامحه، وما إن اقترب حتى كشف غطاءه فبان وقد شُوهت معالمه جراء حروق أذابت جلد وجهه، ورغم ذلك فقد تعرفه محمود، تعرفه ونظر إليه وهو يخالطه شعور دهشة ممزوجة بعطف وشفقة وغضب وثورة.

بوسط تفكير محمود أخرج ذلك الشخص مدية من ملابسه وشهرها بوجهه ثم تقدم منه خطوات وعيناه تلمعان ببريق لمع أول مرة بعيني قابيل وهو يتوجه تجاه هابيل.

- نظر محمود تجاه السماء وقال بأريحية بينما يغمض عينيه وهو يشعر أن النهاية قد حانت:

الحمد لله..

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله

*****

التقطت أقمار التجسس السعودية ما أثار حفيظة وهلع القيادات، وعلى الفور تم إيفاد مبعوث لإبلاغ الإشارة للملك الذي كان منشغلًا بأمور كلفته بها الجامعة العربية واتحاد الدول الإسلامية ومجلس العالم الشرقي بخصوص تهيئة المهدي لتولي زعامة وقيادة الحرب القادمة لا محالة، غير المعلن عنها التي يعرفها جميع خلق الله.

– فور أن أتاه من يخبره توجس خيفة وقال يتعجله:

هات ما عندك

– قال راجفًا:

عندي خبرين سيئين

– تكلم

– أولاهما لقد توفى السيد/ محمود

التقط الاثنان الخبر ففزعا عن مكانهما وما كان منهما إلا أن قالا «إنا لله وإنا إليه راجعون»

– بكاه المهدي ثم قال سائلًا:

كيف؟

– قُتل على حدود مكة من أعوان الدجال

– قال بتعجب:

الدجال

– نعم، كل الروايات تقول إنه كان يحاول دخول مكة ولم يستطع، وأن أحد أعوانه هو من استدرج السيد/ محمود إلى هناك، ولكن غير معلوم لماذا؟!

- قال المهدي بحسرة:
أنا أعلم لماذا، كان يريد استدراجي لمقابلته خارج مكة التي لا يستطيع لها ولوجًا

، ثم شرد قليلًا وحدث نفسه قائلًا:
لم يكن ما رأيته بالسجادة الحمراء المعلقة على حائط بيت قريب محمود بهذيان..
كانت رؤيا..الحمدلله..الحمدلله على كل حال..
الحمدلله الذي لا يُحمد على مكروه سواه

- اقترب منه الملك وقال بحنان وهو يحاول مواساته:
فليرحم الله روحه الطاهرة وليتغمده بواسع الغفران، سوف نقوم باللازم من غُسلٍ ودفن
، ثم وجه حديثه للآخر وقال سائلًا بتوجس محاولًا نقل الحوار لمجرى آخر حتى يلهى المهدي عن حزنه:
وما الخبر الثاني؟

- التقطت أقمارنا الصناعية تحركًا غريبًا آتيا من قِبَلِ القارة القطبية الجنوبية
- قال المهدي بتعجب:
القارة القطبية الجنوبية!!

إنها غير مأهولة، فأي تحرك قد يأتي من هناك؟!

- سيدي، هذا ما جعلنا نتعجب بالبداية، ثم زاد تعجبنا إذ بدأنا نرى صورة واضحة لهذا ال...

ال...

حقًا لا أدري ما توصيف ما نرى..

ولكنا اتفقنا على أنه جيش..ولكن مم يتكون!؟

فالله وحده العالم بذلك

- قال له الملك بغيظ:

أتحدثنا بألغاز؟!

- حاشى لله سموك، أقسم أنه كما حكيت ووصفت، فحتى الآن لا نرى غير كائنات لا ندري لها توصيفًا تعبر المحيط الجنوبي وتتقدم نحو المحيط الهندي دون سفن أو مراكب أو جرافات ثلج، ويركبون ما لا ندري كنهه أهي خيول أم آلات أم ماذا!

واتجاههم يبين أنهم متيممون شبه الجزيرة العربية

- وكم يبلغ تعداد هذا الجيش

- نظر الموفد بالأرض وقال بحزن:

كغثاء السيل..

- حدق الملك المهدي وقال:

ماذا ترى؟

- برقت عيناه وقال:

الأمر لله

- انعقد حاجبا الملك وردد:

أنا أعلم كنه هذا الجيش

- كيف؟! وإن كنت تعلم فأرشدنا

- ابتسم وردد:

حدثتك عنهم الدابة

- الدابة..!

- وبكل هدوء قال:

نعم، وقد رأيتهم برؤياك..

، ثم دونما تردد قال:

ونحن بانتظار أمرك

- أمسك المهدي عن الكلام هنيهة وقد استوعب حديث الملك ثم قال:

﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١)..
أرى أن نخرج لمواجهتهم

- قبل أن يتحدث الملك قال من أتى بالخبر:
ولكن مولاي، ضع بحسبانك أنهم يتحركون بسرعة رهيبة، سرعة خرافية، أغلب الظن أنهم سيكونون على حدودنا غدًا على الأكثر

- نظر الملك للمهدي وقال كأن لم يُقاطَع حديثهم:
سمعًا وطاعة يا إمام

*****

اجتماع قمة عاجل تليفونيًا لرؤساء وملوك العرب

- سكرتير عام ومنسق الجلسة:
السادة فخامة رؤساء وملوك العرب..
ثلاثة جيوش تهاجمنا مرة واحدة لتطويقنا وحصار جيوشنا عامة وجيشنا الموحد خاصة وهي:
١ - جيش الإمبراطورية الصينية من الشرق
٢ - جيش حلف الناتو من الغرب
٣ - جيش لا ندري كنهه ولا هويته من الجنوب..
والمطلوب التنسيق الفوري لاتخاذ الإجراءات اللازمة
المتحدث الأول فخامة خادم الحرمين الشريفين، تفضل سيدي

- السلام عليكم ورحمة الله

والصلاة والسلام على رسول الله..

بادئ ذي بدء فيما يخص جانبنا فقد أمر مولانا الإمام المهدي بمواجهة جيش الجنوب والخروج له،

وقد عرضنا عليه مستجدات الأمور من أمر الجيوش المعادية الأخرى التي أزمعت مهاجمتنا، وقد أمر بعد أن اجتمع بكبار الخبراء العسكريين والاستراتيجيين العرب الذين قد جمعتهم له الجامعة العربية، أن يتكفل كل جيش من جيوشنا منفردًا بما يواجهه، وأن يظل الجيش الموحد رابضًا بالأراضي السورية منتظرًا أمر الله لهجوم آخر لتحرير القدس، وقد حث على الجهاد والتفاني في نصرة الإسلام والعروبة وكلمة الحق من كل عدو مغتصب، وقد أوصاني أن أذكركم بقول الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.

أما بعد فجيش الجنوب فاتركوه لنا، نحن نتكفل به، ولا يقلقنكم من أمره شيئًا، فالنصر بإذن الله أو الفناء لا حل آخر، فمهما كان وأيًا كان فالله ولينا ينصرنا على كل ما كان وقد صدق الله العظيم حين قال كما بالآية الكريمة السابق ذكرها:

﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

إنه ولي كل شيء والقادر عليه

والله الموفق والمستعان

والسلام عليكم

- سكرتير عام ومنسق الجلسة:

كلمة الرئيس الليبي، تفضل سيادة الرئيس

- السلام عليكم ورحمة الله..

حفظ الله الإسلام والمسلمين والعرب كافة ومولانا الإمام المهدي خاصة

أما بعد إخواني..

فالجيش الليبي على أتم استعداد لمواجهة الأعداء الأخساء الذين يغلب الظن أنهم يريدون مهاجمتنا من الجهة الغربية عن طريق البحر المتوسط حتى يصلوا للجيش العربي المشترك بالأراضي السورية، وهو ما سنصعبه عليهم حد الإمكان، فبالاتفاق مع القوات المصرية قمنا سويًا بوضع الخطط لإجبارهم على انزال قواتهم بالأراضي الليبية أو المصرية على أقصى تقدير إن استطاعوا اجتيازنا كل تلك المسافة، وبالداخل الليبي أو المصري سوف تكون نهايتهم بإذن الله

حفظكم الله وحفظ بلادنا وأمتنا

ودمتم خير أمة أخرجت للناس..

والسلام على أمة السلام

- سكرتير عام ومنسق الجلسة:

كلمة الرئيس المصري، فلتتفضل سيادتكم

- السلام عليكم ورحمة الله
إخواني وأشقائي الذين أعتز بهم..
خضنا بالسابق حروبًا ضد عدوان ثلاثي غاشم، وكسرنا شوكة جيش متغطرس متكبر حسب أنه منيع وراء (بارليفه) المزعوم
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾.
ونصرنا الله عليه، ونصرنا الله في غزوات عديدة وبطولات مديدة منذ أنار قلوبنا بالإسلام، ولا أرى أننا أقل منها اليوم كما كنا لها بالبارحة.
لن نخاف ولن نجبن ولن نتراجع ولن نلين أو نستسلم..
النصر أو الشهادة.. وكلاهما خيرٌ بينٌ
واستكمالًا لحديث سيادة الرئيس الليبي أؤكد..
أننا قمنا بنقل حاملتي الطائرات المصريتين (الميسترال عبدالناصر) و(الميسترال السادات) واحدة قبال السواحل السورية لحماية جيشنا العربي المشترك، والأخرى لأقرب نقطة لمضيق جبل طارق حتى إذا نوى العدو مهاجمتنا جوًا فلن يجد إلا صواريخنا ونسورنا يحيلون السماء من فوقه ومن تحته جحيمًا خلفيته بلون دمائهم.
أما قطعنا البحرية..
وأنتم تعلمون وبفضل الله أننا خامس أقوى بحرية على مستوى العالم، فقد انتشرت بالمتوسط بداية من الشواطئ التونسية وحتى سوريا، ولا خوف البتة من أي هجوم بحري بأمر الله، حيث أن الرئيس السوفييتي (الكسندروفيتش) أصدر أوامره بتحرك قطعه البحرية بحال احتياج البحرية المصرية لأية مساعدة.

وأطمئنكم يا عرب بإذن الله النصر حليفنا بقيادة إمامنا المهدي والله مولانا راعينا وحامينا

والله فوق الجميع يسمع ويرى وهو السميع البصير..

ومن يتوكل على الله فهو حسبه..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*****

أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط.

*****

- تساءلت بحديثهم الذي بدأ كالمعتاد بعد مغادرة شاؤول شقتها مباشرة:

ولكن لم تم قتل عضو مجلس الشيوخ (جيم بينيت) بهذه الطريقة المأساوية هو وزوجته إن كان ينتمي إلى فريقنا ولم يتمرد على أوامرنا بل كان خير عون لنا دائمًا كما كان خير مموه لمخططاتنا وكأنه عدو مبين؟!

- ضحك حتى دمعت عيناه وقال وهو يتعجب من عدم فهمها رغم انغماسها حتى أخمص قدميها:

إنه حق التضحية بالآخر..

لكل مخطط ضحايا ولكل هدف شهداء، شهداء وضحايا ظل أو علن فلتعتبريه أيا منهما، ثم كما قلتِ هو يبين كعدو مبين..

فلما لا نُضحي به فيصير كمثال لمن تسول له نفسه تحدينا والوقوف على الجانب الآخر

- ورئيس الوزراء نوعام أيضًا!

قل لي إنه على الجانب الآخر!!

- تبسم دون أن ينظر إليها وقد رنا إلى مغزاها وقال:

كلا نوعام ليس على الجانب الآخر هو بصفنا بالطبع في السر والعلن

، صمت هنيهة سرح فيها بخياله بعيدًا وينظره بسقف الغرفة ثم واصل وهو يضحك:

ولكنه بالصف الأول!

- ماذا تعني بالصف الأول؟!

- أعنى أنه حين يحين دوره هو أو غيره للتضحية به لمواصلة دورنا التاريخي فسنضحي به، حتى لو اضطرتنا الظروف للتضحية بالأمة اليهودية جمعاء.. يكفينا زوجين.. ذكر وأنثي.. آدم وحواء..

لنعيد الكره!

فهمتى يا حواء؟

- نصف فهم!

- حوَّل مجرى الحديث متعمدًا وتمتم:

كل بوقته تعلمينه، الآن ليس وقته يا حواء، الآن وقت أن تمارسي دورك كحواء

غمز لها بعينه وضحك فضحكت هي الأخرى وقد استوعبت مغزاه:

- فتوجهت لمفتاح إضاءة الغرفة لتخفته حتى صار ناعمًا كالمخمل وقالت بدلال لا يخلو من اصطناع:

- أحلامك أوامر..

آدم

*****



الثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ.

(سفر إشعياء - الأصحاح ١: ٢/ ٤ - العهد القديم)

كالبنيان المرصوص وقفوا صفًا بعد صفٍّ، على أطراف الصحراء خرجوا للقياهم، لا يهم ماهياتهم، لا يهم أشكالهم أو بأسهم وقوتهم، لا يهم ما يركبون أو يقودون، في الحقيقة كان لا شيء يهم البتة..

عدا مرضات ربهم ورضوانه..

من ذا الذي يحظى بفرصة للجهاد خلف الإمام المهدي ذاته ويهمه من أمر الدنيا من شيء، من ذا الذي يفكر في نتيجة معركة يعلم مسبقًا جائزتها وثمنها الذي وعده الله منتصرًا كان أم شهيدًا، من ذا الذي يشغل تفكيره في كنه ما سيواجه حتى ولو كانت وحوش الأرض مجتمعة..

أما فعلها من قبل (هاشم بن عتبة بن أبي وقاص) في معركة المسلمين مع فرقة (بوران) الفارسية!

وكانت فرقة بوران إحدى الفرق الملكية التي كانت تقسم كل يوم قبل أن تنام وتقول:

«لا يزول عرش فارس ما عشنا»

وكان مع هذه الفرقة أسد مدرب على القتال، وأطلقوه على المسلمين، فتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى الأسد في مشهد ما حدث من قبل بالتاريخ وما تكرر بعدها، تقدم بقلب مسلم توكل على الله بقلب لا يعرف الخوف، فصرعه بعدة طعنات وأرداه قتيلًا.

كان الجو حارًا بهذا الصباح الذي خرجوا فيه على خيولهم كما تراءى للمهدى لمجابهة القادم، وقد رأى الخروج خارج مكة لتكون أرض المعركة بعيدًا عن أم القرى البلد الأمين، ورغم الغبار الصحراوي والعَفَرُ المتصاعد

من حوافر الخيول وقيظ الشمس والحرارة والرهبة من القادم غير المعلوم إلا أن المعنويات كانت تحلق بالسماء، فكلما نمت الروح الاستشهادية المتوكلة كلما كلت الروح الدنيوية المتواكلة..

- حيث أن المهدي كان قد خطب في جيشه الخارج معه قبل التحرك وقال لهم موعظًا:

أيها المؤمنون..

اسمعوا وعوا..

لا أعلم كنه ما سيواجهنا خارجًا كما لا تعلمون، ولا أدعي علم الغيب وقد كان أولى أن يدعيه أحد من الرسل العظام، ولا أزكي نفسي على أحد ولا أعد بشيء ولا أبشر..

أنا بشر عادي ككل امرئ منكم، ولم أدع المهدية ولم أسع لها ولم أطلبها، والله وخادمه خادم الحرمين الشريفين على ما أقول شهداء، ولكن يبدو أن هذا أمر الله وقضاؤه، وطالما أنه أمر الله فليس لي من الأمر من شيء كما قال الله بكتابه العزيز..

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾..

وأنا لا أعصي الله ورسوله وأعوذ به وبجلالته وعظمته أن أكون من

الضالين، وأربأ بكم وبمقاماتكم عند ربي حيث كرمكم بنعمة الإسلام أن تكونوا من الضالين العاصين..

ولهذا فأنا أفتح باب الخروج لقتال القادم أيًا كان كنهه - والذي لن يعدو إلا أن يكون خلقًا من خلق الله أراد سبحانه لنا مجابهته - اختياريًا..

فمن أراد الدنيا وعصيان أمره سبحانه بالجهاد فلن أرغمه، أما من أراد أمر الله وانصاع لقدره..

، ثم صمت هنيهة وهو يمحص النظر بعيونهم وقال بأعلى صوت أُوتِيَه: فليكبر..

، وباللحظة التالية كان التكبير يناطح السحاب طولًا وقد بلغ عنان السماء، فالكل بنفس واحد رددوا دون تردد:

الله أكبر..الله أكبر

الله أكبر..الله أكبر

ورغم الاختيارية التي طرحها إلا أن الكل خرجوا معه ولم يتخلف أحد البتة.

وحين وصلوا النقطة المنشودة وقفوا وتمركزوا ونزلت عليهم السكينة واستشعروا جنتها، وبعد برهة تراءت لأبصارهم خيالات الأعداء من بعيد على مرمى البصر والتي كانت تتضح أكثر وأكثر كلما قربوا..

- وما إن أصبحوا للعين واضحين قال الملك والذي كان بجوار المهدي:
ألم أحدثك أنه لم يكن بالكابوس، وأنها كانت رؤيا من الله مستقبلية
- قال المهدي وهو يرى تجسد حلمه واقعًا أمام ناظريه:
صدقت..

نفس ما رآه يتكرر بحذافيره..

جيش جرار..جيش كبير مهول، يتقدم نحوهم بسرعة وثبات دون خوف أو تذبذب..

و كانوا جميعًا يرتدون السواد ويتعممون بسواد ويرفعون رايات سوداء لم يتبين ما عليها، وكانوا يأتون من بياض وكأن تحت أقدامهم الثلج وليس صحراء وكلما تقدموا كلما زحف الأبيض تحتهم وتحولت الصحراء تحت سنابك خيولهم إلى ثلج زاحف تجاههم حتى أنهم شعروا برجفة برد حين أصبحوا على مقربة منهم

وكانت أشكالهم شنيعة..

ثم تراءى للمهدى وجيشه الدجال ذاته يظهر بالخلفية من ورائهم وهو يصعد بالسماء طائرًا ويبين من وراء الجيش وهو يضحك ضحكة شيطانية..

ولم يعلم المهدي لماذا رآه كبيرًا جدًا بالفعل كما تراءى له برؤياه..أهو الخيال الذي يفرض نفسه مع هول وعِظم ما يروا أم هو الواقع الملموس وطبيعة هذا الكائن الذي اختصه بها الله سبحانه؟! لم يدرِ!

- قال المهدي بثبات وقد أخرج سيفه (المنصور) -كما أسماه له خادم الحرمين- من غمده وشهره:

إثبتوا إن هو إلا أمر الله..

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

الله أكبر..

- فردد الجمع من خلفه بصياح هز الأرض من تحتهم وقد شهروا سيوفهم هم الآخرون:

الله أكبر..الله أكبر

الله أكبر..الله أكبر

وما كان الله ليضيع من يؤمن به ويزداد إيمانه كل لحظة ويتوكل عليه دون تواكل، ولأن الله بالغ أمره حتى لو كان جيش العدو من مردة الجن، وحتى لو كان قوامهم كل بني الجن جميعًا وباقي الإنس معهم بعضلهم وهم بعضهم لبعض ظهيرًا ما كانوا ليضروهم بشيء إلا ما أراد الله..

إذ حدث زلزال شديد، زلزال عتيٌّ هز الأرض من تحت أقدام الجميع وصهلت الجياد فزعًا من شدته، وزحفت قشعريرة باردة على إثره بكل من كان بالجيش، عدا المهدي الذي كان منشغلًا بمناجاة ربه وبذات الوقت

كان مركزًا نظره مع نظر الدجال الذي بادله هو الآخر النظرات تحديًا وهو يتبسم بطاووسية جلية مستهترًا مختالًا بقوته وقدرته وتابعيه الذين لا يقهروا من عتاة الجن ومردتهم..

- قال المهدي بسره يناجي ربه وهو يشعر بقوة لا مبرر لها بموقفه:
اللهم اكفينهم بما شئت وكيف شئت..
يا جبار السموات والأرض لا ملجأ منك إلا إليك..
أعوذ بعظمتك مما أعلم ومما لم أحط به خُبرا..
ألوذ بك..
وأقسم عليك بك..
أن تكن لنا عونًا وأن تسدد خطانا وتنقذنا من القوم الكافرين..
ولا تكلفنا إلا وسعنا..
وأن تنصرنا على القوم الذين يريدونها عِوجًا بالأرض وفسادا.

، وضع يده على قلبه وأغمض عينيه ورغم الصخب الشديد حاول التركيز بكل قواه وجمع شتات قلبه، وغلقة عينيه تزداد شدة كلما حاول التعمق بتركيزه وهو يردد بكل جوارحه ويوقن أن الله معه لا محالة مهما تبدّى عكس ذلك ومهما كان خطر وعِظَمَ ما يجابه ويواجه:
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾.

وفجأة ودون أية مقدمات..

خُسفت الأرض تحت أقدام الجيش الزاحف بمن عليها منهم..

في مشهد لن يُمحى من ذاكرة من رآه ما حيي..

انشقت أرضهم البيضاء كالثلج من تحتهم لتبتلعهم جميعًا وبغمضة عين كأن لم يكونوا ملء الأسماع والأبصار توًا..

كأن لم يملأ صياحهم المرعب الأذان منذ لحظة..

كأن لم يستقوّا بجبروتهم وكأن لم يعلوا زورًا بدجالهم وكأن لم يستعرضوا عددهم وسحرهم وأحجامهم..

عدم..

لا شيء إلا العدم وأصوات الطيور الجارحة من حولهم..

إن هم إلا كالتراب أو أقل تأثيرًا..

، وفور أن انتهى ابتلاع الأرض لهم حط على رؤوس الجميع الطير وعم الصمت والوجوم مكان الصخب العظيم الذي كان السيد منذ دقيقة..

ليطير الدجال مبتعدًا كعادته يجر أذيال حسرته بكيده الضعيف أمام الجبار الحق..

ليتحول الذهول والصمت المطبق المسيطرين بعدها فور أن وعوا تدابير ربهم لنجدتهم ونصرتهم إلى هتاف سمعه سكان بكة دون مغالاة..

الله أكبر..الله أكبر

الله أكبر..الله أكبر

*****

ما كاد العالم يصدق أذانه ليس حين سمع خبر خسف الجيش الذي كان سيواجه المهدي فقط، وإنما حين خُسف أيضًا بجيش الصين الزاحف من الشرق، وجيش حلف الناتو والذي اختار إلى جانب الهجوم البحرى بالمتوسط الهجوم البري كضمانة لنجاح اجتياح كل بلاد العرب وضحدها من شرقها لغربها، فهاجم بجيش مشاة من أقصى غرب الوطن العربي ليتم الخسف به في الصحراء الغربية ببلاد المغرب.

صُدم الرئيس الصيني (وانغ جين تاو) صدمة عمره حين وجد أن السواد الأعظم من جيشه هلك وبطرفة عين، جيشًا كاملًا بمعداته وطائراته ودباباته وأسلحته الحديثة.

كانت ديانته الكونفوشوسيّة تقضي بأن يؤمن بفلسفة ماديّة بحتة، بدون إله ولا عناية إلهية ويـــدون حياة أخرى بعد المـــوت والرضوخ لظواهر الطبيعة الدوريَّة، وعقيدة العشيرة المتأصلة في عبادة الأســـلاف..

إلى أن ظهر له الدجال ورأى منه ما رأى من خوارق، فبدأ بالتفكير بل وخامره التشكك بعقيدته..

هذا الرجل إله كما يدعي..

إن ما يتأتاه ما هو بفعل بشر..

إن هو إلا إله عظيم وليغفر له ما فات من عدم إيمانه به..

نعم خطر بباله أن يؤمن به..

لم يكن يخطر بباله أن هذا الرجل الذي لم يعد يدري له توصيفًا دقيقًا - ذو الإمكانيات العظيمة والقدرات الخارقة الذي أقنعه أن يتخذ صفه ويترك صف مجلس العالم الشرقي من الممكن أن يُهزم!

يُهزم..!

كيف يُهزم وهو على قدر إله تكاملت له الصفات ولانت له الخوارق وخصعت لقدرته الظواهر؟!

أمن يستطيع إحياء الميت وإمطار السماء وإنبات الزروع ويمتلك الجنة والنار بيديه من الممكن هزيمته؟!

يُهزم..!

إذًا هو بشر وليس إله.. فما من إله يُهزم.

حارت أفكاره وتشتت..

فى البداية مر بمرحلة الإنكار ثم ما لبث أن استحال إنكاره إلى إحباط ويأس هدم أماله وأحلامه التي بناها داخل عقله الدجال، حقيقة استيعاب أنه دجال بكل ما أوتى من براهين وتصديق كلام المسلمين عنه كانت مرحلته الأصعب مع نفسه.

بعدها وفجأة قرر الذهاب بعيدًا طلبًا للاستجمام والاستشفاء، ولا يعلم لماذا هداه تفكيره لذاك المكان..

شخص كان يثق أنه ولابد عنده إجابة لما يحتمل بصدره من تساؤلات تؤرقه وتشقيه..

والغريب أنه بحياته ما رأى هذا الشخص بل والأغرب أنه قد ظلم ذات الشخص ظلمًا بينًا رغم عدم الاحتكاك المباشر..

الدلاي لاما..

منذ العام ١٩٥٩م وعلى خلفية الاحتلال الصيني للتبت انتقل الدلاي لاما (تينزن غياتسو) كلاجئ للهند، استقر حينها في شمال الهند حيث أسست هناك إدارة التبت المركزية (حكومة التبت في المنفى).

بعدها بزغ بفكر (وانغ جين تاو) وكان حينها رئيس الحكومة الصينية ولم يكن قد تقلد منصب الرئيس بعد فكرة جهنمية في السباق إلى قلوب وعقول التبتيين لمنع حركات المقاومة ولإذعانهم بعد احتلالهم، بأن يُدخل إلى دائرة الضوء راهبًا بوذيًا كان يبلغ من العمر آنذاك ٢٦ عامًا وهو (البانشن لاما) الذي أعده الحزب الشيوعي لشغل دور سياسي وديني مهم في التبت وتم تعيينه من قِبل الحكومة الصينية ليصبح تلقائيًا كبديل للدلاي لاما بعد وفاته.

ولذلك قرر (وانغ جين تاو) إرجاع (الدلاى لاما) إلى مستقره (لاهاسا) عاصمة التبت والذهاب إليه للقياه بمقره القديم قبل المنفى في قصر (نوربولينغكا) الصيفي.

*****

- سيدي المسيا

لو كان أحد يرقب المشهد لظن الخبال أصاب عقل (نوعام ايتان) حيث أنه ناداه باسمه في الفراغ أمامه كما أمره، إلا أنه ظهر له وبنفس اللحظة كما وعده

- ماذا تريد؟
- أريد أن أتكلم معك بشأن ما حدث
- فليكن حديثك مختصرًا فأنا لا وقت لدي
- سيدي، هناك حالة إحباط ويأس وكفر تضرب جميع قومنا، ثلاثة جيوش!

، ثم مسح وجهه بيده مستاءًا غير مصدِّق وواصل:
ثلاثة جيوش، كيف؟!

- لا تسألني
- وبماذا أجيب وأبرر أنا لمن يسألني؟!
- قال ببرود:
قل لهم زلزال

- تقصد زلازل

نظر إليه بغضب ولم يرد

- فتشجع نوعام وتمادى بانفعاله وقال:

ألم نكن نتحكم بالطبيعة!!

ويل لنا بنى إسرائيل..

ماذا فعلنا ليلحق بنا هذا الخزي والعار!

نحن أصبحنا مسخة أمام الشعوب، أغبياء كالحمير بل أشد، لا نعرف ماذا نصنع ولانفهم إذا صنعنا!

نحن نرتد للوراء ولا نتقدم!

، سكت هنيهة وهو يرتعد من فرط غيظه ثم أردف:

ألم نكن نتحكم بالطبيعة!!

ألم نُمطر ونُنبت ونُرعد ونُبرق ونُزلزل وقتما نريد! ماذا حدث؟!! لما يُخسف بجيوشنا الأرض هكذا؟! ألم...

- أثار حنقه فصرخ بوجهه مقاطعًا استرساله وردد محذرًا ووجهه يتذبذب بين اتخاذ لون السواد لشكله الآخر وبين شكله الحالي:

نوعاااام

- نظر بالأرض خائفًا متوجسًا وقال:
لا أقصد، ولكن أعذرني سيدي لقد خسرنا الكثير بهذه المصيبة، لا أقصد خسائر مادية ولكن معنوية، فالكثير فقدوا ثقتهم بمقدرتنا وبقوتنا

- أعلم، ولكن لا تخف، فمازال بجعبتي الكثير، فقط تحضر للقادم وجهز جيوشك فلقد أزف الأوان

- هل سنحاربهم؟!

- نعم وبأقصى سرعة

- تقصد سنخرج بالجيش خارج إسرائيل

- سوف نخرج لهم بكل جيوشنا، وستكون القاضية لهم

- وهل، هل...

- تكلم ولا تخف

- سيدي أنا أخشى أن يحدث ما حدث بمعركتنا المنصرمة مع كل الجيوش مرة واحدة فنتعرى أمامهم دون رادع فينهشونا لقمة سائغة

- لن يحدث، ولا تسل لماذا، فقط أعدك أنه لن يحدث

لم يرد نوعام فقط تمتم بداخله أن أنقذنا يا رب الجنود!!

*****

لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ.

(سفر إشعياء – الأصحاح ١/ ٩ – العهد القديم)

*****

كما قال القرشي كان ترتيب الأحداث..

حصار فمفاوضة ومندوبون ورسائل تأمين بخروج آمن، ثم وعظ فتحذير ومطالبة بالرجوع عن جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون مُبرِّر.

وقد أصر (مصعب أركان) كبير الياوران أن يكون المفاوض معهم.

– حيث توجه إلى (اليزن بن عمار) وقال راجيًا:

أرجو من سيادة الرئيس أن يسمح لي أن يكن لي دور بهذه المفاوضات

– قال اليزن دون أن ينظر إليه:

ولكن أنت تعلم فكرهم وأنهم كفروا الحكومة، وأخشى إن ذهبت إليهم أن يقع ما لا يحمد عقباه

- قال بتأثر جلي:

سيدي لن أكون أغلى ممن ذهبوا، وحتى وإن وقع مكروه فلسوف أرتاح حيث أني كما تعلم يمزقني الشعور بالذنب منذ أن حدث ما قد حدث الرئيس الراحل ولد عمكم (البغدادي) رحمة الله

- نظر إليه اليزن وتجاهل ما قال توًا فقال في عجالة:

فليكن، لك ما طلبت

- همَّ اليزن أن يتركه ويغادر إلا أنه استوقفه وقال:

هل ما زلت لم تسامحني؟!

لم يرد وتجاهل حديثه للمرة الثانية.

- فتدخل (القرشى) وقال مخاطبًا (مصعب) محاولًا إخراجه من إحراج كان قد أوشك على مشارفته بتجاهل اليزن الرد عليه حيث قال وهو يجتذبه من يده:

هيا الآن يا مصعب ولنرجئ الحديث حين عودتك سالمًا بأمر الله

وقد أتت المفاوضات ورسالات التأمين بنتاجها، بعد أن أعلن (اليزن) على لسان (مصعب) أنه من عاد فلا عقاب ولا عتاب شريطة أن لا يُسفك دمًا.

بذل مصعب الكثير والعسير من المجهود فتكللت مساعيه بأن سدد الله خطاه حيث رجع منهم السواد الأعظم إلى صف الجيش مرة أخرى دون سفك دماء.

ولم يبتدئهم القتال إلا بعد أن بدأوا هم..

حيث أنهم كانوا أحدثوا حدثًا بقتل جندي كان ذهب لرؤية أ... بصفوفهم..فكانت القاسمة.

كان قلب اليزن والقرشي يتمزقان على كل قطرة دم تُراق، إلا أنه كان لابد مما ليس منه بد.

معركة لم تستمر طويلًا حُسمت نتيجتها قبل أن تبدأ.

ففي خلال ساعتين كان الأمر انتهى واستتب الأمن، وعادت قبضة الجيش بيد اليزن وتحققت له وحدة الصف ليبدأ بالإعداد للتحرك للانضمام للجيش الموحد ببلاد الشام.

*****



الدخ.. الدخ!!

كما كانت حربهم التي لم تكتمل أمام المهدي على صهوة الجياد بعيدًا عن المكنة الحديثة والتكنولوجيا - وذلك تم لأنهم جان لا يحتاجون إلى الآت لتنفيذ هجومهم - عادت الحروب المزمع عقدها إلى صهوة الجياد وشجاعة الفرسان رغمًا عنهم هذه المرة، وهو ما أيأسهم وأحبط عزيمتهم.

فبينما كان الدجال بدأ بإنفاذ أوامره بتحريك كل الجيوش تحت إمرته لمهاجمة الجيش العربي الموحد ببلاد الشام والقضاء عليه، وبينما الطائرات الهاجمة والترسانات الحربية المنقولة في طريقها بالفعل، إذ يحدث ما يزلزل كيانه للمرة الثانية دون أن يستطع به تحكم ليبين عجزه رغم قدراته الرهيبة وليثبت دجله رغم عظم إدعائه، معجزة أخرى تقضي على آماله وتحطها أرضًا!

حيث بهذا الوقت كان المهدي يقف مع خادم الحرمين الشريفين بشرفة المقر الذي أعد لاستقبالهم سلفًا بدرعا مقر الجيش العربي الموحد، بعد أن انتقلا مباشرة بعد انتهاء معركتهم التي لم تبدأ مع الدجال للانضمام للجيش الكبير حيث كان الاستقبال أسطوريًا، كان أسعد يوم بحياة الملك وهو يرى تتويج فعلي للمهدي على كافة الجيوش، ويعايش ويرى فرحة الجند والزعماء والناس أجمعين بظهوره وتتويجه، كان هذا جُل مناه وأحلامه حيث أنه كان يحلم بيوم يتوحد فيه العرب تحت راية واحدة وها هو حلمه يتحقق أمام ناظريه صوتًا وصورةً وواقعًا ملموسًا.

وبعد انتهاء الاحتفالات والتبريكات والابتهالات إلى الله عز وجل،

صعد الملك إلى مكان مبيته ليرتاح قليلًا قبل صلاة الفجر حتى يستطيع أداء صلاة الجماعة، فقد كان تعبًا ولكن ذاك التعب اللذيذ الذي يستشعره المرء بعذوبة حين انتهاؤه من أداء ما عليه بإخلاص.

– ليلحق به المهدي فيجده جالسًا بشرفته المغلقة بزجاج شفاف يناجي ربه ويشاهد القمر بدرًا بالسماء وهو يتفكر ويتدبر قائلًا:

﴿رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .

– تفاجأ بالمهدى من خلفه يؤمن على دعواه مرددًا:

آمين يا رب العالمين

– نظر ناحيته وقال وقد انفرجت أساريره لرؤياه:

مولانا الإمام، شرفت مقرنا المتواضع، اجلس جواري

جلس جواره وطفق يرقب القمر مشاركًا إياه تأمله وهو يشعر بسكينة وطمأنينة يُلطفان على قلبه كنسمة ليلة صيف عليلة بعد حر نهار مرهق.

– ومازال الملك ينظر تجاه السماء وقد بدأ يلحظ شبورة خفيفة تتكون بالأفق على استحياء فتبسم بأريحية وتنفس بعمق ثم ردد:

لقد انتهت رحلتي

- عقد المهدي ما بين حاجبيه وقال بتعجب:

أية رحلة

- رحلة حياتي

- أطال الله عمرك جلالة الملك، وأدامك زخرًا للمسلمين

- قال والابتسامة لم تفارقه:

أنت زخر المسلمين وموحد كلمتهم وصفهم، والحمدلله أن أحياني حتى ارى ذلك اليوم بأم عيني، أما أنا فقد أديت دوري المرسوم وقد حان الوقت

- جلالة الملك، أنت تتكلم بألغاز الليلة، أي وقت قد حان!؟

- ألا تتذكر آخر كلمة قالتها لي الدابة؟

- تعجب المهدي للابتسامة التي لا تفارق ملامحه، وتفكر بسؤاله ولكنه لم يستطع التذكر فقال:

للأسف لا تُسعفنى الذاكرة

- قالت لي بكل وضوح..

(يا مؤمن..يا عبدالله..أدِّ دورك المرسوم..قبل أن تنزل الغيوم..وتصير بإذن ربك مرحوم..)

، ثم زادت ابتسامته اتساعًا وهو يقول:

هل تذكرت الآن؟

- قال المهدي وقد زاد تعجبه وعيناه لم تفارق وجه الملك وهو يزداد تعجبًا لابتسامته:

نعم، تذكرت، ولكن ما معنى هذا

- انظر أمامك يا مولانا

لم يستوعب مبتغاه ولكنه نظر أمامه فلم يفهم للوهلة الأولى ماذا يحدث، ضباب كثيف خارج الزجاج عتَّمَ الرؤية فصارت شبه معدومة حتى القمر توارى كأن لم يكن له وجود.

- قال المهدي متسائلًا:

ما هذا؟

إنالية واحدة هكذا، سبحان الله

. لم يُعقب الملك، فتدارك المهدي الحديث السابق وقال وقد بدأ يرتاب ويتوجس:

ولكن..

. ثم صمت قليلًا وقال بتلعثم:

هل كانت تعني تلك الغيوم؟!

- ردد الملك وهو ينظر تجاهه هذه المرة:

أعتقد ذلك يا ولدي، هذه هي الإشارة، وأعتقد أني أديت دوري المرسوم حتى رأيتك تتوج على رأس جيوشنا..

نفع الله بك أمتنا..

وأعانك على أداء دورك على الوجه الأكمل

بدأ صوته بالتحشرج، فاستحثه المهدي على السكوت ووقف ليفتح زجاج النافذة طلبًا للهواء ففوجئ بدخول الضباب كثيفًا داخل الحجرة وشعر مع دخوله بزكمة خفيفة بأنفه ووجد أنه أصبح يرى الملك بصعوبة.

- فتوجه ناحيته وناداه وقال:

سأطلب طبيبًا

– فأمسك الملك بيده مانعًا إياه من الذهاب وقال:

لا داعي يا ولدي.. لا داعي..

الحمد لله والشكر لله..

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله

قال جملته الأخيرة وصعدت روحه إلى بارئها، ليحاول بعدها المهدي هزه وتنبيهه دون جدوى، فدمعت عيناه وترحم عليه ثم أغلق عينيه بيده.

– وقال وهو مايزال يبكيه:

لله درك يا خادم الحرمين الشريفين..

أشهد الله أنك أديت دورك معي على أكمل وجه..

وأترجاه أن يجعل ذلك بميزان حسناتك وأن يتغمدك بواسع رحمته ومغفرته..

إنا لله وإنا إليه لراجعون

إنا لله وإنا إليه لراجعون

*****

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

*****

بذات الأثناء بمقر الكونجرس وُضعت شاشة بحجم الحائط قسمت نصفين، نصف يظهر عليه الدجال والآخر يظهر عليه مقر الكينيست في اجتماع ثلاثي الأطراف.

وبينما المناقشة حامية الوطيس آخذة في الازدياد حدة، إذ فجأة ينقطع إرسال الشاشات من القاعات الثلاث ليتعجب الجميع وينظرون تجاه بعضهم في ذهول..

كيف يحدث عطل كهذا بأهم أماكن بالعالم على الإطلاق!

وبينما هم مازالوا لم يستفيقوا من ذهولهم إذ بالدجال يظهر بنفسه فجأة بالمكانين الكونجرس والكينيسيت بذات الوقت.

- قال وهو يتوسط المكانين (الكينيست بإسرائيل) و(الكونجرس بأمريكا):

يبدو أن الطاقة قد اختفت مرة أخرى

- ردٌ بالكونجرس:

كيف ذلك؟

- ردٌ بالكينيست:

ألا تستطيع ارجاعها بقدراتك الخارقة؟!

- أجاب السؤالين بوقت واحد قال:
مازلت لا أعلم كيف ذلك،
وأنا أستطيع أي شيء

- بالكينيست:
إذا أرجعها

- بالكونجرس:
كيف لا تعلم وأنت أنت؟!

- سوف أرجعها ويجب أن....

ما كاد ينهى جملته ليقطعها، حين بدأ بالقاعتين يبين على استحياء دخان خفيف ولكنه ما لبث أن ازداد انتشارًا بسرعة رهيبة، جعل الحاضرين يضجون ضجرًا وهرجهم يزداد وهم يهمهمون ناقمين على الفوضى والاهمال بداخل أهم قاعات العالم.

وبينما هم بانتظار انتهاء المهزلة وبينما الدجال يرقب متوجسًا، إذ بدأ صياح أحد الحاضرين بالكونجرس تبعه صياح آخر بالكينيست وكلاهما وضع يديه على أذنيه وانتفض من مكانه كالملسوع وهو يتأوه ويتلوى.

ليجمع حوله باقي الأعضاء ليتبينوا ماذا أصابه غير أن الدخان بدأ يصبح كشبورة ندية ويدأ الاعتام يصبح سيد القاعتين حتى لا تتبين يدك إذا حاولت نظرها.

وبلحظة بدأ ما حدث لهولاء العضوين يسرى على كافة الأعضاء، الكل يصرخ الكل يتألم وقد وضعوا جميعًا كفوفهم على مسامعهم وكأن حديدٌ مصهور يُصب بداخلها وهم يحاولون منعه، ألم مبرح مُذل عجزت معه قدرة الدجال على التصرف، ويدأ يتراجع وهو مشدوه.

فما كان منه إلا أن خرج من القاعتين محاولًا تبين ما يحدث بالخارج، وما كاد يطير خارجًا حتى أسقط في يده وهو يرى الدخان الذي حسبه عرضًا داخل القاعتين يملأ الدنيا بالخارج.

فصاح صيحة غضب مدوية وطار بالسماء عاليًا محاولًا كشف المنظر من الأعلى، إلا أنه كاد ينفجر غيظًا ويبكي رعبًا ويُمزق ألمًا حين وجد الدخان قد بلغ بلا نهاية عنان السماء.

*****

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

*****

- حقًا لا أدري ما خطبي؟!

جسدى محموم بلا حرارة، معلول بلا علة، ذهني مذهول بلا منطق، وعقلي مشتت بلا فكرة..

أصابتني لعنة لا أدري لها كنهًا..

أهيم على وجهى باحثًا عن حقيقة ومعنى لحياتى وتصرفاتي وكينونتي، فلا أصل لشيء مع تداخل كل شيء وتخبطي بكل شيء.

- هوِّن عليك يا ولدي، أنت تقسو على نفسك، الحياة أبسط من ذلك بكثير.

- أنت الذي تقول ذلك أيها الدلاي لاما، كيف وقد أفنيت معظم حياتك منفيًا خارج بلادك، كيف تكون بسيطة في نظرك بعد كل ما عانيت؟!

- تبسم متطلعًا إليه ثم نظر تجاه النهر أمامه وقال:

سيدى (وانغ جين تاو)..

هل تدري شيئًا عن الحقائق النبيلة الأربعة؟؟

لم يرد وإنما حملقه بتساؤل.

- واصل الدلاي لاما حديثه دون أن ينظر إليه بعد أن علم جهله بما يحدثه فقال:

الحقائق النبيلة الأربع هي الحقائق التي أدركها (غوتاما بودا) مؤسس الديانة البوذية خلال التنوير، وهي واحدة من التعاليم الأساسية في البوذية.

، ثم نظر إليه وتبسم وقام ببسط كف يده على صدر (وانغ) ناحية القلب وقال وهو يستنشق نفسًا طويلًا:

سأقصهم عليك الآن ولكن أرجو أن تسمعني بقلبك لا عقلك، وأن تجرد روحك من ماديات تربطها بوجودك، حاول الخروج من جمود فكرة شيئية الأشياء لتحاول أن تبلغ أصل التكامل بكل شيء، أنت الآن لست رئيس دولة من أقوى دول العالم، أنت فقط روح تهفو للتسامي وللاتحاد بالكون المديد من حولها..

أغلق عينيك يا ولدي واستمع..

، زفر زفرة عميقة كأنها يستعد لسباق طويل ثم قال:

١ - طبيعة المعاناة:

الولادة هي معاناة، والشيخوخة هي معاناة، والمرض هو معاناة، والموت هو معاناة؛ الحزن، والرثاء والألم والأسف واليأس معاناة؛ الاتحاد مع ما هو محزن معاناة؛ الانفصال عن ما هو مرضي هو معاناة، عدم الحصول على ما يريد المرء هي معاناة.

٢ – أصل المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن أصل المعاناة:

إنه الحنين الذي يؤدي إلى تجدد الوجود، يرافقه البهجة والشهوة، السعي إلى الفرحة هنا وهناك هي أيضًا كذلك، الشغف للمتع الحسية، الحنين للوجود، التوق للخلود.

٣ – وقف المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن وقف المعاناة:

هي تتلاشى بعيدًا دون عودة عند وقف الأعمال التي تشغف النفس، والتخلي والتنازل والتحرر وعدم الاعتماد على ذلك.

٤ – الطريق المؤدي إلى وقف المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن الطريقة التي تؤدي إلى وقف المعاناة:

الطريق النبيل الثماني، الذي هو النظر السليم، النية السليمة، الكلمة السليمة، العمل السليم، كسب الرزق السليم، الجهد السليم، الذهن السليم، التركيز السليم.

، سكت للحظة ثم قام بسحب يده من على صدره وقال بصوت حنون:

الآن افتح عينيك يا ولدي، وقل لي بصدق بما تشعر؟

– فتح عينيه ونظر حوله لثوانٍ معدودة ثم ردد قائلًا:

أشعر أن الحياة بكل ما فيها لا تساوي لحظة صفاء مع النفس.

ابتسم الدلاي لاما وقال:

- أنت الآن على بداية الطريق، تمسك بهذا الطرف وهذه الحقائق وحاول السير على صحيح الدرب ولاتترك روحك فريسة للحقائق الملوثة بالمادية البحتة.

- تبرم (وانغ جين تاو) وهو يقول:

لقد كان خارقًا كإله حين ظهر لى، وعدنى بزعامة العالم

- ضحك الدلاي لاما باستهتار وقال:

أورأيت آلهة من قبل حتى تعلم كيف تبدو الآلهة!

ثم ولماذا لم أنخدع به حين ظهر لي أنا ووعدنى بالعودة لأرضنا وزعامتها بل وهزيمتك أيضًا..

- فتح عينيه عن آخرهما وقال بذهول:

أظهر لك أنت أيضًا؟!

، ثم واصل مستدركًا:

أوقال لك ذلك؟!

- فكر قليلًا يا زعيم من أين لي أن أعلم بمن تتحدث عنه!

ثم وبماذا تفيدك زعامة العالم..

كم من أمراء قبلك حاولوا وكادوا أن يصلوا..

أين هم الآن!

عدم..

أنت بذرة صالحة ولكن ينقصك التركيز، ركز يا ولدي فصفاء البال أهم من سيادة العالم..

وأعتقد أنك كدت تلامس تلك الحقيقة، وإلا لما التقينا ها هنا الآن.

- ماذا تراني فاعل؟!

- حياتك قرارك، لا يستطيع إنسان مهما كان ولو كان بودا ذات نفسه أن يُملى عليك ما تفعل بها وفيها.

- لقد جئت بك وجئتك كل تلك المسافة لأفض لك بمكنون صدري..

أنا خُدعت، خدعني هذا الدجال..

- ضيق عينيه وقال بتبسم:

أراك قد بدلت وصفه إلى دجال، إذن لقد حسمت أمرك من قبل مقابلتي

- إزدرد ريقه وقال وهو يتأمل النهر أمامه:

الحقيقة أن الرئيس السوفييتي إبان تحولى وانسحابى من مجلس العالم الشرقي كان بعث لي وفد ومبعوثين مسلمين، حاول بهم شرح موقفهم وموقف الصهاينة والحرب القادمة وحاول استمالتي بشتى الطرق ولكني قمت بحجز هؤلاء الموفدين وحبسهم..

لا أخفيك القول كنت أنوى إعدامهم..

إلا أن شيئًا لا أدريه منعني، ثم تحول المنع إلى فضول تجاههم وتجاه ما يحملون من أفكار، إلى أن خُسف بجيشنا المبعوث لجيشهم الموحد من جهة الشرق بجنوده ودباباته وطائراته وعتاده وعدته..

ساعتها اهتززت من داخلي هزة عنيفة زلزلت كياني..

فتحول الفضول تجاههم إلى حاجة للمعرفة..

ويا ليتني ما فعلت فحقًا ما يقال أن الجهل نعمة بكثير من الأحيان..

كان جهلي نعمة وفضولي الفضول الذي قتل الهر..

لقد عصفوا بأفكاري ووجداني بما يحملون من دعوة وحقائق وثوابت ومعجزات..

كل ما يعتقدونه يحدث واختبرناه بأنفسنا، شمس من مغربها، دخان، خسف، دجال!!!

زلزلونى زيادة فما عدت أعرف من أنا وتخبطت بالثوابت التي كانت راسخة داخلي كالجبال، فما عاد الراسخ ثابتًا ولا أصبحت أدري كيف السبيل إلى خلاص روحي.

- هكذا إذن، إن الموضوع فلسفي

- بل ديني

- الدين والفلسفة وجهان لعملة واحدة

- ماذا أفعل؟!

- كما قلت لك، لا أستطيع إخبارك، يجب أن تجيب أنت على نفسك وبنفسك حتى يكون صوت عقلك حرًا فتتحمل تبعة قرارك..
ولكن ما أستطيع أن أنصحك به أن تجعل صوت عقلك نابعًا من هنا

، ثم أشار بإصبعه تجاه قلبه وأردف قائلًا:
لن يخيبك هذا حتى لو خيبك الناس جميعًا وأضاعوك.

- أخشى أن يوصلني إلى معاندة الناس جميعًا

- معاندة الناس خير من معاندة نفسك، فلو قتلك الناس جراء عنادك للدفاع عن معتقداتك لخير لك من أن ترضى بسلم الناس وتعاند

نفسك فيتوه عقلك بين ما يعتنقه وما فرضه الناس عليه فتعيش كالأنعام.

نظر إليه بوجه خال من التعابير مالبث أن اكتسى بنظرة عرفان شابها نظرة لوم على عدم الافصاح بصريح الكلام، ثم حياه برأسه وشكره وأعطاه ظهره وبدأ بالسير مغادرًا.

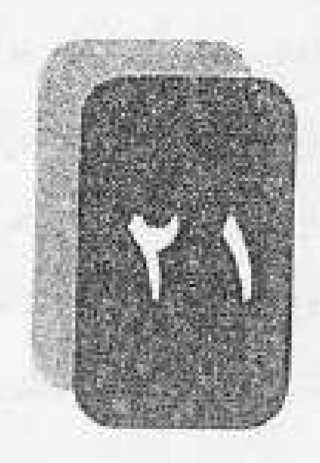
- إلا أن الدلاي لاما استوقفه مناديًا وقال متسائلًا:
هل أنا ومواطني آمنين بأرضنا.. التبت.

- تبسم ابتسامة واهنة باهتة وأومأ برأسه إيجابًا ثم قال:
ادع لي أن أكون أنا أيضًا آمنًا بأي أرض!

*****

وما إن عادت الصين إلى مجلس العالم الشرقي حتى..
أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط.

*****



وتَتَبدّلُ الأدْوارُ أنْ نُرْجعَ للرَّبِ مهطعينَ

يوم الجمعة..

عيد المسلمين بكل أسبوع..

وكانت هذه الجمعة تصادف مراسم دفن خادم الحرمين الشريفين التي تمت بلا بهرجة ولا أبهة ككل مراسم دفن الملوك كما وصى هو سلفًا، وقد أوصى له أن تكون مقبرته بسوريا حيث كان وصى آنفًا أيضًا أن يدفن مكان وفاته دون نقل وكان يقول دومًا «الأرض جميعًا لله».

صعد المهدي المنبر الموضوع بالخلاء يخطب في جموع الجيوش خطبة الجمعة.

وقف بوسطهم، تأمل ملامح القريبين من مكانه وشعر بأن وجوههم تشع رضا..

رضا عن النفس وعن الرب وعن الحياة والنصر أو المات والإستشهاد..

رضا بالدين وبالظروف وبالإبتلاء والحروب والغربة والصعاب..

رضا عن كل ما أتى من الله وما هو آت حلوه ومره..

رضا لا يشوبه شائبة..

فلا طمع في جاه أو سلطان أو غرض من الدنيا..

فقط الغاية رضا الرحمن وجنته.

أغمض عينيه وذكر ربه في سره، استشعر السكينة التي عهدها منذ علم رسالته بهذه الحياة وقربها وأقرها ورضاها وارتضاها وأجلها.

- قال مستهلًا حديثه الموجه لعموم الجيوش:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

، ثم صمت وأدار بصره بينهم يُمحص وجوههم ويسبر ضمائرهم لدقيقة ثم أردف بهدوء وروية:

إن كنتم مؤمنين..

، وصمت للمرة الثانية ثم أعادها مرة أخرى بنفس الطريقة ردد:

إن كنتم مؤمنين..

الآية الكريمة بسورة آل عمران هي جوابٌ لشرط..

، ثم كرر عبارته الأخيرة مرة أخرى وهو يضغط مخارج الحروف مرددًا ببطء:

جوابٌ لشرط..

فهذه الأمة لن تنهض باقتصاد ولا علم ولا خطط أو مؤامرات ودسائس ولا حتى حروب كغيرها من الأمم، ولا أقصد بذلك أن نتكاسل ونتواكل حاش لله، فالرسول الكريم ﷺ أمر بغرس الفسيلة بيد أحدكم حتى لو قامت الساعة عليه.

إنما مقصدي أن نهوضنا يأتي أولًا بإيماننا ورجوعنا إلى الحق وطريقه..

إلى النور الذي أخرجنا إليه نبينا الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام بعد أن كنا نتخبط بظلمات تغشاها ظلمات والتي عدنا ويا حسرتاه لنتيه بدروبها ثانية طوعًا وليس كرهًا هذه المرة!

ثم يأتي بعد ذلك بعد الإيمان والتوبة النصوح، يأتي دور العلم والعمل والتخطيط والطموح وإعمال العقل والاجتهاد وكل الخصال الحميدة.

إذن فببساطة نصرنا على عدونا المبين هو مرهون بنا ومشروط بإيماننا ومعلق بصلاح ضمائرنا ونياتنا..

إن أخلصنا الإيمان خلَّصنا من الهوان..

إن أخلصنا الإيمان خلَّصنا الرحمن..

ونحن أكثر من مليار ونصف مسلم..

ونحن كغثاء السيل..

تَدَاعَى الأمم علينا من كل أفق كما تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا..

نزع الله المهابة من قلوب عدونا تجاهنا وجعل في قلوبنا الوهن..

أحببنا الحياة وكرهنا الموت فاستحققنا ما حاق بنا؛

فضلنا الحياة الدنيا على الحياة الباقية الحقة فكان ما كان، رضينا بالذل والهوان ووضعنا رؤسنا بالرمال كالنعام فتطاول علينا عدونا وجرؤ.

ولكن الله عَلِيٌّ كبير..

لكن الله متم نوره ولو كره الكافرون..

يخرجنا ثانية من الظلمات إلى النور ومن حلق الضيق لأوسع الطريق؛ ألم يكن هو من خسف بالجيوش الثلاثة الآتية لإفنائنا..

ومن قبلها قطع عنهم الطاقة لتصير الغلبة لنا ومن بعدها أغشاهم بدخان يغشاهم بعذاب أليم وليقطع عنهم الطاقة مرة أخرى بعد أن كدنا نفقد الأمل.

جمع كلمتنا بعد إذ تفرقنا، ووحد صفنا بعد إذ تشتتنا.

سبحانه الحي الذي لا يموت صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

أما الباقي أمة محمد ﷺ فكما قلت لكم مرهون بنا وبإيماننا وصدق نياتنا وإصلاح ضمائرنا وأعمالنا.

ولذلك فإني أذكركم بها حتى لا تنسوها..

وأجعلوها دائمة التذكر بألبابكم حتى تستحضروا النهاية الحتمية والتي وعدنا الله بها جوابًا لشرطه

«وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»

نحن بأيام صعاب، وعلى شفا أيام أصعب، فكل الدلائل تشير إلى الحرب الكبرى التي طال انتظارها..

حرب النهاية بيننا وبينهم والتي سيشارك فيها الكل رغم أنفه، فاجعلوا مشاركتكم مبروكة بصدق نيتها حتى تنالوا جواب شرط الله.

واعلموا ان العاقبة لنا، ولا أدعي علمًا بالمستقبل أو تنبؤًا..

«قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ»

ولكنه الوعد الإلهي من فوق سبع سموات والذي ما أفتق أن أذكركم به

«وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»

فحققوا الشرط حتى تنال الجواب رحمكم الله وأعزكم.

وختامًا أرجو منكم الدعاء لأخينا المتوفى العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين، فكلنا يعلم دوره في خدمة الإسلام والمسلمين، سائلين الله أن يتغمده برحمته ويدخله مدخلًا كريمًا، راجينه أن يتقبله ويتقبل عمله ويجزيه خير الثواب عنى وعن كل من ساعدهم، إنه ولى ذلك ومولاه.

إنى داعٍ فأمنوا..

اللهم أعز الإسلام والمسلمين..

- آمين

- والعرب أجمعين

- آمين

- وأعلى بفضلك كلمتى الحق والدين..

- آمين

- اللهم....

*****

عناوين تصدرت صفحات آخر عدد من الصحف العالمية والعربية قبل انقطاع الطاقة:-

...انقلاب بقطر والجيش القطرى يتولى زمام الأمور بالبلاد.

...الشعب القطرى يستقبل الخبر بالفرح والترحاب ومظاهرات مؤيدة تجوب شوارع البلاد متمركزة بالعاصمة الدوحة.

...تدمير شامل لمقر قناة الجزيرة من قِبل الثوار والمدنين والذين خرجوا لمؤازرة جيشهم

...أول قرار للمجلس العسكري الحاكم:

طرد المندوبين الأمريكان والاستيلاء على جميع القواعد الأمريكية.

...إرسال معظم قوى الجيش للانضمام للجيش العربي المشترك وترك جزء يسير للحفاظ على الأوضاع واستتباب الأمن.

...هذا وقد أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة عن قلقه الشديد إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط.

*****



﴿أَزِفَتِ ٱلآزِفَةُ﴾

(النجم: ٥٧)

الغريب في بني آدم أنهم لا يتذكرون..

حتى أنهم أصبحوا لا يتذكرون أهم حقًا ينسون أم أنهم يتناسون!

﴿أزفت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨)﴾

بعد أن ارتفع الدخان وبدأ الخلق بالنسيان، كان ذات الوقت الذي تحرك فيه جيش العراق بقيادة (اليزن) وجيش الصين بأمر من (وانغ جين تاو) وجيش من مومباى بالهند للانضمام للجيشين العربي الموحد والسوفيتي المرابضين بسوريا، وبالتزامن كانت جيوش الغرب وغيرهم من تابعي الدجال بكل عدتها وعتادها تتحرك أيضًا للتلاحم مع العرب والمسلمين بأرض سوريا كما أوعز الدجال لتابعيه.

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾

فمن كان يرى الكرة الأرضية من علٍ بهذه الساعة لشعر أن كل الناس الستة مليار ونصف سكان هذا الكوكب قد خرجوا عن بكرة أبيهم للقاء بأرض الشام؛ جيوش من كل حدب وصوب تتوجه على دوابها من خيول وجمال وبغال لذات الموقع.

الكل متحمس الكل مترقب الكل على آخره وقد أصبح لا شيء يهم سوى النصر وبعض الاعتبارات الأخرى؛

لا الماضي يهم ولا الحاضر..

فقط المستقبل والنصر؛

لا النسب ولا العائلات والأعراق..

فقط ديانتك والنصر؛

لا اللون ولا اللغة..

فقط الهوية والنصر.

اختلف الدافع وتوحد الهدف..

يجب النصر على الطرف الآخر حتى لو كان الثمن إبادته حتى تستكين الأمور وتنصلح الأحوال، ضاقت الدنيا بمن عليها بما رحبت.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

أما العرب والمسلمون كان دافعهم الآخرة بينما الغرب وتابعوهم فدافعهم كان امتلاك الدنيا بمن عليها، وكان الهدف بالفريقين إذعان الآخر أو القضاء عليه إن اقتضت الظروف رغم تباين الدوافع.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

اختلطت أجناس الأرض ليصير الكل تحت لواءين لا ثالث لهما، أنت تحارب مع المهدي أو المسيا..

لا فرق بين عربي وأعجمي..

لا فرق بين أبيض وأسود تحت اللواء الواحد.

والكل مؤمن بقضيته ومكبل بقيود وسرابيل إلى معتقداته؛ فات أوان تغيير المعتقدات وتصحيح المفاهيم.

حتى المتشكك أو المتيقن أنه على الخطأ وأنه يجدر به التحول عما يسحره ويقدسه صار تحويل المسار له شبه مستحيل.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

وكأن الأرض توقفت عن الدوران إجلالًا لهذا الحدث الذي ليس كمثله حدث بتاريخها، للمرة الثانية تشرق الشمس من مغربها!

والناس في ريب ينظرون.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

والكل لا يدري أشر أريد بمن في الأرض أم خير؛

أهو التتويج الذي يكلل النصر أم هي النهاية تقترب في جنون نصنعها بأيدينا وبقرارات من أفراد تحكموا بمصير العالم ليصنعوا حربًا عالمية ثالثة يعلمون أنها لن تُبقي ولن تذر بينما هم يدعون أنهم دعاة السلام؛ لم يعد هنالك من أمل ولا بصيص ضوء للخلاص لأهل الأرض غير ذؤابة

شمعة محترقة ينبعث ضيها من سَمِّ ٱلْخِيَاطِ أن يزيح الله الهم من عنده ويهدى المتناحرين، أو ينصر الفئة –والتى كانت كل فرقة متيقنة من أنها هى– التى على الحق المبين.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

وكأن شروق الشمس من مغربها بالحدث المهين تواصل الزحف بعدها وكأن مايحدث لهو ولعب،
زوبعة في فنجان لن تلبث إلا أن تزول كسابقتها!
﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
أما بعدها فما كان..
يستحقه أصحاب النسيان الذين لم يُعملوا الجنان، ولم يتفكروا بما كان وبعلامات ودروس الزمان، المبعوثة رأسًا من الرحمن للذين لا يتذكرون حتى أنهم أصبحوا لا يتذكرون أهم حقًا ينسون أم أنهم يتناسون!

*****

ظهر نفر بأرض الشام، تحديدًا في درعا بالقرب من منطقة الجيوش، مغطى الرأس مدثر الوجه كأنه يُخفي ملامحه، واصل سيره الحثيث المُجد إلى المنطقة العسكرية.

وما إن مثل بين يدي من بيده الأمر قال جملة واحدة عاد وزاد بتكرارها كلما سأله أحدهم عما يريد حيث كان يردد نفس الإجابة لكل الأسئلة..

«أريد مقابلة الإمام المهدي، عندي معلومات تهمه لن أذكرها إلا أمامه».

حار كل من استجوبه بأمره وبمظهره، ثياب رثة لا تدل على جنسية معينة، وجه محترق بكثير من مواضعه، اقتضاب بالكلام وعدم اكتراث بأي شيء، ولا حتى التلويح بالتعذيب.

حتى وصل خبره للمهدي فسارع بالأمر بمثوله بين يديه حتى يتبين ما هنالك..

وقد كان.

أمر المهدي الحرس أن يحلوا وثاقه ففعلوا، وفور أن خلع غطاء رأسه بعدها حتى حار المهدي بمظهره..

شيء ما بوجهه بدا مألوفًا!

إلا أن هذه الحروق حجبت ما تبين أنه مألوف من وجهه فزادته غموضًا.

- قال المهدي وهو يضيق عينيه محاولًا تبين كنهه:

من أنت؟

- ألا تعرفني يا مولانا!

- تفكر المهدي بالصوت ولكنه تعجب حين أدرك صاحبه وقال بذهو

خالد!

- نعم مولانا، بشحمه ولحمه

- ولكن أين كنت كل ذلك؟!

- كنت بالجنة ونعيمها

- أنت تكذب يا خالد، حكى لى محمود رحم....

، قطع كلامه إشفاقًا عليه من أن يخبره بمقتل والده ثم واصل قائلاً

إن الدجال أوردك الجنة ومعروفًا أن جنته نارٌ وناره جنة

أولًا سيدى ليس بدجال، ثانيًا هو ربى يثيبنى بالجنة إن أحسنت ويعاقبني

بالنار إن أخطأت، ثالثًا حكاية جنته نارًا وناره جنة هذه ما هى إلا أحاديث

مهرطقين دعك منها..

أورأيت بأم عينك؟!

وأقول لك صدقًا أني كنت بالجنة الموعودة وما حُرِّقتَ إلا لخروجي

لمقابلتك، فالجنة نعمة يستحق الخارج منها عذاب الحريق وقد استحملت

ولا أبالي لأجل هدف أسمى

- لم يصدق المهدي حرفًا مما قال، وقد ملأه الغضب من وصفة مهرطقين التي ذكرها خالد بحديثه ولكنه آثر أن يسايره حتى يعلم خبيئته فقال بهدوء مصطنع:
- ولماذا اخترت العودة؟!

- لأجلك
- لأجلي أنا؟!
- نعم ولأجل أختي فاطمة
- عقد حاجبيه وقال وقد خفق قلبه خفقة موجعة لذكر سيرتها:
- فاطمة!! لقد ذكر لي محمود أنها..
- أنها..

- توفيت..
- قلها لا تخشى شيئًا أنا أعلم كل شيء..

- ثم سكت لحظة عاود بعدها الكلام ليقول بخبث:
- بداية من فاطمة وحتى موت أو بالأحرى مقتل محمود والدي

- تعجب المهدي وقد خاله لا يدري مقتل والده المأساوي وردد:
- أو تدري بموت محمود؟!

- كست ملامحة نظرة شيطانية وهو يجيبه قائلًا:

بالتأكيد أدري، فالقاتل لا بد أن يكون أول من يدري

- قاتل! ماذا تعني؟!

- ضحك ضحكة تليق بشيطان ليكمل الصورة وقال:

أعنى أني من قتله

- بحدة قال متعجبًا:

قتلته، لِمَ؟!

- ببساطة لأن مولاي أمرني بذلك، ولأنه كان غبيًا، كان يريد معاداة من لا قِبَلَ له به..

كان يتحدى العظيم ذاته

- قال بحدة:

لا عظيم إلا الله

- أعرض عن كلامه ثم تابع حديثه الأول بتلقائية كأن لم يخوضوا بمقال

محمود فقال:

فلا مولانا فاطمة لم تتوفَّ، كانت محجوزة بمُلك مولاي

- تقصد الدجال

- أقولها لك للمرة الثانية مولاي ليس دجالًا، مولاي هو المخلص العظيم

- وأنا أذكرك بها ثانيةً لا عظيم إلا الله يا خالد

- ضحك باستهتار وقال:

دعنا من هذا الجدال السفسطائى، المهم أنا أحمل لك هذه الرسالة، فاطمة حية تُرزق، وأنا أعرض عليك وللمرة الثانية الوصل معها، أنا أعلم أنك تريد الزواج منها وأنا بصفتي وليها حاليًا أُعلمك أني موافق، فها قد نلت مرادك، فأؤمر تُطاع

- قال وهو يعلم الإجابة مسبقًا:

وما المقابل؟

- المقابل معروف، تترك الحروب والجيوش وهذا العالم الكاذب، فأنت

تعلم مسبقًا أنكم لا قِبَلَ لكم بمواجهتنا وأن النتيجة محسومة، وتذهب

لجزيرتك التي تعلمها وتتلقى هديتك..

عروسك الموعود لتعيش رغد الحياة هانئًا بوصل المحبوب دون حروب

وأحمال ثقال..

وبذات الوقت تكون قد حقنت دماء كثيرة ستراق من الطرفين بكلمة

واحدة منك؛ فماذا ترى يا..

يا مولانا؟!

- وسيدك أسيوافق على عرضك

، ثم تبسم وقال وهو يعلم هذا المسلسل الواضح:

المفروض أنك جئتنى من ورائه، فكيف تتيقن أن يعفو عنك بل ويوافق

على عروضك ويباركها!

- اضطرب وجهه ثم قال بتلعثم:

أعلم..كلا..

لا شأن لك بهذا، أنا أدري منك بسيدي، فقط وافق وسوف ترى

- أعطاه ظهره ومشى تجاه كرسيه ثم جلس وقال بهدوء:

هل حقًا سيدك بهذه السذاجة؟!

أترك رسالة كلفني بها الله، وأترك أمة وضعت ثقتها بي بعد المولى عز

وهل لأركن إلى دنيا زائلة وأثق بمن لا عهد له وأرضى بوصل لفانٍ أستبدله بوصل الحي الذي لا يموت!

- اسمع يا مو.....

- بعصبية قاطعه قائلًا بنبرة حادة:

اسمع انت..

سوف أبقي على حياتك صونًا للعشرة

ولروح أبيك رحمه الله والتي واحسرتاه لم تصنها أنت، اذهب عليك لعنة الله، ولا تريني وجهك ثانيةً أبدًا، وإلا فالويل لك؛ وأبلغ دجالك أن نهايته حتمية كولوج الليل بعد النهار وأنها قد قرُبت ودانت، وأنه لو كان آخر يوم بعمري لنجهزن عليه ولنخلص البشرية منه، وأبلغه أيضًا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون..

، ثم ويأعلى صوته أمره معنفًا قال:

اذهب

- نظر إليه وهمس مبتسمًا وهو يتراجع للخلف وينحني في حركة مسرحية:

سمعًا وطاعة يا إمام

*****

ليس لها من دون الله كاشفة!

باليوم الموعود استعدت جيوش العرب تخلفها داعمة من ورائها جيوش الصين والسوفييت والهنود، حانت اللحظة الحاسمة التي انتظرها العالم أجمع، لحظة الفصل، لحظة التلاحم..

ليس أي تلاحم كما قد سبق بحروب الأرض، إنه التلاحم الأعظم التلاحم الأكبر، التلاحم الذي سيخلف وراءه فصيلة واحدة تحكم العالم دون نزاع.

كان جيش العرب مجموعًا لجيوش الصين والهند والسوفييت يعادل بالعدد جيوش الدجال فكانت المعركة لتكون متكافئة.

غير أن الدجال علم أن هذا التكافؤ العددى ليس في صالحه حيث أن جنود العرب يطلبون الشهادة كطلب جنوده للمُلك وبذلك وبحسبة بسيطة وجد أن الغلبة للعرب بهذه الروح الاستشهادية.

فتوجه بذاته إلى الصف الخلفى..

ليصنع الثغرة..

المكان الذي علم أنه منه يستطيع تحويل الدفة لصالحه.

كانت جيوش العرب وحلفاؤها ليسوا على ذات الدافع فجيوش العرب كان دافعهم ديني وطني، وجيش الصين والسوفييت والهند كان دافعهم إلى حد ما ليس دينيًا خالصًا فما يزال من لم يدخلوا الإسلام منهم دافعهم سياسي يحدوه الطمع بسيادة العالم أو حتى الحصول على نصيب بالكعكة

القادمة بعد هزيمة سيدة العالم الحالية التي لا تُعطي أية قطعة من كعكتها لأحد، وهي النقطة التي كانت تُحسب لصالح جيوش الدجال التي كان قائدها موحد خلفه.

بينما كان (ليو وى تزى) قائد الجيش الصيني منشغلًا بخيمته في وضع الخطط ومحاولات التوفيق بين رؤيته وخططه وأوامر المهدي، إذ خُيل إليه بخيال شخص يقف بمرمى بؤرته الحمياء، وحيث أنه أمر جنوده بتركه منفردًا وأعطى أوامره الصارمة بعدم قطع خلوته غضب إلا أنه جفل للحظة حين نظر بغتة لبياغت المتسلل، وقد شهق حين وقع بصره على ما رأى.

وهل بالدنيا جمال كهذا؟!

بل هل حتى بالجنة جمال بمسحة كمال كهذا!

لو أن كل حياته بصعابها ومشاكلها وجراحها مقابل لحظة وصل مع هذا الجمال لارتضى عن طيب خاطر.

هيفاء لا ربحلة ولا سبحلة، فَرْعَاءُ شعرها مرسل كشفق مد البصر وكمغيب الشمس لونه، كحيلة، عيناها كزرنوق صاف بيوم شمسه باهرة، طلعتها كطقس مبهج بيوم لبدت سماؤه سحب خفيفة تُظل البشر، ثَرْدَاء مكتنزة الشفتين كرسمة قلب بريشة رسام بارع.

حين تكلمت كاللحن يصب عذوبة ومتعة خالصة بأذنيه صبًا.

تمنى أن تدوم هذه الحالة التي يمر بها والتي لا يدري لها توصيفًا وهذا الصوت الذي يسمعه ولا يصدق ماهيته وحقيقته من زيفه أبد الدهر.

هل يحلم!!

فرك عينيه، خبط وجهه بيده، بل قام بوضع لهب لفافة التبغ التي كان يدخنها بكف يده وقبض عليها عله يكون حلمًا..

وحين لسعته حرارتها تنبه..هذا حق وليس خيال..

لم يكن يهلوس ولا يتخيل.

- قالت ببسمة لا تفارق ثغرها الرشوف:

لا تصدق ما ترى أعلم..

ولكنه حق كنبض قلبك، وملكك كيمينك.

- قال فاغرًا فاه وقد بدأ لعابه يسيل خارجًا:

ملكي أنا؟!!!!

بحياته لم يذب عشقًا لشيء كذوبانه بعشق المرأة، أية امرأة.. كان عبدًا للجنس الآخر..

الجنس الناعم..

عدا العاهرات كان ينفر منهن ويهرب وكأن به مس من شيطان فقد كان مريضًا بالوسواس القهري من العدوى، وهو ما أنقص فرصه مع الجنس الآخر فلم يتسنَّ له كثيرًا إشباع رغباته وتحقيق أحلامه بأرض الواقع حيث

كان كثيرًا ما يتم خذلانه أو يظفر بأنثى دون مستوى طموحاته شكليًا، وكان يعزي ذلك لندبة قبيحة خلفتها آثار الطفولة بوجهه وأيضًا -كما كان عقله يصور له- لافتقاره للوسامة وما يجذب النساء الجميلات بوجه الرجل وقسماته.

أحيانًا كان يعشق الوجه وأخر كان يذوب لرؤيا جسد ممشوق أو حتى وإن كان ممتلئ دون زيادة أو جور.

كان حين يرى ما يشغفه يتيه بمعالم وظروف مكانية يخلقها خياله لنفسه خلقًا فترتعد أوصاله من فرط الحماسة واللذة.. فيقوم بمهاجمة هدفه من الجنس الناعم دون تمييز أو تركيز فيُخذل!

وفجأة دون إنذار يأتيه هذا الجمال الفائق للمعايير، الغير قابل للتوصيف ويقول له ويكل بساطة..

هيت لك.

- قال ومازال خط اللعاب خارجًا من فيه لم ينقطع:

من أنت ومن أين ظهرتِ، وكيف للحرس بالخارج ألا يعترضوا طريقك؟!

- أنا أحلامك، طوع يمينك..أنا رينالي..

رينالي الفارسية..

ومعي المزيد من أحلامك، بل كل أحلامك، وأما حرسك فأنا لا يعيقني ما يستحيل عليكم.

، ودون زيادة شاورت له بإصبعها وقالت بود:
اتبعني وستفهم

ثم استدارت ومشت الهوينى أمامه خارجة من باب الخيمة مستعرضة إمكانياتها المغرية بمهارة المحنك واقتدار العارف، فتبعها مهرولًا بشغف ملؤه وشوّش على باقي انفعالاته حتى صار كالمسحور يُقاد إلى حيث أراد ساحره.

تبعها فما إن خطت قدمه خارج الخيمة حتى تسارعت ضربات قلبه حتى كاد ليتوقف من فرط السعادة والانفعال، لو كان ليتمنى ما كان ليتمنى أكثر مما يراه بأم عينيه ويعيشه واقعًا مجسدًا.

أكثر من مائة أنثى عرايا الصدور يقفن أمامه يُحطن به في نصف دائرة من الجمال الصاف والإغراء غير القابل للمقاومة.

على شاكلة (رينالى) كن جميعهن على ذات المستوى من الإبهار الجمالي والجسدي.

- قال باندهاش أقرب للخبال وقد طار لبه حين رأى النهود الكواعب النافرة:

أين أنا؟!

أمتُّ وذهبت للجنة أم ماذا؟!

- ضحكت رينالي ورددت:

بل أنت بالدنيا، الدنيا الحلوة النضرة، تتمتع بسلطانك ونفوذك وجواريك اللائى ينتظرن إشارة من بنانك

- قال بدهشة:

أنا؟!

- نعم أنت

- ولم؟!

- أمر صغير يصدر منك فتنعم بعدها ولا يعكر صفوك مكدر مع جيلاتك

- وما هو هذا الأمر؟!

- استدارت لتواجهه فتخفي عن ناظريه كل الجميلات فحاول أن ينظرهم من خلفها إلا أنها ثبتت وجهه بيديها ليواجه وجهها مباشرة

قالت متعمدة أن تلفح أنفاسها وجهه:

أؤمر جيشك بالتراجع والانفصال عن الجيش العربي

- شعر بكهرباء تسري بجسده لتحط شهوته أرضًا بعد أن كانت وصلت لذروتها كاستجابة لأنفاسها المثيرة فقال كالمصعوق وهو يحاول إبعاد نفسه عنها:

ماذا تقولين؟!

- قالت وهي تثبته بقوة -عجب لها- أمامها بنفس موضعه:

كما سمعت

- لا أستطيع

- لم؟

- هذا عصيان أمر من الممكن أن أعدم نتيجة له

- ومن يستطيع إعدامك ونحن معك!

- ومن أنتم؟!

- نحن الذين وصلنا إليك دون أن يلحظنا جنودك، نحن الذين نقف معك الآن بهذه الصحراء الجرداء وحجبنا عن ناظريك جنودك من حولك وحجبنا عن نظرهم إياك..

، ضحكت وهي تقول:

فهل لك منهم من سبيل وهل لهم إليك من وصل؟!

- ما أفهم من كلامك أنكِ تحاولين إبلاغي أنكن إما ساحرات أو....

- بدون أو، نحن لسنا بساحرات ولا تشغل بالك بكينونتنا

- أنتم لستم بشرًا، ما هذه الخلقة ولا الجمال ولا الأفعال لبشر

- قلت لك لا تشغل بالك بكينونتنا

- يجب أن أفهم، ثم ماذا إذا لم أقبل عرضكم؟

- سكتت هنيهة وهي تتأمله باسمة ثم قالت بهدوء:

إذن لتفهم..

كما قلت لك أنا رينالي الفارسية..

يقولون عني أني سلطانة الجمال والفتنة والسحر، وقصري ببلاد ما وراء النهرين؛ وإذا رفضت فأعلم أني لم أظهر لرجل إلا وعاشرته ثم قتلته، إلا أنت فلك مني الأمان إلا إذا رفضته

- تسارعت دقات قلبه واضطربت وتيرتها وسيطر على كل أحاسيسه إحساس الخوف وقال بتلعثم:

بالطبع أقبل الأمان ولكن ماذا إذا رفضت أن أؤمر جيشي بالانفصال عن الجيش العربي!

- ضحكت ضحكة شيطانية تتنافى مع جمالها وقالت:
بيساطة هكذا تكون رفضت الأمان، والاختيار لك

- ولكن رئيسي والصين و...

- قاطعته قائلة:
انس كل ذلك، أنت من الآن إما معي ومع جواريك الحسان أو بقبرك

ثم سكتت عن الكلام وبدأ وجهها يتخذ شكل الليث بأنيابه وشواربه وخطمه وتبدل صوتها تدريجيًا لزئير وهي تلفظ:
أنا رينالي الفارسية..
لم أظهر لرجل إلا وعاشرته ثم قتلته..

، ثم تردد صدى صوتها واضحًا جليًا بأذنيه زاده رهبة ورعبًا على رعبه:
إلا وعاشرته ثم قتلته..
عاشرته ثم قتلته..

ملأ سمعه صوت زئير خلعه، حسبه كصوت ألف غضنفر مجتمعين وتمنى أن يرجع هذا الوجه لسابق عهده منذ لحظة.

على بعد أمتار من بقعة غير مرئية كان الدجال يرقب ذلك ضاحكًا ساخرًا وهو يولى وجهه ونظره تجاه موقع آخر..

موقع الجيش الهندي..

حيث لم يكن (اجاي ديباك) قائد القوات الهندية بأسعد حال من نظيره الصيني، فقد كان خارجًا من مقر قيادته ليتعثر بشيء أمامه فيقع على وجهه، ليفاجأ حين رفع بصره أن الأرض جميعًا من حوله قد تحولت لوادي من الذهب والجواهر النفيسة؛ وكأنه دخل بعالم للحكايات المصورة كل الرمال من حوله قد تحولت للذهب يلمع تحت ضوء الشمس، ليتكرر مشهد فرك العين ولطم الخدود للتيقن والتبين والتنبه للفرق بين الواقع والخيال أو الهلاوس ويتكرر مشهد ضحك الدجال من خلفية خافية.

وكان الأغرب ل (اجاي) أن جنوده اختفوا وكأنهم تبخروا أو تحولوا لهذا الذهب لا أثر لهم من حوله.

تلفت (اجاي) يمنة ويسرة ليقع بصره على رجل غريب المظهر مريب، يتقدم نحوه بخطوات واثقة تعلو وجهه ابتسامة فاترة، لم يرتح كثيرًا لهيئته ولا طلعته إلا أنه قدر أنه لا يوجد غيره ليستفسر منه عما هنالك!

- أنت يا هذا، ما الذي يحدث وما هذا وأين جنودي والجيوش، ومن أنت ملامحك ليست هندية هل أنت عربي؟!

- بنفس الابتسامة الفاترة جاوبه:

يحدث أني أحقق لك أحلامك، ألست تهوى جمع الثروات والأموال،

فاجمع ما شئت وقدر ما تحمل خزائنك فكل هذا لك، أما من أنا؛ فأنا (ظام بن دنهش)

- ماذا ابن من؟!

هذا الاسم ليس عربيًا فأنا أميز أسماءهم، وبالطبع ليس هنديًا ولكنك تتحدث الهندية بطلاقة فكيف؟!

- لا تهتم بكينونتي الآن المهم ما أريده منك

وكما طلبت (رينالى) من (ليو وى تزى) طلب هو من (آجاي) أن يُسرح جيشه ويتخلف عن مناصرة جيوش العرب.

وحين رفض (آجاي) رغم ولعه بالثروات حل الليل فجأة ليحل محل النهار وتحول (ظام) في ومضة إلى قط أسود قبيح كبير الحجم بدأ يدور حول (آجاي) الذي لم يكن عقله قد بدأ بالاستيعاب بعد لما يحدث أمامه.

- قال بصوت شيطاني ارتعدت له أوصال آجاي:

ترفض، هل تعتقد أن من يُخفي عنك جيشك ويملأ لك الأرض ذهبًا وثروات بغمضة عين بغير قادرًا على أخذ روحك بلحظة!

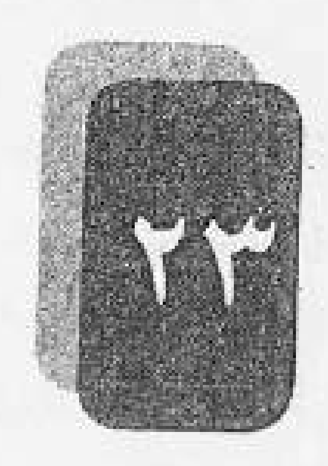
تعقل يا هذا وقارن بين النعيم الذي ينتظرك وبين مصيرك المأساوي أنت وكل أفراد عائلتك إذا رفضت.

وحين وافق (آجاي) وهو يبكي كالنساء من رعبه، ومن بعده قائد

الجيش السوفييتي الذي تكرر معه ذات التخويف والإرهاب والإجبار هو الآخر، شعر الدجال بنشوة النصر كما لم يشعر بها من قبل، انكشف ظهير الجيش العربي وأصبح تعدادهم لا يتعدى ثُلث تعداد جيوش الدجال، وقد شعر أن إبادتهم دانت ولاحت بصنائعه بشائرها.

ليس لها من دون الله كاشفة!

*****



﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾

(الأنفال: ١٧)

لنا الله في علاه
يكشف البلوى ومن سواه

يتركنا ما ظننا حاشاه
فؤادنا سليم كما سواه

ولمن أعياه مكر العدا بدنياه
صبرًا فمكر الله دواء وجاه

من ظن الضعف فينا شيطانه عماه
لن يسوغ الله للشيطان مشتهاه

إنه لوعد بقرآننا عشناه
ستبر ما علوا نغشاه

*****

وَعَدُونَا في الذُلُ يَوْمَ قَرِيبٌ لَسَوْفَ يَسْتَكِينَ
وَتَتَبَدَلُ الأَدْوَارُ أَنْ نُرْجَعَ لِلرَّبِ مهطعينَ

*****

كانت الأيام التي يحياها آريئيل موشيه بصومعته أغرب أيام حياته وأشدها تقلبًا في أحاسيسه ومشاعره فمن النقم والسخط إلى الرضا والسلام ومن الحيرة إلى التيقن ومن السعادة إلى الإحباط..

دارت أيامه ولياليه هكذا من حال إلى حال دونما دورة زمنية محددة لذلك بل ودونما أي سابق إنذار.

احتار بأمر نفسه وأمر ربه والديانات والكتب السماوية وتفسيراتها، أطلق لحيته وصار لا يهتم بمظهر ولا ملبس ولا مأكل، أصابه اكتئاب حاد وفقد الرغبة في الحياة حتى أنه أصبح لا يشعر بجوع لأيام متتالية ولولا العم يهوشع لنسي حتى اطعام نفسه ليقوتها ولهلك لقلة تغذية جسده باحتياجاته الأساسية.

وكان قد سمع من يهوشع الكثير والمثير عن تقلب الأحوال بالخارج والسجال المتبادل بين الطرفين المتناحرين، إلا أنه شعر أنه لا يؤيد أيًا من الطرفين بل إنه غذّا هذا الشعور داخله ونأى عن عمد وهو يتفكر داخل نفسه أن لم لا نترك النتيجة تحسم أي الطرفين على الحق المبين وساعتها تكون قضية الفصل تُحل من ذاتها وتكون النتيجة إتباع الفرقة الغالبة دون تكبد عناء التفكر المرير زيادة عما عانيت!

نعم يكفي هذا ولننعم ببعض الراحة وليكن ما يكون..

فنحن بالانتظار.

ثم كان أنه تمدد وأغمض عينيه وسرح بخياله أن لا وقفة من هذا الرقاد إلا حين النهاية وليكن ما يكون.

*****

يقال إن الأطفال دون الإدراك، والحيوانات يشاهدون ما لا يستطيع البشر العاديون رؤيته من كائنات خلق الله الذين وُضع بيننا وبينهم الحُجب.

ولكن لكل قاعدة شواذ..

فالصالحون أيضًا لهم كرامات!!

فقد قيل أنهم رأوهم..

رأوهم رؤيا العين.

بعد أن انكشف ظهير الجيش العربي، انخفضت الروح المعنوية للجنود للقاع ولامست الصفر بل وانحدرت عنه، أصبح تعدادهم لا يضاهي ثلث تعداد جيوش الدجال أو يقل.

وزاد من الطين بلة الحكايات والأساطير التي تواترت بين صفوف الجيش العربي عن سبب هروب الجيوش الأخرى، حكايات من الواقع زاد عليها تهويل الشائعات المعتاد فضخمها ألف مرة وإن كانت لم تحتج إلى هذا التهويل والتضخيم؛ فالحقيقة وحدها كانت مخيفة كالحكايات المرعبة للجدات العجائز بمنتصف الليالى الشتوية العتمة.

لم يمهل الدجال المهدي أي وقت، حتى لا يجمع شتات جنده أو حتى ليخطب فيهم فيرتفع بمعنوياتهم كما يفعل دائمًا.

بل عاجله بالهجوم..

هجوم مباغت من الخلف ومن الأمام بكل قواه وكل جيوشه ليطوقه ويحاصره كالمطرقة والسندان..

حتى جيش إسرائيل الذي كان يدلله خرج به هذه المرة وأشركه بالملحمة..

بل وزاد بكل جيوش الجن والشياطين من أعوانه؛ لم يدخر جهدًا أو قوة إلا واستعملها وأشركها.

على الجانب الأخر بصفوف العرب ورغم انحطاط النفسيات أسفل سافلين..

إلا أنهم وحين رأوا المهدي وبذاته يخرج وعلى رأس القوات المهاجمة عزيزًا متوكلًا شامخًا شجاعًا مقدامًا جسورًا لا يخشى إلا الله، لم يألوا إلا أن بذلوا كل المستطاع وكل الجهد لمحاربة خوفهم وتوكلوا على الله راجين إياه أن لا يخذلهم ولو بمعركة صغيرة وسط الملحمة الكبرى.

وقف المهدي على رأس الجيش وهو يرى تقدم الجيوش الجرارة للدجال تجاههم ولدهشته فقد شعر هذه المرة بثقة بالنصر أكثر من سابقتها رغم قلة عددهم.

أخرج سيفه (المنصور) من غمده وأداره بالهواء بحرفية عالية اكتسبها من تدريباته مع العاهل السعودي رحمة الله، ثم شاور بحسامه تجاه الجيوش الزاحفة أمامه وقالها مدوية طويلة بأعلى صوت لتُسمع كل المجاهدين من خلفه:

الله أكبر..

حي على الفلاح..

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

- فانتفضت القوات من خلفه بصوت كالرعد:

الله أكبر

الله أكبر

ليبدأ العدو بخيولهم تجاه صفوف العدو وقد انتفض عنهم كل خوف وزال ليحل محله شعور بالقوة والعزة غير قابل للزعزعة، وما هي إلا دقائق حتى بدأ الالتحام ليعطي إشارة البدء للملحمة..

ملحمة النهاية..

ملحمة العدم.

*****

قبل ذلك بينما كان الداخل الإسرائيلي منهمك بالتحضير لدخول جيشه لأول مرة بحرب حقيقية منذ العام ١٩٧٣، كان (حاييم اشمعون) قد نفد صبره تمامًا مما يفعله (نداف هرئيل) رئيس الشاباك ومنافسه الذي طالما اعتبره عدوه اللدود، نفد صبره حتى أنه بدأ يخطط بينه وبين نفسه كيف يتخلص من هذا اللزج الذي فرض نفسه عليه وعظَّمَ دوره ليطغى على الكل ويسيطر، وكان شعور حاييم الداخلي أن الأيام المقبلة ستتشكل وتحدد دور الأفراد بعد ذلك في الدولة الإسرائيلية العظمى التي ستسيطر على العالم أجمع بلا منازع ودون أقنعة هذه المرة تحت زعامة المسيا المخلص المظفر اعتبارًا لما سيكون..

شيء كالنازية التي كان يريد هتلر تعميمها وفرضها على العالم لكن تحت شعار الصهيونية الديموقراطية هذه المرة؛ ولذلك فقد أراد وتشبعت إرادته

بشعور ضرورة إزاحة (نداف) المنافس الوحيد الأقوى منه عن الساحة نهائيًا وإلى الأبد.

*****

لا شك أن المشهد كان عنيفًا لمن يراه..

جيوش من كل حدب وصوب تلتحم بآن واحد ليصير أكبر تكتل بشري حدث ببقعة من الأرض يومًا، مركزه درعا بسوريا، بينما جيوش العرب محاصرة بالوسط..

بوسط مركز التجمع يحوطها جيوش الدجال من جميع الجهات.

هذا المشهد الذي لطالما انتظره الدجال وأعوانه بفارغ الصبر عبر العصور والأزمنة المختلفة، بل ولطالما خططوا له وحشدوا قدر إمكانهم.

وقد كان لهم ما أرادوا دون نقصان..

جيوش جرارة تفوق أعدادها بمراحل جيوش العرب جمعاء.

ولكنهم رأوهم..

رأوهم رؤية العين!

حين بدأ الحصار يشتد والتحويط من جميع الجوانب يأخذ مداه، بدأ الغوث والمدد يأتي هو الآخر دونما تأخير..

إذ بينما جنود الجيش العربي يتعاركون دفاعًا عن أرواحهم والفرد منهم

يصارع ثلاثة أو يزيد بحكم العدد، تراءى للكل بالجيش العربي وبآنٍ واحد أن فردًا ممن يقاتلونهم يُرفع إلى السماء من قدمه مقلوبًا بسرعة وهو يصرخ، كأن طائرًا عملاقًا غير مرئي كطائر الرخ الأسطوري قد خطفه بغتةً من مكانه على الأرض خطفًا؛ وبينما هو في علٍ إذ يُترك ليرتطم جسده بالأرض فيتحطم ويموت!

أما من فسر هذا المشهد لاحقًا فكان المهدي ونفرٌ من جيشه..

الصالحين ذوي الكرامات..

الذين رأوهم رؤي العين..

فقد رأوا أن من يخطف جنود عدوهم كانوا كأنهم نورٌ يتجسد بشكل لم يستطيعوا تحديده تحديدًا قاطعًا..

وكانت خلاصة ما ذكروا أنهم يشبهون إلى حد ما الشكل البشري ولكنهم أضخم كثيرًا ويشع منهم نورًا محببًا للنفس ولكل منهم جناحان عظيمان ووجه كأنه النعيم، كانوا يخطفون عدوهم من أمامهم وهم يتبسمون بوجه من يستطيع رؤياهم من البشر ابتسامة جعلتهم يتمنون الشهادة عاجلًا وليس آجلًا حتى يهنأوا بما ينتظرهم.

وكالعادة وقف الدجال من بعيد يرقب جيوشه وهي تتساوى عددًا بجيوش العرب بعد تدخل جند ربه رب العالمين، وقف يكاد يموت كمدًا وحسرة على ما يشاهده ويعايشه، وكل جزء منه يبكي حرقةً ويصرخ لوعةً دونما صوت أو اختلاجة بملامحه.

وطفق يفكر فيما كانت مجهوداته وما فائدة مساعيه؟!

صال وجال ودبر وخطط ومكر..

ولكنه نسي خير الماكرين في زمرة ما تناساه.

وبينما ما تزال ملامحه جامدة ندت عنه رغمًا عنه ولأول مرة دمعة ساخنة انحدرت على خده فشعر بلفحة حرارتها فتنبه لأن عينه تذرف الدمع كباقي البشر، ولم يكن يعلم أن ذاك قابلًا للحدوث فهو يرى أنه إله أو هو للآلهة أقرب..فكيف يحدث هذا؟!

وللحظة شعر بضعف لم يختبره آنفًا وعايش انكسار مساواته بالبشر في أن تجرى عليه مجريات الأمور وأن يكون مفعولًا به لا فاعلًا!

وكالمصائب التي لا تأتي فرادى ما كان لضعف أن يأتي دون باقي المشاعر المصاحبة والملازمة من إنهزام ويأس وقنوط ورهبة..

و..

وخوف..!

ولأول مرة أيضًا منذ خَلْقِهِ يستشعر الخوف..

استشعره حتى شعر بإحباط شديد زاد قنوطه حتى كاد يصرخ من فرط الهلع!

ففزع إلى أن جيوشه قد يرونه بهذه الحالة فتضيع كل جهوده هباءً وتذهب أدراج الرياح؛ فتراجع بلمح البصر لآخر الصفوف وهو يتوارى عن الأنظار ثم استدار مبتعدًا في محاولة بائسة لتهدئة روع نفسه ومحو جزعها.

وبعد جهد جهيد استطاع أن يملك زمام أموره ثانية وطار مستكشفًا الوضع الحالي، فوجد أن جيوشه أصبح تعدادها يقارب جيش العرب أو يزيد شيئًا يسيرًا.

فطفق يرقب أية ثغرة ينفذ منها للقضاء على خصومه.

وبينما هو يرقب المهدي إذ وجد جواره فارسًا باسلًا يفت في عضد جيوشه حقًا مما حرّقه غيظًا، وما كان هذا الفارس إلا (اليزن بن عمار)، فنزل من السماء وتوجه فورًا إلى (السامرائي) الذي كان يحوطه نفرٌ من الحرس الإسرائيلي كما أمر (نوعام) قبلًا يدافعون عنه دونما استبسال منه يُذكر.

- جذبه من ملابسه وسحبه من وسط حرسه الذين تسمروا حين وجدوا المخلص ذات نفسه وسطهم يجر السامرائي كما تُجر البهائم والأنعام وصاح به:

ماذا تفعل يا ابن الأنجاس؟؟

أين دورك الذي اتفقت عليه مع (نوعام)

، كاد يفتح فيه ليرد وما إن حرك شفتيه حتى عاجله الدجال صارخًا:

أيها القواد الخائن..

اعتقدتَ حقًا أنك ملك سيتم تتويجه فيحاط بحراس شخصيين يدافعون عنه؟!

هيا أيها المغفل الجبان اذهب إلى اليزن فشُقَ رأسه نصفين حتى أكافئك

مُلكًا تتبختر به وتختال وتحيط نفسك بعدها بحراس شخصيين، أما الآن فأنت كلب عندي حتى تنفذ اتفاقك، أم حسبت أننا نمزح؟!

اذهب واقتله أو قتلتك أنا بنفسي.

ثم ركله ركلة وثبت به إلى قرب اليزن والذي لم يلمحه، فتسلل من خلفه كالفئران وأوصاله ترتعد من أن يلتفت فيلمحه، واستل خنجرًا من جانبه وشهره ناويًا غرزه بظهر (اليزن) بذات اللحظة التي كان يُسدَد فيها إليه هو من زاوية لا يراها سهمًا مسمومًا أُعِدَ خصيصًا ليُرشق بقلبه..

ارتفعت يده عاليًا لتُغمد الخنجر بظهر اليزن بالتزامن مع انطلاق السهم الموجه إليه..

وكان السهم الموجه إليه أسرع من الخنجر بيده..

اخترق السهم صدره ليقع أرضًا وسط ذهوله وعدم تصديقه، فينظر تجاه المكان الذي أتى منه السهم فيرى قاتله ليجده شابًا شديد البنيان بمنتصف الثلاثينيات من عمره، ضحك بسخرية حين تلاقت عيونهم ثم بتهكم أدى له التحية العسكرية وأعطاه ظهره مغادرًا، فتحامل (السامرائي) على نفسه وقذفه بلحظتها بالخنجر الذي كان بيده بدلًا من أن يقتل به اليزن..

ليصيب هدفه بظهر قاتله الذي استدار ينظر تجاه السامرائي ومازال الضحكة الساخرة مسيطرة على ملامح وجهه ليخر صريعًا في الحال، بعدها أخرج (السامرائي) السهم بصعوبة من صدره ورماه بجانبه أرضًا، ثم التفت لينظر لليزن شاعرًا بغيظ عارم يجتاح روحه التي تأبى الرجوع للحق حتى بآخر لحظاتها قبيل خروجها، فتدفعه لاستلال خنجرًا آخرًا بجعبته ويحاول

أن يسدد هدفه بظهر (اليزن) وما إن أطلقه حتى وجد صدرًا قام باعتراض مسار الخنجر ليستقر به بدلًا من ظهر (اليزن) والذي تنبه أخيرًا بعد أن لامس ظهره جسدًا يقع وشعر بوزنه فإلتفت ليجده (مصعب أركان) كبير الباوران قد تلقى خنجرًا بصدره.

بالبداية لم يفهم أن مصعبًا تلقى الخنجر بدلًا عنه ثم حين نظر ووجد (السامرائي) أمامه فهم كل شيء بغتة.

ودون أن يضيع ثانية واحدة توجه بسيفه تجاه (السامرائي) وقد خشي أن يموت قبل أن ينفذ وعده به لابن عمه وثأره..

- فطن (السامرائي) لكيفية نهايته فضحك بصوت عالٍ لم يُسمع وسط ضجيج المعركة وارتسمت على وجهه ابتسامة سخرية تناقي ما يعلم أنه ملاقيه بالتو واللحظة وقال كلمته التي لطالما كان يرددها محدثًا نفسه بها كشيعي يستشعر النهاية:

كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء!!

رفع (اليزن) سيفه عاليًا وهو لا يكترث لضحك (السامرائي) ونزل به على رقبة الأخير ليفصل رأسه عن جسده، فتقع الرأس أرضًا متدحرجة تجاه جثة الشاب الثلاثيني والذي رمى صاحب الرأس بسهم منذ قليل، لتستقر بالنهاية رأس السامرائي بوضعية وكأنها تنظر لوجه جثة الشاب وقد

كانت الابتسامة الساخرة ماتزال مرتسمة على ملامح الوجهين فكأنما كانا يسخران من طريقة موت كلٍّ منهما.

-- توجه اليزن تجاه مصعب وهو متلهف عليه وحط أرضًا بجواره ثم رفع رأسه ليضعها على ركبته وقال بصوت متهدج:
أخذت الخنجر بصدرك عوضًا عني

- قال مصعب غير مكترث بما قاله اليزن وكأنه لم يسمعه:
هلا تقولها وتريحني بها قبل موتي..
أرجوك

- قال وقد فطن إلى مغزاه:
سامحتك يا مصعب..
سامحتك مذ حينها ولكن كان يصعب عليَّ قولها قبل أن آخذ بثأر البغدادي

-- ودون زيادة قال (مصعب) بأريحية:
الحمدلله

جذب مصعب رأس اليزن تجاهه فقبل جبينه ثم أدار رأسه بيديه لتواجه أذن مصعب فمه وطفق بصوت متهدج يشرح له السيناريو الذي حدث والذي شاهده منذ بدايته وكيف أنه لم يستطع إنقاذه أول مرة لبعده عنه وكيف أن هذا الشاب الميت هو من أنقذه بالمرة الأولى بأن أطلق سهمًا على السامرائي قبيل مجيئه، فشعر اليزن بفضول لمعرفة هوية الشاب الذي أطلق السهم ليصيب السامرائي؛ فذهب لجثته وحركها حتى بانت سلسة الجنود المعلقة بصدره والتي يُعلق بها بطاقة هوية حديدية يكتب عليها بيانات الجندي، فاستكشفها:

الاسم: افيخاى إيتن

الرتبة: רס בר (راف سيرن) (رائد)

تعجب اليزن أن جنديًا إسرائيليًا كان يدافع عن روحه هو شخصيًا..

ومن أين له أن يدري أنه كان مأمورًا من رئيس الوزراء (نوعام ايتان) نفسه..

ليس بالدفاع عنه بالطبع..

وإنما بقتل (السامرائي) قبل أن يعتلي الجيش العراقي وتقوى شوكته!!

تركه (اليزن) ورجع ليحمل مصعب الذي وجده يرفع يده عاليًا ويلفظ الشهادة وهو يشير بإصبعه علامة التوحيد، ثم ما لبث أن لفظ نفسه الأخير وسقطت يده بجواره، وسط مشاعر مختلطة عصفت بصدر (اليزن) وعبرة

ندت عنه لتوها وهو يقول:

سبحان من له الدوام..

لا نزكي على الله أحدا، نحسبك عنده من الشهداء الأبرار..

*****

مَا لعربى أنْ يَستَكِينُ لذُلٍ وَالمَوْلَى رَاعِينَا

*****

بمدينة (هانجشو) الصينية، تحديدًا قصر الرئاسة، استيقظ الرئيس الصيني (وانغ جين تاو) على أصوات هرج ومرج خارج حجرته، بالبدء اعتقد أن الأصوات آتية من ناحية الباب ثم تنبه حين بدأ يستفيق ويدرك بعد لحظات أنها آتية من تجاه الشرفة.

هرول بمنامته يستطلع ما هنالك وبعين نصف مفتوحة من أثر الشمس بعد خروجه من ظلمة غرفته رأى تجمعًا من الجنود الحرس والموظفين وعمال القصر يحيطون بالبوابة الرئيسية..

لم يستطع تبين فيا ضجيجهم وجلبتهم بؤبؤا عينيه اللذان تقاصا يستعصيان على الانفراج أمام ضوء الشمس المبهر، فنادى على حرسه ليأتوا مهرولين.

– صاح حانقًا متبرمًا:

ماذا هنالك؟!

- فأتاه الجواب متلعثمًا مضطربًا غير كاملًا:
وجدنا ما ترى يا سيدي معلقًا هكذا..
دون أن نرى من وضعه هكذا..
بهذه الوضعية هذه..
لا ندري!!

ثم أشار بيده تجاه البوابة فنظر الرئيس الصيني تجاه موضع إشارته ليتبين هذه المرة سبب جلبتهم وتجمعهم والتلعثم بلسان محدثه؛ فما لبث أن فغر فاه مشدوهًا لما تبينه وهو يتعجب كيف لم يره أول ما نظر فهو واضح وضوح الشمس؛ فهناك وعلى بُعد أمتار منه كان معلقًا على قمة البوابة، تقطر منه الدماء شحيحة دليل على حداثة الحدث وتعجب كيف لحرس القصر لم يروا من وضعه هنالك، فبالتأكيد لم يتعد وضعه دقائق معدودة مادام مايزال يقطر دمًا..

- دقق النظر ثانية وتملى في التمحيص ليتأكد مما يعاين، ثم تمتم داخل نفسه الحزينة المنكسرة الخائفة الزائغة الثائرة الحانقة:
من غيره يجرؤ أن يفعل هكذا فعلةً؟؟
هذا الدجال يتحداني..
يقتله؟!
بل ويُعلقه لي على بوابتي؟!

، ثم صاح غير مصدقٍ وهو يخبط كفًا بكف:

أوصلت لهذا الحد؟!!

(ليو وى تزى) قائد جيوشي!

ومن أين كان له أن يدري أن رينالي الفارسية (الجنية بارعة الجمال) والتي ظهرت لقائد جيشه آنفًا هي من فعلت هذه الفعلة، بعد أن وافق على ما أمرها به الدجال من أمر انسحاب الجيش الصيني من دعم الجيوش العربية، وبعد أن أعطته الأمان وتخيل بسذاجة أنه سينعم مدى الحياة مع الجميلات الكواعب عاريات الصدور.

*****

بالمثل تكرر المشهد مع الرئيسين الروسي والهندى كما حدث بذات التفاصيل مع الرئيس الصينى.

وكما كانت ردة فعل الرئيس الصيني كانت أيضًا ردة فعل مثيليه الهندي والروسي..

فقد اختاروا أن ينزلوا بأنفسهم على رأس جيوشهم..

وهذه المرة بكامل جيوشهم لمواجهة خطر الجيوش الزاحفة التي وإن انتصرت على العرب فسيكون دورهم القادم تباعًا دون هوادة، وستنتقم منهم الجيوش المظفرة شر انتقام وتكون شوكتهم قد قويت بامتلاكهم بلاد العرب، ولذلك فقد ارتأوا أن عودتهم لساحة المعركة إجبارًا وليس اختيارًا

فهي معركة بقاء وحرب عالمية ثالثة لا يصح فيها التهاون أو التواكل أو الخذلان.

وقد تبع الجيوش في مسارها بعد أن وصله أخبار زحفها للانضمام للجيش العربى..

(الدلاى لاما) مع نفر من جنده المتواضع.

*****



﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾

(البقرة: ٢٥٨)

ما إن جنَّ الليل على المتقاتلين من الجانبين حتى تباعدوا تلقائيًا وهم يُصرون ما بين بعضهم البعض ويتراجعون بظهورهم وعيونهم مرتقبة لقاتليهم من أمامهم وقد بلغ التعب والإعياء منهم مبلغه، وكأن هذه هدنة غير معلنة بين الطرفين ظلوا يتراجعون كل في اتجاهه حتى صاروا بمنأى عن بعضهم البعض فتساقطوا على الأرض طلبًا للراحة غير مكترثين بالجثث من حولهم.

وفي جانب الدجال وأعوانه ظهر من يتلحف وجهه بعمامة يخفيه بها، توجه رأسًا للدجال غير عابئ بغضبته الظاهرة لمن حوله..

- قال بلهجة بدا فيها التمرد:
سيدي، ما هذا الذي حدث؟!!

- نظر له الدجال وقد استشعر منه ما بداخله وبوهن قال:
اذهب الآن يا خالد، ولنتحدث لاحقًا

- لن أبرح مكاني حتى تجيبني عمّا جئتك به

- ماذا تريد؟!

- من هؤلاء الذين رأيناهم يناصرون جيش المهدي؟!
- هؤلاء جند من جنود ربهم

- قال باستنكار:

ربهم؟!

أولست أنت بجبار السموات والأرض؟!

- بُهِتَ ولأول مرة يستشعر أنه قليل الحيلة لا يدري حقًا بما يجيبه فقال

اسمع يا خالد..

هل تدري لم اخترتك لدورك من البداية..

أعني لمَ أنت بالذات دونًا عن غيرك!

- لمَ يا عظيم؟!

- ببساطة لأنك سيصير بينك وبين المهدي نسبًا، وإن أنا فشلت في

مساعي فلتكملها أنت وتكون معك ورقة ضغط تستعملها حين

يصير لها حاجه

- قال بتعجب:

أنا لا أفهم أي شيء، كيف تفشل في مساعيك يا كبير ولا كبير غيرك؟!

وعن أي نسب تتحدث؟!

الم تحرق فاطمة ووالدتي معها كما قلت لي بعد أن رفض المهدي عرضي آخر مرة؟!

- صبرًا يا هذا ولا تتعجل واستمع لما أقول..
حين يأتي دورك سيكون كبيرًا..
إني وإن لم يبق لي على ظهرها من وقت وانتهى دوري سيأتي تباعًا دورك أنت..
نعم أنت ولا تتعجب..
وإني لمستخلفك على جبارين يأتون من بعدي لن يبقوا ولن يذروا..
فأحسن القيادة كما علمتك وكن حكيمًا قويًا..
وسدد وقت التسديد ولا تمشي وراء عاطفتك فتندم

- أية عاطفة؟! وماذا أسدد؟!

- قلت لك لا تتعجل، وقلت لك احفظ عني، فهل وعيت؟

- نعم سيدي، ولكن ما لي هذه المرة أستشعر منك الوهن وما عهدته عليك من قبل وما أراه يليق بك، وكيف تقول لي أن دوري من بعدك، كيف بعدك مولاي وأنت من أنت؟!

- أنا لست بواهنٍ يا خالد، ولكن أنا أُحكِمَ خططي فلا أريد ترك شيء
للظروف والاحتمالات، ولا تخشى شيئًا فحتى من بعدي ستشعر بقوة
لم تتخيلها

- أنا لا أفهم أي شيء

- قريبًا ستفهم، فقد اقترب الميعاد..

، ثم نظر تجاه السماء وقال:
اقترب جدًا

وبحركة خاطفه اتجه ناحية خالد فاحتضنه وانتقل به انيًا بلمح البصر
ليصيرا بالمنطقة الفارغة بين الجيشين، في مواجهة المهدي مباشرة والذي كان
يجلس بصفوف جيوشه الأولى، ذُهل الجميع وتحفزوا وهبوا لأسلحتهم
يلتقطونها مفزوعين وهم يحوطون بالمهدي وسط دائرة مغلقة من الرجال
يحمونه بأجسادهم

- فتبسم الدجال لفزعتهم وقال:
لا تخافوا لا أنوي بإمامكم شرًا، فقط أفسحوا فُسحة ليرى، معي شيئًا
يهمه

وقف المهدي وأزاحهم من أمامه ليصير هو والدجال على بعد أمتار من بعضهما البعض

- قال وهو يتفرس ملامحه القميئة:
ماذا تريد يا عدو الله؟!

- أنا لا أريد، أنت من تريد

ثم إنه بسط يده عن يساره فبرزت من العدم ناره التي صدر عنها صوتين ميزهم المهدي وخالد دونًا عن بقية الحاضرين، ولدهشة المهدي فقد قذفت النار خارجها فاطمة وأمها نجوى..
ارتميتا على الأرض أمام المهدي الذي فوجع بهما بعد أن ظن موتهما، ثم مالبث المهدي والقوم من حوله أن مدوا لهن يد العون يعاونهن على النهوض.

- قالت نجوى وهي تنظر تجاه خالد وقد بدأت تبكي وقد ميزته رغم غطاء رأسه ورغم الحروق:
يا بني ارجع معنا ولا تكونن مع الهالكين، إن هو إلا الدجال وقد كنت وأختك بناره التي هي جنة وأنت دخلت جنته وآثارها على وجهك

لم يمهلها الدجال وأمسك بيد خالد وعاد أدراجه وكما جاء ذهب،

ليترك نجوى تبكي وفاطمة ذاهلة لا تستوعب ما يحدث وقد فاتها الكثير من الأحداث.

- اقترب القرشي من نجوى وفي مخيلته قد شبه عليه كلامها مع ولدها بموقف سيدنا نوح مع ولده حين علا الجبل ليعصمه من الماء وعصى والده وقال لها:

هوني عليك، إن الله متم أمره وهو وحده يهدي من يشاء وقد يكون عملاً غير صالح

- على الجانب الآخر حين عاد الدجال أدراجه عاتبه خالد حيث قال:

لم يا سيدي تركت له فاطمة، هو يحبها، كان من السهل أن نضغط بها عليه أن يسلم

- نظر له الدجال نظرة اشمئزاز وقال:

يسلم لنا، إنه إمام المسلمين يا جاهل ومهديهم، ألم تُخبر عن إرادة هؤلاء المسلمين وإيمانهم، الفرد منهم يبيع روحه بكل رضا مقابل دينه، فهل تظن بإمامهم أن يسلم لأجل إرجاع امرأة يحب..

إن أختك دورها هناك على الجانب الآخر وليس ها هنا..

فقد أعطيت مهديهم سببًا ليتشبث بالحياة، هذا إن كان سيفعل!

وهذا جُل ما نستطيع فعله مع شخص كهذا.

*****

بهت نداف هرئيل رئيس الشاباك حين وجد حاييم بمكتبه..
فقد كان جالسًا بمكتبه حين أبلغته سكرتيرته الخاصة أن حاييم اشمعون رئيس جهاز الموساد يريد مقابلته.
تعجب كثيرًا وتساءل داخله ما الذي يمكن أن يحضره هكذا ودون سابق ميعاد!

إلا أنه لم يجعله ينتظر وأدخله من فوره ليس لشيء إلا أن الفضول كان سيقتله ليعلم فيما يريده هذا الأخرق!

- أهلًا سيد/ حاييم تفضل

- أهلًا بك نداف، أعذرني لمجيء المفاجئ

- قال بلهجة وضح فيها النفاق الاجتماعي الذي لم يحاول تغليفه ليواريه فظهر صريحًا صارخًا كنفاق اجتماعي صرف:
لا تقل ذلك يا رجل، فنحن جهاز واحد تستطيع المجيء وقتما تشاء

- دون مقدمات، لا أخفيك خبرًا فأنت تعلم أن الدولة الآن تمر بأقصى حالات اللادولة نظرًا لظروفنا العصيبة، وأن ثلاثة أرباع الجيش أو يزيد خارج البلاد بالحرب مع المسيا..

إلى جانب الثورة المزمعة!

- كل ذلك أعلمه يا حاييم، حاول الإيجاز فوقتي ضيق كما تعلم

- سأوجز لا تقلق، المهم أنني علمت أن نوعام رئيس وزرائنا ينوى
استغلال حالة تراخي الدولة لعمل تغيرات جذرية داخل الحكوم
كعمليات تصفية لكل من يعارضه أو كان له رأي مخالف عنه

- قال له وهو يعتدل بجلسته وقد بدأ الموضوع يجتذبه:
ماذا تعني؟!

- أنا لا أعني شيئًا، فقط خذ حذرك

ثم هب واقفًا كمن لدغه عقرب متجهًا تجاه باب الخروج

- حين استوقفه نداف صائحًا وقال:
حاييم، وما مصلحتك وإن كان ما تقوله هو حق أن تخبرني به؟!
نحن ألد أعداء كما يُقال!

- مصلحتي هي مصلحتك يا نداف، من الجائز أن نكون أعداء كما قلت ولكننا بمركب واحد، أصدقك القول ونوعام هذا قد جن جنونه، إنه يتحول لهتلر جديد..

نازي بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، والهولوكوست هذه المرة من نصيبنا نحن.. أنا وأنت

، ودون أن يعطيه فرصة للرد واصل:

إن أردت تفاصيل فمر عليّ بمكتبي لأريك كل شيء موثق، فلا تنسى أني رئيس المخابرات، ورئيس الوزراء وتسجيلاته ليس خارج دائرة اختصاصاتي..

ثم غمز له بعينه واستدار مغادرًا، تاركًا إياه يهيم بخياله الذي راهن عليه حاييم أنه سيحضره له لباب مكتبه بالموساد لقمة سائغة.

*****

بالأيام التالية بالحرب الدائرة المندلع أتونها، لم يك ثمة ظهور لمخلوقات خارقة أو ظهورات غير عادية كما سبق، فقط حرب بالنهار وهدنة في الليل حتى تعب الطرفين..

وبصبيحة أحد الأيام ومع بزوغ الشمس، بدا أن كفة جيوش الدجال ترجح، حيث شاع خبر انضمام جيش جديد لمجموع جيوشه..

جيش أستراليا والذي كان مُحيدًا حتى هذه اللحظة، ولا يعلم أحد
ما الذي حاده عن حياديته وكيف أقنعه الشيطان بالانحراف عن مسار
والخوض بغمار الملحمة!!

بذاك اليوم كانت الغلبة من نصيب الدجال وجيوشه..
وليلتها كان الاحتفال بين كبار قادة جيوشه احتفالًا خياليًا شمل كل
أنواع المجون المتعارف عليها بين البشر وغير المتعارف عليها أيضًا من قبل
أعوان الدجال من الجن والشياطين.

على الجانب الآخر بصفوف جيش المهدي كانت الروح المعنوية
بالحضيض والاحساس بالهزيمة يُسقي النفوس الآمًا مبرحة من كأس
الأسى والجزع حتى شاع خروج فرقة كبيرة من الجيش كانت تنوي
النكوص وعصيان الأمر وعدم القتال.

مع بداية اليوم التالي وقبيل الخروج للمعركة، قام (سلامة المصري)
الرئيس الفلسطيني باستئذان المهدي في أن يخطب بعموم الجيوش فأذن له

وقف الرئيس الفلسطيني على أعلى منبر وكان كل عدد معين من الأمتار
يقف فرد ينقل عنه ما يقول لباقي الجند أمامه وهكذا حتى يصل ما يقول
لجموع الجيوش.

قال:

بسم الله

وبعد الصلاة والسلام على رسول الله..

قال تعالى في محكم آياته:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

أيها الناس..

إن من عاش لنفسه مات

ومن عاش لدينه ولغيره فللجنة قد فات..

أيها الناس..

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

أيها الناس..

هذه الخطبة ليست قراءة للمستقبل ولا محاولة لقولبة الأوضاع التي نحياها؛

هذه الخطبة هي محض خلط لمفاهيم دينية وخيال عبدٌ من عبيد الله ل
محاولة لإزاحة الغبار عن بعض الحقائق التي نسيتها العقول أو تناستها ل
خضم ظروفنا.

ونحن لا نعادي اليهود كديانة (فنحن لا نعادى أية ديانة سماوية) حاشى
لله، ولكننا نعادي الكيان الصهيوني الذي قلب الأوضاع لتصير الصهيونية
ديانة ولتصبح اليهودية كيانًا بعد أن كانت ديانة.

تلبس الكيان الديانة وتقمصها وتلاشت الديانة لتختفي وراء الكيان.

أيها الناس..

إنكم كنتم لتستمعون بقنوات بثكم الإعلامي المرئي منه والمسموع
ومواقع تواصلكم الاجتماعي عن كل مُفجع عاناه الشعب الفلسطيني من
عدوه الغاشم الذي هو وياللسخرية عدوكم أيضًا..

فتمصمصون الشفاه وتتحسرون ثم تذهب حسراتكم أدراج الرياح مع
أول فقرة إعلانية بعد الخبر أو انقطاع التيار يقطع البث وينهى المشاهدة..

أما نحن..

فكل يوم كان بثًا حيًّا، من قلب الحدث..

كل يوم كان بمثابة مقامرة يمكن أن تفقد فيها أخا أو أبا أو ابنة أو أمًا أو
زوجًا..

أتتذكرون محمد الدرة..

أتتذكرون ياسر عرفات..

أتتذكرون ألوف وألوف غيرهم على مر الأعوام الطوال..

لم نطلب منكم أن ترسلوا لنا جيوشكم وهو ما كان حريٌ بكم أن تفعلوه وليس لمصلحتنا فحسب وإنما لمصلحتكم أيضًا..

ولكنكم لم تفعلوا..

ولم نطلب..

ولم نحزن أو ننسى الأخوة والعروبة جزاءًا وفاقا..

بل على العكس كنا نعتز بعروبتنا ونتباهى بأخوتنا بأي مكان حللنا به.

أعوام طوال وأجيال متلاحقة والوضع على ما هو عليه بل ويزداد من سيء لأسوأ..

عائلات تُزاح بالكراكات ومستوطنات تقام وقصرٍ مشيد..

نساء تُغتصب وأطفال تقتل كذبائح ورجال يُسحلون بالجملة كالخرفان تُسلب كرامتهم قبل أرواحهم..

لا مناص ولا مهرب..

ولا مجيب ولا سند..

ولا مشكلة، حقًا لا مشكلة البتة..

فالكل ساكت فلماذا تَشرد أنت عن القطيع وتغني فرادى..

أيها الناس..

أما الآن، أما ولقد تغير الحال وظهر بالأفق يومكم الذي توعدون..

فإن كنتم تنوون التنازل عن اليوم الموعود والعودة أدراجكم، فأنا ها هنا لن أبرح مكاني ولن أعود..

لن أعود حتى لأن اضطُررت لقتال جيوش الدجال وحدي..

لن أعود.

، ثم سكت لفترة بكى فيها وعلا بكاؤه كأنه شلالًا كان يكتمه فخرج متدافعًا، وواصل وهو يبكي:

لن أعود..

لن أعود للثكلى والأرملة واليتيم ومن فقدت الأخ لن أعود..

لن أعود لهم بخُفي حنين..

لن أعود..

والله لن أعود لمن اغتصبوا زوجته أمام عينيه ولمن قتلوا زوجها ومثلوا بجسده وهي شهيدة تلقى النظر

لن أعود..

ثم علا نحيبه فسكت هنيهة وقد بدأ البعض ممن يسمعونه يبكون خلفه لتنتقل حمى البكاء سريعًا وفي لحظات كان السواد الأعظم منهم يبكي، ثم واصل وهومايزال يبكي:

- أستحلفكم بالله وبمحمد بن عبدالله لا تخذلونا الآن كما خذلتمونا بالسابق..

أستحلفكم بالله وبمحمد بن عبدالله لا تخذلوا إخوانكم ممن فقدوا الأهل والأصحاب وصاروا بأوطانهم رغمًا عنهم أغراب..

لقد كتب الله لنا أن نعود لأوطاننا منتصرين ونتبر ما علوا تتبيرًا أم لبينهم..

أستحلفكم بالله..

، ثم قطع كلامه نوبة بكاء ثانية رغم محاولاته تمالك نفسه وواصل وبكاؤه يعلو ويغطي على كلامه:

وبمحمد بن عبدالله..

لا تخذلونا الآن كما خذلتمونا بالسابق

لا تخذلونا الآن كما خذلتمونا بالسابق

قدسكم ينادي فلا تخذلوه..

واعلموا انكم ملاقوا ربكم، واعلموا أنكم مسؤولون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

حسبنا الله ونعم الوكيل سيؤتينا الله من فضله..
وإنا لله وإنا إليه لراجعون..
واخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

*****

أَنْ نَرْجعَ لِلرَّبِّ مهطعينَ

*****

سجال وكر وفر وهدنات غير معلنة وإحباطات ومعنويات تعلو وتنخفض على الجانبين.

زعم الدجال أنه يوشك على إفناء المسلمين خاصة بعد أن استطاعت جيوشه أن تُرغم جيوش العرب كافة على التراجع والتقهقر حد دمشق فبات القتال داخل العاصمة السورية نفسها، ولم يعقب المهدي، فقط كان جنده يرونه ينظر للسماء كثيرًا وكأنه يناجي ربه دون كلام.

حتى أتى يوم أعلن فيه الدجال أن دول أمريكا الجنوبية جمعاء قد انضمت بقواتها لجيوشه وكان هدفه كالسابق الحط من معنويات خصومه.

بنفس اليوم وقبل الدخول بأية معارك كانت جيوش الصين والهند والاتحاد السوفييتي تحت قيادة زعماء الدول ذات أنفسهم قد وصلت ساحة القتال.

فلقيهم المهدي بترحاب شديد، وعادت روح الجنود المعنوية ترتفع حتى بلغت عنان السماء مرة أخرى.

وقبيل الدخول بالمعركة وقف المهدي بجانب فرسه (الأشهب) قبيل
المارك ليودع فاطمة ويخبرها بمكنون صدره فقال:
اليوم يوم فاصل، قد لا يكون الأخير ولكني أستشعر ذلك، إن شاء الله
وكتب الله لنا العودة وبمجرد أن ندخل قدسنا أعقد قراني عليك لتصير
الفرحة فرحتين، فما رأيك؟

لم تجبه فاطمة كلامًا وإنما أجابته بابتسامة عذبة وأدارت وجهها حياءً!
ثم قالت بعذوبة:
أعادك الله سالمًا للمسلمين أجمعين..
وصحبك بعنايته أينما حللت

*****

بالباب المؤدي لغرفة مكتب حاييم وقف نفر من الجند يفتشون نداف
رئيس رئيس الشاباك في سابقة لم تحدث من قبل قبيل دلوفه إلى داخل مكتب
رئيس الموساد، وهو ما أشعله من داخله وغاظه حتى كاد أن ينفجر، وما إن
دلف للداخل حتى انفجر دون جهد منه لتملك أعصابه.

- صاح بكل حدة:
أجننت يا حاييم؟! أنا تقوم بتفتيشي
- اهدأ وأجلس يا نداف

– لن أهدأ، أنت نسيت من أكون، أم أن عقلك أصابته لوسة

– نداف، لا طائل من هذا الحديث، انتهينا، أنت تعلم أن هذه الأيام ذات إجراءات غير عادية نتيجة الانفلات الأمني الحادث وثورات الربيع اليهودي التي يتشدق بالدعوة إليها شبابنا

– مالي أنا ومال الثورات وهذا الهراء، أنا نداف هرئيل.. رئيس الشاباك ومن يحكم هذه البلاد بالفعل

– ماذا؟! ماذا تفعل؟!

– أنت تعلم دوري الذي لا ينكره حتى نوعام رئيس الوزراء والذي لا يخطو خطوة إلا بإذني فتأتي أنت لتحدثني أن تفتيشي أمر عادي؟!

– أشاح حاييم بيده ثم قال وهو يخرج لفافة تبغ ويشعلها: دعك من هذا الهراء يا نداف واستمع لما أتيت من أجله، فالوضع أصبح متأزمًا ولا بد لنا من صرفة..

ثم إنه لم يعطه فرصة التحدث وواصل:

بالبدء لم أصدق، ثم حدث أن أتتني تسريبات بالصدفة تتحدث عن إنهاء دورنا نحن الاثنين حال الانتهاء من ظروف البلاد..

ثم إنه أخرج جهاز تسجيل صغير وأشعله فأتى صوت نوعام يتحدث لأحدهم قائلًا:

نداف نداف نداف..

نعم نداف هذا كوزير الملك بلعبة الشطرنج..

هو له دور لا ننكره حقًا، ولكن الوزير إذا اعتقد نفسه أنه أصبح أهم من الملك بهذه الحالة يجب إزاحته وإعطاء دوره لأيٍّ يكن، ولكن الذكاء يكمن في أن تأتي حركة إزاحته من طرف الخصم وليس الملك ذاته..

ثم ندت عن نوعام ضحكة عالية بعدها ذات قهقهة تردد صداها طويلًا بأذني نداف بينما كان حاييم يغلق جهاز التسجيل.

- سهم نداف طويلًا فلم يقاطع حاييم وصلة أفكاره ثم قال بشرود:

لأقتلن هذا المجنون المدعو نوعام، من يحسب نفسه؟!

إنه تحت رحمتي داخليًا وبمعنى الكلمة، خاصة بهذه الأيام، وسيرى ماذا أنا فاعل به

- ما إن صمت حتى وجد حاييم يصفق له تصفيقة بطيئة كمن يصفق لأبطال مسرحية على خشبة المسرح، ثم وضع لفافة تبغه بالمنفضة أمامه وقال باسمًا وهو يخرج سلاحه الناري والذي ووجهه تجاه نداف:

الحق أني لا أصفق لك، أنا أصفق لنفسي كمخرج هذا العمل..

فأنت غبي كما كنت دومًا أنعتك يا نداف، فأولًا لا ينبغي أن تدخل جحر الثعبان وأن تترك مخالبك بالخارج أيها الغبي مهما كانت المغريات وللأسف فقد انطلت عليك الحيلة وتركت سلاحك بالخارج بالفعل..

وثانيًا فنوعام لم يقل هذا الكلام عنك حقًا كما سمعته، هذه تسجيلات مختلفة من مرات مختلفة تم جمعها ومنتجتها لتسمع ما قد سمعت

، ثم واصل وهو يضحك ضحكة مستفزة:

أنت تعلم مهنة المونتاج مهنة رائعة حقًا حين يمتهنها الشيطان فقد تشعل الحروب

- تصبب نداف عرقًا ثم قال:

وحتى وإن كان فماذا لديك ليؤخذ علي؟!

فضغط حاييم زر بجواره ليصدح صوت نداف بكل الغرفة عبر مكبرات صوت غير مرئية وهو يقول حديثه السابق عن قتل نوعام.

- قال حاييم بوجه باسم:

سجلت لك كل حرف، الآن صديقى اللدود وكما يقال ما أمنيتك الأخيرة قبل أن أنفذ فيك حكم الإعدام الذي أصدرته بحقك آنفًا

- ستسجن لقتلك إياي

- ضحك ضحكة صفراء ثم أردف:

أسجن لقتل خائن منقلب!

حتمًا أنت تمزح..

على العكس أعتقد نوعام سيكافئنى لقتلك وسأسيطر كما لم أفعل سابقًا، وبالدورة القادمة سأرشح نفسي لرئاسة الوزراء وسأفوز بها نظرًا لعدم وجود غيري على الساحة فأنت كنت منافسي الوحيد الذي ينوي الترشح أمامي، ولا أكذبك خبرًا، فلا ضير من إخبارك حيث أنك بعداد الأموات بعد دقائق..

كنت لتفوز بها يا نداف، والآن فلتودع دنياك إلى اللقاء يا هذا

- باللحظة التالية كان نداف يضع يده بجانبه ليخرج بغتة سلاحًا ناريًا ليصوبه تجاه حاييم بحركة مباغته ليبتسم قائلًا:

كنت أتوقع منك الغدر والخيانة، فالخيانة بدمك، ورجالك من السهل رشوتهم يا حاييم، بحياتى ما رأيت رئيس جهاز مخابرات تُتوقع أفعاله هكذا

ويسهل رشوة رجاله هكذا، لقد أدخلت السلاح لغرفتك بكل يسر وسهولة

كما لم أتوقع..

حقًا خيبت ظني فيك.

ثم مرت بعدها دقائق صمت وتحد، كل منهم ينظر بعين الآخر وهو

يعلم أن التراجع بات من رابع المستحيلات.

- وكانت الجملة الأولى من نصيب نداف الذي قطع الصمت بأن قال:

والآن؟!

لم يرد حاييم، ولم ينتظر منه الرد، فقط عاد الاثنان للصمت ثانية ولكن

هذه المرة كانا يسمعان صوت دقات قلبهما اللذان لم يستمرا طويلًا حيث

توقفا تزامنًا مع صوت الطلقات النارية التي طغى صوتها على مبنى الموساد

فأفزعه.

*****

لا شك أن الجيوش التي انضمت حديثًا للحرب عدلت كفتها لصالح

العرب مرة أخرى، أضف إليهم جيش اليابان ودول أخرى لم تكن تشارك

ولم يدعها أحد ولكنها بعثت بقواتها لتشارك بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة

كجيوش دول شرق آسيا وتركيا التي قررت المشاركة أخيرًا.

بأرض المعركة صمم عدد من رؤساء الدول ممن كان لهم باع بالمبارزة وركوب الخيل بالمشاركة بأنفسهم، رغم ما لاقوه من تحذيرات ونصائح بأن دورهم بالقيادة وليس ساحة القتال ولكنهم أصروا.

وكان منهم الرئيس الصيني الذي أصر على قيادة جيشه بنفسه بالمعركة تحت إمرة المهدي.

وبينما هو يقاتل ببسالة إذ جاءته طعنة من الخلف استدار ليقابل من فعلها بأرة يجسد عليها فإذ به يجد ولده (وانغ جانغ لى) الذي أظهره له الدجال برفقته للحظات حين تراءى له، الذي توفي منذ سنين مضت.

تعجب وذُهل وفتح عينيه عن آخرهما وهو لا يكاد يصدق ما يرى وباللحظة التالية اختفى ولده وقاتله من أمامه، لتخر قواه فجأة فيقع على ركبتيه بذات الوقت الذي أتاه (الدلاى لاما) الذي كان يقاتل بجواره مهرولًا ليسنده من الخلف قبل أن يرتمي على ظهره وهو يتعجب كيف لم يرى من طعنه لا هو ولا الجند حرس الرئيس (وانغ جين تاو).

- قال وهو يجاهد ليخرج الكلمات من فيه:

إنه ولدي، (وانغ جانغ لى) ولدي الميت هو الذي طعنني..

إنني، إنني..

- قال (الدلاى لاما) وهو يحاول إسكاته:

إهدأ يا سيدي إهدأ، ولا تحاول الكلام..

وأعلم أنه ليس بولدك فالأموات لا يعودون أبدًا ومهما حدث..
إنه الشيطان الذي تراءى لك بغرفتك من قبل..
وهذا يفسر عدم رؤيتي لمن طعنك

- قال بجهاد وهو يقرب أذن (الدلاى لاما) من فمه ليُسمعه:
أنا..أنا أريد أن أرى المهدي

وعلى الفور بعث الدلاي لاما في طلب المهدي، والذي لبى الحضور بفترة وجيزة، وما إن رأى الرئيس الصيني المسجى أرضًا حتى جلس بجواره يربت عليه ويحاول طمأنته.

- جذبه (وانغ جين تاو) تجاهه وتكلم بصعوبة بالغة وبلغة عربية ركيكة بعض الشيء فقال:
إن ربك..
ج ج ج جميل

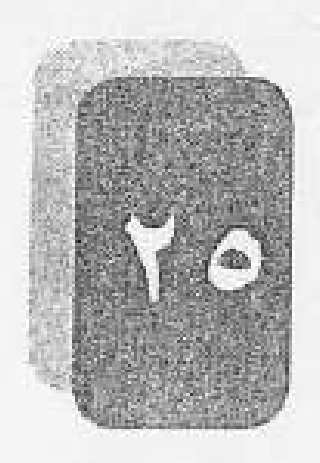
ال الل الل..

- فقال المهدي مكملًا له:
الله

فابتسم ابتسامته الأخيرة في أريحية سيظل أثرها بوجهه إلى ما شاء الله،
وسهمت عيناه بينما روحه تصعد إلى الجميل..

صعدت إلى الله.

*****



أسرار لم تعد كذلك!!

نادى الرئيس الأمريكي على الدجال يستدعيه طلبًا لحضوره، وفى نفس اللحظة والتو ظهر له بالمكتب البيضاوي بالبيت الأبيض وكأنما كان ينتظر نداءه ليظهر

- قال بتجهم:

ماذا تريد؟

- أريد أن أعرف نهاية للوضع المزري الذي أصبحنا نمر به ونحياه الآن

- قال بغضب وتبرم واضحين:

عن أي وضع تتحدث؟

- أتحدث عن كل شيء..

جيوشنا التي تندحر، رجالنا الذين يقتلون بعضهم البعض، المسلمون الذين يتزايد عددهم يومًا بعد يوم حتى هنا بالداخل الأمريكي يوميًا يُسلم المئات إن لم يكن الآلاف..

يوميًا!! فكيف هذا؟!

أين العالم الذي قلت أننا سنحكمه ونملكه؟!

ألم يكن لظهورك وحديثك الأخير باجتماع الغابة البوهيمية بكاليفورنيا غير مدلول واحد أننا سنحكم العالم وقريبًا؟!

سامحني ولكن أعتقد أننا كنا أفضل حالًا من قبلك..

صدقًا أقول فقد كنا نسيطر على العالم أجمع ونديره من خلف ستار كما يحلو لنا فظهرت ليتبدل الحال ويصير كما الآن..

وحقًا إني لأتعجب كيف بحق الرب هذا وقد كنت أنت أملنا ومحور خططنا وألاعيبنا كيف؟!

أين دورك بزعامة العالم وتسيده الذي كانوا يملؤون الدنيا صراخًا حوله، أين؟!

إن....

- قاطعه الدجال وهو ينظر له باشمئزاز مخلوط بغضب جلّي زاد هذه المرة إلى حد أخاف محدثه ليردف حانقًا:

أنت أغبى مما كنت أظن..

ولا أدري كيف وضعوك على رأس أقوى دولة بالعالم!

أتُحضرني لأجل هكذا تفاهات بعقلك الخرف ولتعطيني هذه المحاضرة أيها الجوييم! لأؤدبنك ولو بعد حين.

من تظن أنه اخترع اجتماع الغابة البوهيمية لزعماء العالم السنوى هذا الذي تتشدق به الآن كأنه انجازك، حيث تقدسون فيه الوثن وتذبحون فيه الإله؟!

ليجدد العهد ويعلو بالهمم ويحث على المواصلة مهما طال الأمد..؟!

، ثم ضحك ضحكة صفراء وأردف:

ومن تظن أنه بعث بالصحفي (أليكس جونز) ليصور ما يحدث بالداخل وينشره للعالم كله؟!

هل حقًا ظننت أنه الجنرال (بيتر تووم) وزير دفاعك الأبله..

صحيح وعلى ذكر بيتر، أوتدري أين هو الآن؟!

- اندهش أيما اندهاش لهذا السؤال الأبله ثم عقب مردفًا:

بيتر!!

بيتر تووم وزير الدفاع الذي صفيناه؟!

- وكأنه لم يسمعه بل وكأنه لم يسأله من الأساس سؤاله الأخير، واصل حديثه الأول قائلًا وهو يبتسم بتهكم:

عيب عليك من موقعك هذا أن تعتقد أن هذا الصحفي قد دخل اجتماع الغابة البوهيمية بخدعة، هذا كلام نشيعه للعامة ليصدقوه أما أنا وأنت فنعلم جيدًا كيف يتم تأمين حدث كهذا فلا يصح لك تصديق ما يشاع، يجب أن تتيقن أن هذا ترتيب سيدك..

أنا يا معتوه لأسرب للعالم صورة مبهمة مخيفة عن كياننا وكينونتنا قبيل إعلان ظهوري فيكونوا على استعداد نفسي لإتباعي نابعًا من هيبتهم مني.

من تظن أنه جعل الحاخامات يؤلفون التلمود، والكابالا التي افتروا على موسى أنها كلام الله شفاهة معه، ومن تظن أنه جعل الاثنين يعلو على التوراه ذاتها علوًا كبيرا!

من تظن أنه ألهم تيودور هرتزل ببروتوكولات حكماء صهيون ومن سرب نسخة منها لتقع بيد الروسي (سيرجي نيلوس) لينشرها للعالم أجمع بعدها بكتاب يحمل نفس الاسم، بل من ألهمه هذا الاسم برأيك؟!

ثم من تعتقد أنه صفاه وقتله حتى نكتسب المهابة والهالة التي تحيطنا الآن بأن كل من يحاول فتش سرنا تتم تصفيته؟!

وأيضًا من برأيك أوعز بعدها وجند علماء من داخل فريق أعدائنا لهم وزنهم وثقلهم العلمي ليدحضوا فكرة البروتوكولات نفسها التي نشرناها، وينفون تمامًا نظرية المؤامرة لتصير بلبلة وشقاق وتخبط بين صفوفهم وداخل جنبات بيتهم الواحد فيتصدع ويئن فيُهدم ذاتيًا من الداخل؟!

نظرية فرق تسد يا أرعن.

من تظن أنه وضع الثروة والذهب بيد ١٣ عائلة تحكم العالم!!

كعائلة روتشيلد التي تمتلك نصف ثروات العالم بثروة تتعدى التريليون دولار..

(وعائلات بروس وميديشي وكندي وهانوفر وهاسبورج وكروب وبلانتاجنت وفيللر ورومانوف وكلان سينكلار ووربرج ويندسور)

ثم وظفهم بعد ذلك لخدمة وطننا الأم إسرائيل بأدوار كبيرة عالمية..

سأذكر لك أمثلة منها كالبارون والتر روتشيلد الذي كان هو المبعوث الذي قدمت إليه الحكومة البريطانية وعد بلفور الخاص بإنشاء وطن خاص لليهود في فلسطين.

و جيمس يعقوب روتشيلد والذي كان من أكبر الداعمين للوطن الإسرائيلي، الذي كان يقوم بمنح ٥٠٠ ألف فرنك سويسري سنويًا للاتحاد الإسرائيلي العالمي نيابةً عن اليهود الشرقيين، ووالد جيمس الذي كان راعٍ لأول مستوطنة يهودية في فلسطين قبل أن تصبح رسميًا إسرائيل، وغيرهم الكثير والكثير.

البنوك..

والقروض والفوائد والربى والمضاربات وهذه الحلقة المفرغه، من الذي إخترعها برأيك!

وامتلاكنا لمعظم أسهم البنوك المركزية بأغلب دول العالم..

بل (بنك التسويات الدولية) الذي هو على رأس كل بنوك العالم المركزية ينسق فيما بينها والذي لذلك يلقب (بنك البنوك المركزية) ويضم حاليًا ٦٠ بنك مركزي يمثلون دول متعددة من مختلف أقطاب العالم ويشكلون معًا حوالي ٩٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، هو ملكية خاصة لعائلة روتشيلد أيضًا يا ابله..

إنك الآن تستطيع القول ببساطة أن معظم بنوك العالم إن لم يكن كلها ملكية خاصة لنا..

الإعلام..

بكل فروعه ووسائله، وأنت بالذات تحفظ ذلك عن ظهر قلب وتعلم جيدًا تقدمنا بهذا المجال وما نملكه..

يكفينا هوليوود وما تصنعه وما نشرناه من فكر الانحلال الأخلاقي والسفور الجنسي بين شبابهم، ومن إفك وحبكات مغايرة لواقع التاريخ الغابر وما حدث..

فبلادك يا هذا تظهر وكأنها حامي الحمى دائمًا وأبدا..

هل رأيت فيلمًا واحدًا تُهزم فيه أمريكا أو إسرائيل؟!

حتى حين يكون العالم على شفا الإندثار أو يمر بكارثة ما تهدد الكون كله فبلادك هي التي تنقذه ودون شريك..

هل نصنع أفلام عن ملاحم العرب وفتوحاتهم شرقًا وغربًا أو عن أنهم أصحاب العقول والعلوم الأولى التي استقينا ونهلنا منها جُل حضاراتنا؟!

هل نصنع من الهنود الحمر الذين أبدناهم أبطالًا أصحاب حق بوجه غاصب معتدٍ كما كانوا حقًا وأنت تعلم هذا، أم نجعلهم بربر همج قطعنا دابرهم جزاءًا وفاقا!

والشركات..

كشركات السلاح على مستوى العالم

شركة (كولت) الأشهر بمجالها لصناعة المسدسات، تملكها حاليًا (مجموعة زيلخا للاستثمار) التابعة لأسرة زيلخا اليهودية، أيضًا شركة (سيغ

ساور) الألمانية لصناعة الأسلحة يترأسها اليهودي رون كوهين وغيرهم داخل إسرائيل.

شركات الأغذية والوجبات السريعة بأسمائها العالمية..

والمنتشرة بكل بقاع الأرض والتي لا يوجد شخص على وجه البسيطه إلا وتعامل معها وإستهلك منتجاتها..

، ثم شاور بإصبعه تجاهه وواصل وهو يضيق عينيه:

وأنت شخصيًا مدمن لها أم نسيت المشروبات الغازية والتي رغم نصيحة الأطباء لك بعدم تناولها إلا أنك لا تستطيع منعها، ومطاعم الوجبات السريعة التي يدمنها أولادك شخصيًا

، أدار له ظهره وهو يتمشى بالغرفة وتابع وهو يداعب أزرار حاسوب شخصي وُضعَ على مكتبه:

شركات الإلكترونيات والبرمجيات والتي لم تخرج من أيدينا لغيرنا..

فاليهودي الأمريكي أندرو غروف هو مؤسس شركة أنتل الشهيرة للإلكترونيات، واليهودي الأمريكي لاري إليسون هو مدير ومؤسس شركة أوراكل للبرمجيات، واليهودي الأمريكي مايكل ديل هو مؤسس والمدير التنفيذي لشركة ديل لإنتاج الحواسيب المحمولة، واليهودي الأمريكي سيرجي برين هو المؤسس المشترك لشركة جوجل الشهيرة.

، سكت هنيهة ثم استطرد:

أعود بك بالتاريخ للوراء..

من تظن أنه أوقع الدولة العثمانية التي كانت ستغزو العالم لو تُركت أكثر من ذلك، من تظن أنه كاد للإسلام وكيل له الضربات المتالية وجعله يعود غريبًا كما بدأ غريبًا، وجعله مرادف لمعنى كلمة إرهاب؟

من تظن أنه اخترع وهم مذابح الهولوكوست التي ألصقناها جورًا بهتلر وهو منها برئ براءة الذئب من دم بن يعقوب، قلنا أننا حُرق منا اثناعشر ملايين بهذه المحارق ثم عدلنا العدد لستة ملايين فقط بعد أن كُشف أن تعدادنا جميعًا بأوروبا كلها لم يكن يجاوز الثمانية ملايين، والحقيقة أن جُل من كانوا ساعتها بالسجون الألمانية من اليهود لا يتعدى الالاف!

ثم من ألف وأخرج حوار عصبة الأمم التي صارت الأمم المتحدة..

، ثم وبسخرية تهكمية ردد:

والتي يخرج سكرتيرها كثيرًا ليعرب عن قلقه إزاء الأحداث الراهنة بمنطقة الشرق الأوسط؟!

ومن أوعز برأيك بالحروب العالمية الأولى والثانية والثالثة التي نحياها الآن!

بل وبالثورات أيضًا بداية من التي يتشدق بها كل ثوار العالم الثورة

الفرنسية، ثم الأمريكية والبلشفية الروسية وحتى ثورات الربيع العربى..

نحن من نستغل الظروف ونؤجج النار لتصير جميع الدروب وتتجمع كل الخيوط بطريق واحد..

طريق مصلحتنا.

كل هذا وأكثر كان دورى أنا يا أبله من وراء ستار ومن خلال ظهورات مختلفة خلال التاريخ لا تدري أنت عنها شيئًا..

هل سمعت عن الآلهة بعل وست وسوتخ؟!

هل سمعت عن سامري قوم موسى؟!

معنى كلمة سامري بلغتهم (الغريب)..كنت أنا ذاك الغريب الذي صنعهم العجل الذي له خوار ليعبدونه ويكفروا بإلههم..

وغيرهم ممن لا يستوعبهم عقلك المحدود.

ثم تأتي أنت بالنهاية تأخذ كل ذاك الترتيب وكل هذه الخطط والعمل الدؤوب المنظم على مر التاريخ جاهزًا يؤتي أكله حقًا لتقول لي..

أين دورك!

أتدرى..

العيب في العرب أنهم لا يعون التاريخ حتى لا يعوون تاريخهم هم أنفسهم، بل إنهم لا يقرأون التاريخ على الإطلاق!!

أما أنت فما حجتك لجهلك!
حقًا لأعرفنك مقامك ولكن لتنتظر وقتك معي
ولأعدك وعدًا أنك ستكون عبرتي لمن لا يعتبر فقد أنقصتني قدري ولم تقدرني حق مكانتي، وإنك لتنافقنا وتحسب نفسك أذكى من الجميع، تظهر بوجه وتضمر لنا داخلك كل إحتقار ولا أدري لماذا رغم كل ما قدمناه لك؟!

نسيت أنك دمية بأيدينا ولعبت بعقلك الأماني،
ونسيت أني أستطيع سبر أغوارك وقراءة ما بداخل عقلك

، وباللحظة التالية تحول أمامه لشكله المهيب ثم اقترب من وجهه وقال بصوت شيطاني جعل فكيه يصطكا سويًا من الرعب:
ستندم أيها النزق على استخفافك بي..

، ثم قام الدجال بتقليد نبرة صوت الرئيس حرفيًا وهو يردد على مسامعه:
- أنا أرى وأسمع هلاوس
هل لك أن تتخيل رئيس أكبر دولة بالعالم يهلوس
، أتدري حجم مصيبتي لو عُلم الخبر!

بُهت الرئيس الأمريكي وجفل..
علم أن هذا حديثه مع بيتر تووم وزير دفاعه المُغتال فكيف علمه هذا المسيا فقد كان قبل ظهوره؟!

، ثم وبضحكة ذات مغزى واصل الدجال:
وأولادي سيهتمو بك حتى أفرغ لك..
كن مستعدًا لهم ولي من بعدهم

ثم ندت عنه ضحكة مجلجلة تردي صداها بأرجاء المكان وكما ظهر اختفى وتركه يضرب أخماس بأسداس.

ليتركه وحيدًا يفكر كيف أنه تسرع فيما قاله ويندم عليه أشد ندم بينما الخوف مما سيفعله به الدجال حين يفرغ له يتأكله من داخله كالدود ينهش جسده،

خاصة وأنه نعته (بالجوييم) ببداية حديثه وهو يعلم ويعى تمامًا دلالة ذاك اللفظ عندهم من أنهم يعتبرون الجوييم حيوانات يحل فيهم القتل والذبح فهم ليسوا بشرًا وأن اليهود فقط هم بنوا الإنسان!

وهو مايفسر نظرية (داروين) اليهودي عن النشأة الحيوانية للإنسان!

وزاد قلقه ذكره لحديثه السرى مع بيتر توم قبل وفاته، كيف علمه، من المؤكد أنه لن يغفر له، ولكن لماذا تركه بعدها دون عقاب فورى؟!

واستمر فترة من الزمن هكذا لم يدر لها حسابًا تتصيده هواجسه حتى لمح ساعة حائطه بطرف عينه فوجد أنه قد مر عليه ساعتين من عمر الزمان على هذا الحال، وقد كان أمر مساعده بأن لا يزعجه أحد فتعجب لوتيرة الوقت المتسارعة المحمومة هذه، ثم طفق يفكر فيما سيفعل واستغرق بالتفكير حتى حانت منه التفاتة مرة أخرى للساعة ليجد أنه قد مر ثلاث ساعات أخرى

فصعق وفزع وقفز كالملسوع من على كرسيه وهو لا يصدق عينيه متوجهًا تجاه الساعة، وقام بفرك عينيه ثم نظر مرة أخرى ليجد ذات القراءة..

فبات يزرع غرفة المكتب جيئةً وذهابًا وهو يضع يديه على رأسه مذهولًا بينما تراوده وتطارده فكرة واحدة..

هذا الدجال أو المسيا أو أيا يكن قد لحنه..

نعم حط عليه لعنته وقضى الأمر ولتؤول نهايته مجنونًا مجذوبًا أو أنه سيحرقه أو يعذبه أو أيا كان ما سيفعله به من هذا القبيل.

وأن يا للهول!

*****

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾

*****

لن يسوغ الله للشيطان مشتهاه

*****

بالليلة الموعودة بعد قتال أنهك العالم أجمع، وبعد مجاعات باتت وشيكة تهدد الجميع لندرة الزارعين والعاملين..

ظهرت بادرة أمل

- توجه اللواء الجمصي ببشر وسعادة عارمين وقال بعد أن حيا المهدي والرئيس السوري اللذان كانا جالسان سويًا:

قوات وجيوش الدجال قاطبة تنسحب لداخل الحدود الفلسطينية..

المسماة عندهم بإسرائيل!!

دون مقدمات أو أسباب جلية غير الهجمات والإغارات المتتالية الشرسة من جانب الجيوش العربية وحلفائها والتي قمنا بها بعد أن استطاعوا دحض وزحزحة قواتنا لداخل العاصمة دمشق

- قام المهدي من مجلسه وردد مبتسمًا:

الله أكبر..

وكأني والله أرى النصر بعيني

- تبعه الرئيس السوري الذي هب واقفًا هو الآخر وقال وقد علت وجهه ابتسامة عريضة:

نستحقه والله..

فلقد بذلنا كل عزيز ومازلنا ورجعنا إلى الله

- قال الجمصي وقد تبدلت ملامح وجهه فجأة:

ولكن أخشى أن يكون بالأمر خديعة، أنتم تعلمون اليهود وألاعيبهم

- قال المهدي وهو يوجه ناظريه للجمعي:

ليس بالأمر خديعة، ولكن ليست المجمات والإغارات وحدها هي السبب

، ثم توجه ببصره للسماء وقال وكأنه يسبح بملكوت آخر ليزيدهم حيرة:

لقد إقترب

، ثم سكت هنيهة ليردف قائلًا:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

*****



عليه السلام!

عند المنارة البيضاء شرقي دمشق..

كان ميعاده..

نزل..

ساندًا يديه على جناحي ملكين هبط من السماء مكتسيًا بمهرودتين..

لمن كان يراه وقتها وكأن نجم حط من سمائه متيممًا أرضنا، وهج ونور وضياء ما بعده ضياء، وكأن الشمس طلحت قبل موعدها وقررت النزول للأرض بدلًا من غمرها بالنور.

هبط من السماء مباشرة متوجهًا قبيل صلاة الفجر للمسجد حيث اجتمع المؤمنون ليصلوا خلف المهدي.

وما إن دلف إلى داخل المسجد حتى ارتج إرتجاجًا شديدًا، ففزع الناس إليه ليجدوا أبهى ما رأت عيونهم.

- تقدم المهدي نحوه مهرولًا وقال سائلًا وقد كان يتوقعه:

المسيح، روح الله وكلمته؟!

طأطأ المسيح رأسه علامة أن نعم فقطَرَ، وَإِذَ يَرفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنهُ جُمَانٌ كَاللُّؤلُؤِ وعلا وجهه البهاء متبسمًا لحفيد أحمد الذي بشر به.

ضج المسجد بالتكبير والتهليل والحمد بينما رجع المهدي إلى الخلف القهقرى ليدع الإمامة لروح الله وكلمته، فيدفعه المسيح برفق بين كتفيه

مـرادفًا أن أكمل فقد جئت تابعًا لأخي محمد، تقدم فصل، فإنها لك أقيمت.

فتقدم المهدي وامّ الناس بصلاة طالت قدر ما طالت لكن لم يشعر بنصب من طولها فردًا، بل كان لسان حالهم ينطق بأن أزد يا إمام المسلمين فإن لها لحلاوة وإن عليها لطلاوة.

وما أن فرغوا من الصلاة وسلموا حتى شاور المسيح تجاه أحد أبواب المسجد المغلقة طالبًا فتحه، فما كادوا يفتحونه حتى وجدوا الدجال خارجه.

كان يكيد للعرب كما توقع اللواء/ الجمصي، يسحب قواته للداخل الفلسطيني بينما هو بذاته مع قوات أخري يتحرك لينصب كمينًا لهم، كان يستشعر نزول المسيح الحق ولكنه لم يكن يعلم الميعاد.

وما إن رآه وما إن اشتم ريحه الطيبة وفوجئ بوجوده حتى صُعق وفزع وترك جنده وطار محلقًا هاربًا لا يدري بم يحتمي من روح الله التي كانت قاب قوسين أو أدنى منه.

وتبعه جنده مرعوبين مشدوهين وقد رأوا مسياهم بهذا الفزع، فتاهوا في الأرض كما تاه أجدادهم من قبلهم في محاولتهم الزحف خلفه مهرولين في فوضوية وهرجلة جعلتهم كالبهائم أو أشد.

*****

دفعه دافع خفي ليطلب من معاونيه أن يرتبوا له جولة بتمثال الحرية الواقع بجزيرة الحرية على خليج نيويورك، كان يفكر بجولة على جسر «غولدن غيت بريدج».

(Golden gate bridge)

في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا الأميركية، لكنه تراجع عن ذلك نظرًا لبعده وعدم توافر وسائل مواصلات مناسبة بعد إنقطاع الطاقة وأيضًا لما يحمله الاسم الآخر المصطلح للجسر (جسر الانتحار) من مدلول نفساني قد يؤثر بعقله الذي كان يشعر بالفترة الأخيرة أنه ليس بكامل قواه، بل وتستهويه الفكرة أيضًا..

فكرة الانتحار.

وصل لتمثال الحرية والذي يعتبر ممثل للديموقراطية أو الفكر الليبرالي الحر، والذي هو عبارة عن سيدة تحررت للتو من قيود الاستبداد التي ألقيت عند إحدى قدميها، وتمسك بيدها اليمني شعلة ترمز إلى الحرية، بينما تحمل في يدها اليسري كتابا نقش عليه بأحرف رومانية

«٤ يوليو ١٧٧٦» وهو تاريخ إعلان الاستقلال الأمريكي، أما على رأسها فهي ترتدي تاجًا مكونًا من ٧ أسنة تمثل أشعة ترمز إلى البحار السبع أو القارات السبع الموجودة في العالم.

وحين وصل طلب من مرافقيه أن يتركوه وحيدًا وأن ينتظروا على مسافة منه ففعلوا، وتقدم هو حتى شد إنتباهه لوحة (إيما موسي لازاروس)

(Emma Lazarus)

الشاعرة الأمريكية-اليهودية والتي كان أشهر أعمالها قصيدة التمثال الجديد (The New Colossus)

والتي ألفتها عام ١٨٨٣م في إطار جهود جمع التبرعات لبناء قاعدة تمثال الحرية.

وكانت رائدة مهمة للصهيونية حتى قبل اختراع المصطلح نفسه..

حيث كانت هي من أسس المعهد الفني العبري في نيويورك وناضلت كثيرًا لتكون فلسطين هي الوطن لليهود واستخدمت كل امكانياتها

واتصالاتها في سبيل هذه القضية، وذلك قبل بدء إستخدام تيودور هرتزل الألماني لتعبير الصهيونية بثلاثة عشر سنة.

تم حفر كلماتها على لوح من البرونز لتوضع في مدخل قاعدة التمثال في عام ١٩٠٣م - أي بعد عشرون عاما من كتابة هذه القصيدة وستة عشر عاما من وفاتها.

- قرأ صامتًا حتى وصل للجزء الأخير فبدأ يردد بصوت مسموع ما كتبته الشاعرة للوافدين الجدد للبلاد من على اللوحة أمامه عاقدًا حاجبيه في حزن ممزوج بغضب وسخرية مستترة:

"Give me your tired, your poor,

Your huddled masses yearning to breathe free,

The wretched refuse of your teeming shore.

Send these, the homeless, tempest-tost , to me,

I lift my lamp beside the golden door!"

«هلموا إلي أيها المتعبون والفقراء،
والجموع الحاشدة التواقة إلى استنشاق الحرية،
والبائسون المهملون الذين يملؤون شطآنكم.
أرسلوا أولئك المشردين الذين تعصف بهم الزوابع إليّ،
فأنا أرفع مصباحي عند البوابة الذهبية»

، ثم عوج جانب فمه وواصل محدثًا نفسه:
يا لهذا الشِعرَ وما حفظناه صغارًا..
كيف لم ننتبه لدور الشيطان بيلادنا، أم ترانا انتبهنا ولم نكترث!
أيكون شعوري الآن كان هو نفس شعور رؤوساء أمريكا من قبلي والذين علموا أنهم سيُغتالون بنفس المخطط القذر كما هي حالي؟!

، ثم ضحك عاليًا وقال بصوت عال هذه المرة:
ارفع مصباحي عند البوابة الذهبية..
كذبتي يا (إيما) كذبتي..
فالمتعبون المشردون ظلوا وسيظلون على أرضنا كذلك بعد أن استعبدتهم حضارتنا الزائفة وتاريخنا الملفق وأرضنا المغتصبة من الهنود الحمر وحولتهم لوقود لتقدمها، وحتى الآن حتى لحظة تطورنا الشيطاني هذا مازلنا كما نحن..
أمة تستهلك باقي الأمم في سبيل أغراضها..
أغراض سادة العالم وكباره

، ثم صرخ بأعلي ما عنده:

وما هي ببوابة ذهبية وما هي بحرية..

إن بلادنا بوابة ذهبية لأحلام كبار العالم وعظمائهم يا إيما..

نجح دورك كأول رائدة صهيونية حتى قبل اختراع الصهيونية، وأصبحت بلادنا آلة تحول رغباتهم حقيقة ملموسة على أرض الواقع وذراعًا فعالة فاعلة بكل أرجاء المعمورة.

وحانت منه ساعتها التفاتة لساعة يده ليجد أنه قد مر عليه ثلاث ساعات بوقفته هذه وليدرك أن لعنته مستمرة كما هى، ليضحك ضحكًا جنونيًا أثار خوفه هو نفسه من نفسه، ليمتزج بعدها ببكاء حار بلحظة إضطراب عاتية إجتاحت كيانه فزلزلته وعصفت ببقايا نفسه الآثرة للسلام لآخر لحظة ومحتها محوًا.

- قال وهو يتبسم ودموعه تملأ صفحة وجهه موجهًا كلامه لشخص إفتراضي غير موجود:

وما يضرني إن كنت أيها اللعين تسرق وقتي وتحاول إيهامي الجنون بشخصي!

هل تعتقد أني سأغير رأيي فيك؟!

على العكس تمامًا، رأيي هو كما هو..

أنت فاشل وستظل فاشلًا ولسوف يهزمك العرب والروس والصينيون وباقي حلفاؤهم شر هزيمة.

، ضحك بعدها كثيرًا حتى كاد يقف قلبه، ثم صعد لأعلى قمة بالتمثال ووقف بجوار الشعلة بيد التمثال يتحسسها بعينيه وقلبه وأحس للحظة أن فؤاده خاويًا وضميره ناقمًا عاتبًا، ثم وجه نظره يرمق منظر المياه أمامه،

وكان الوقت ساعة غروب وكم كان يكره ذاك الوقت ويحسبه وقت نشاط الشياطين وحدوث الشرور بالعالم والكون، فصرخ فجأة وقال:

هلموا إلي أيها المتعبون والفقراء،

والجموع الحاشدة التواقة إلى استنشاق الحرية،

والبائسون المهملون الذين يملؤون شطآنكم.

أرسلوا أؤلئك المشردين الذين تعصف بهم الزوابع إليّ،

فأنا أرفع مصباحي عند البوابة الذهبية..

، ثم ولا يدري لماذا ترددت فجأة وبوضوح بذهنه أغنية (Human)

ل rag'n'bone man

فبدأ يدندن موجهًا كلمات الأغنية للعالم ولكل من أمل به يومًا وهو يدمع دون بكاء شاعرًا بأسفه على غروره السابق وشعوره بالتجبر على كل من في الأرض بسبب مكانته ومنصبه ولقبه (كأقوى رجل بالعالم):

"Some people got the real problems

Some people out of luck

Some people think I can solve them

Lord heavens above

I'm only human after all, I'm only human after all

Don't put the blame on me

Don't put your blame on me

I'm only human I make mistakes

I'm only human that's all it takes to put the blame on me

Don't put the blame on me

Cause I'm no prophet or messiah

You should go looking somewhere higher"

"بعض الناس تحصل على المشاكل الحقيقية

بعض الناس نفد الحظ منهم

بعض الناس يعتقدون أنه يمكنني حلها

كرب السموات بالأعلي

ولكنني فقط بشري بعد كل شيء

فلا تضع اللوم علي
لا تضع لومك عليّ
أنا فقط إنسان يفعل الأخطاء
أنا فقط إنسان وهذا كل ما يكلفه الأمر لتضع لومك على
لا تضع اللوم عليّ

ولأنني لست رسولًا أو مسيا
يجب عليك أن تذهب وتبحث عن مكانة أعلى»

، ثم إنه ردد بتهكم وهو يضحك:
مسيا..
حتى بأغانينا حشرتم فكرة المسيا حشرًا؛
نعم أنا لست مسيا أيها العالم فلا تضع لومك عليَّ..

ضع لومك على المسيا الحقيقي فهو يستطيع الخوارق ويستطيع سرقة وقتي ودنيتى وزماني..
ويستطيع إرعابي وارهابي..
هذا إن كان حقًا مسيا حقيقي!

،ثم عاودته دندنته فقال مترنمًا منسجمًا وهو مغلق عينيه:

ولكنني فقط بشري، أفعل ما أستطيع فعله، أنا مجرد رجل، أفعل ما أستطيع فعله، فلا تضع اللوم علي، لا تضع لومك علي!

،ثم ضحك ثانيةً وردد وهو ينظر الشعلة بيد تمثال الحرية للمرة الثانية:

أرفع مصباحي عند البوابة الذهبية..

لقد كان بيتر تووم محقًا..

كان حقًا محقًا!

ثم إنه ودون أي مقدمات إعتلى السياج أمامه وقفز..

منتحرًا.

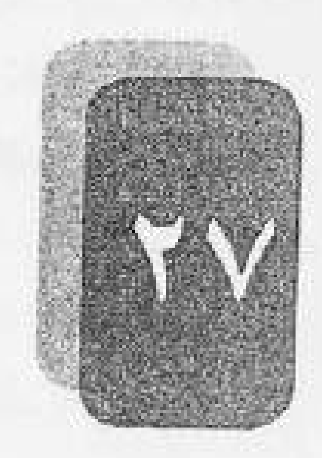
❀❀❀❀❀

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

*****

وَعَدُونَا في الذُلِ يَوْمَ قَرِيبٌ لَسَوْفَ يسْتَكِينَ

*****



المسيح يدعي الإسلام!

سابااتاي زيفي..

أو كما يُعرف المسيح المزيف..

مؤسس الدونمة، والدونمة كلمة تركية تعني المرتد..

فبعد أن تم القبض عليه من قبل السلطان محمد الرابع بعد إدعائه أنه المسيح المخلص وبعد أن بدأ تجمع يهود العالم حوله لدرجة أنه وصلت وشاية للمسؤولين بأنه خَطَّطَ لإنشاء إمبراطورية يهودية داخل الدولة العثمانية، بدا أنه بدأ يشكل تهديدًا على الدولة العثمانية..

فتعامل معه السلطان وتم القبض عليه وكاد يرى الموت على يد السلطان فادعى الإسلام ليهرب من مصيره المحتوم وبالتبعية صار خلفه أتباعه والذين سموا وأطلق عليهم هذا الاسم (يهود الدونمة) (التائبين الراجعين إلى الله) لما كان يعلمه عنهم المسلمون من أنهم مجرد مدعين للإسلام يضمرون اليهودية داخلهم.

كانت هذه ببساطة خطة المسيح الدجال وورقة لعبه الأخيرة..

رغم أن الرجل بعهده ادعى أنه المسيا المخلص إلا أن الدَّجال لم يَكِنَّ له ضغينة ما، على العكس قد رأى أن السيناريو الذي اتبعه (ساباتاى زيفي) غاية في الذكاء والدهاء، وقد كان يعده كآخر ورقة يلعب بها حين تقرب النهاية وتحين.

فحين توجه الدجال للداخل الإسرائيلي هربًا من روح الله وكلمته، توجه عليه السلام برفقة المهدي وجميع الجيوش من خلفه للقضاء عليه.

فلحقه بباب اللد بفلسطين، وحيدًا منفردًا بعد أن تخلت عنه جيوشه وتشرذمت بالأرض بعد انتشار خبر ظهور المسيح ابن مريم، والذي ما إن رآه الدجال واشتم ريحه الطيبة حتى انماس كما ينماس الملح..

وهو يصرخ صرخة قوية مدوية ويشير بيديه للسماء وكأنه يستدعي منها أحدًا، حسبها من سمعها نداءًا لم يعلموا لمن يوجه!

*****

مرتعشًا ولأول مرة بحياته يجلس على كرسي مكتبه لا يدري ماذا يفعل، تأتيه الهتافات الغاضبة من خارج شرفات حجرته مختلطة بالسم الزعاف عن أخبار المسلمين الزاحفين رأسًا تجاه (تل أبيب) عقر داره ومعشوقته.

– وبينما هو غارق بأفكاره وعرقه حد سواء، دخل عليه فردًا من الجند وتسأل:

سيدى نوعام، المتظاهرين على أبواب المبنى يكادوا يدخلون، فماذا ترانا فاعلون؟!

– نظر إليه في وجوم وقال شاردا:

اقتلهم

– قال الجندي باندهاش وفزع:

ماذا؟!

- كما سمعت اقتلهم، هؤلاء ليسوا إسرائيليين بالمعنى الحق ولا حتى يهود من ينقلبوا علينا والآن بعز وأوج محنتنا

، ثم وبأعلى صوت عنده صرخ قائلًا:

اقتلهم..

لا تُبقي منهم أحدًا..

نفذ الأمر، هيا، هيا

خرج الجندي وهو يضرب أخماسًا بأسداس ولا يكاد يُصدق ما ائتُمِرَ به حالًا.

بذات اللحظة وما أن خرج، دلف إلي الغرفة بعد أن فتح بابها بعنف (شاؤول) معه (عاديئيلا) يحمل كل منهم رشاش آلي من بقايا الحضارة البائدة مما جعل المشهد غريبًا على (نوعام)

- والذي قال بتعجب:

ما هذا؟!

- نظر شاؤول تجاه عاديئيلا وتبسما بوجه أحدهما الآخر ثم أردف:

لقد انتهى دورك يا نوعام، أنت ومسياك، وأصبحت رأسك هي ثمن حياتنا ومفتاحها، والآتي دورنا نحن، تمنَّ أمنية أخيرة

- اتسعت عينا نوعام عن آخرهما ونادى على حرسه فضحك الاثنان منه وقالت عاديثيلا:

كل شيء مُعد سلفًا سيدي، تمامًا كما علمتنى، فلا تجهد نفسك، فكل حلفاؤك خانوك يا..

يا سيادة رئيس الوزراء

، ثم وبتهكم وبجانب فمها قالت:

رئيس الوزراء السابق..

رحمه الله

وبمجرد أن أنهت كلمتها، انطلق الرصاص منهمرًا كالسيل على حد سواء من رشاشات القناصة على أسطح بناية مجلس الوزراء تجاه المتظاهرين ليصفيهم واحدًا تلو الآخر كبعوض يتساقط على إثر مبيد قوي، ومن الرشاشين تجاه جسد نوعام الذي وكما حال الدنيا التي علا فيها وتجبر تحول لقبه بلحظات من سيادة رئيس الوزراء إلى الجثة..

مجرد جثة أخرى.

*****

فور أن ذاب كالملح هلل المسلمون ومن معهم وصاحوا فرحًا وكبروا وسجدوا لله شكرًا واحتضنوا بعضهم البعض وهم يدمعون من شدة الغبطة والسرور.

وظلوا فاقدين لحظرهم حتى أمطرتهم السماء على حين غرة بسهام خرجت من أقواس يهودية مختبئة كادت تفتك بهم.

فرجعوا إلى تشكيلاتهم وهم يتقون بكل عدتهم شر مطر السماء المنهمر؛ وما إن توقف السيل حتى بدأ زحفهم المنظم تجاه قلب العروبة (القدس).

- قاتلوا بطريقهم كثيرًا حتى وصلوا مبتغاهم فاستوقفهم المهدي على مشارف القدس واستدار لهم وقال:

يا أمة محمد..

لقد نصركم الله نصرًا مبينًا..

وأيدكم كما وعدكم..

فلا أوصيكم قبل فتح قدسنا واسترداد عزنا إلا كما وصى جنوده خير خلق الله وأفضلهم خُلقًا، حبيبي ورسولي وشفيعي وسيدي رسول الله:

سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا..

ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها..

ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صبيًا ولا امرأة، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فإذا سمع كلام الله عز وجل فإن تبعكم فأخوكم في دينكم وإن أبي فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه.

وإنه لوعد بقرآننا عشناه..

الله أكبر..

- فتردد من وراءه من جميع الحناجر:

الله أكبر

*****

سنتبر ما علوا نغشاه

*****

فور أن قتلوا نوعام توجه شاؤول لجثته وأخرج من سرواله سلاحًا كبيرًا قام به بفصل رأسه عن رقبته.

- بامتعاض تساءلت عاديثيلا:

ماذا تفعل بحق الرب؟!

- ألا يملأ أذنيك هتافات المسلمين المقتربة!

هذا الرأس تذكرة نجاتنا من براثنهم..

أم تريدين أن تخرجي لهم فيقتلونك كما يقتلون كل يهودي الآن؟!

أفيقي عاديثيلا، إنها هولوكوست ولكن هولوكوست حقيقية هذه المرة لن تبقي ولن تذر.

أعقب فصله للرأس أن خرجا سويًا من المكتب متوجهين للأسفل وما أن كادوا يصلون لباب المبنى حتى تأخرت عاديئيلا عنه بخطوة، ثم إنها أخرجت مدية من ملابسها واقتربت منه في خطوة ثابتة لتقوم بغرسها بكل قوتها بين ضلوعه بطعنة نجلاء نافذة دُربت عليها من قبل، وسط شهقة منه ممزوجة بصيحات ألم.

- استدار ناحيتها وقال بتعجب وهو يصارع ألمه:

لم؟!!

- استدارت لتواجهه وقالت باسمة:

تستحق أن تعلم بآخر لحظاتك..

هل تعلم معنى اسمي (عاديئيلا)؟

إنه يعني حلية الله..

أنا حلية الله التي سيزين بها شعب الله المختار ويبعثه من خلالها من جديد، أنا الحلية التي ستزين تاج اليهود القادمين بالعصور المقبلة، أنا حواء يهود العصر الحالي بعد أن أفنى المسلمون الملاعين شعبنا..

أما أنت..

فكنت لتكون مجرد عائق لنا بمثاليتك البلهاء واعتقاداتك بأن الفلسطينيين أصحاب حق وقضية!

يا أبله حتى قائدك وزعيمك ومثالك الأعلى (جيم بينيت) كان يكذب عليك ويمثل، لقد كان بصفنا، وزرعك ها هنا كان لمجرد أنه تقرر أن دور

نوعام يجب أن ينتهي بانتهاء المسيا إذا قُدرت الغلبة للمسلمين.. فليركب آخر شخص يتخيله العالم الموجة وليدّعي اعتناق الإسلام وليعيد كرة (يهود الدونمة) حتى تقوى شوكتنا من جديد، وليصبح ويبحث فيه (ساباتاى زيفى) مرة أخرى..

هل فهمت؟!

أنت كنت مجرد أداة، لعبة بمعنى أصح.

، ثم أفسحت مجال الرؤية أمامه وهي تشاور بيدها بحركة مسرحية وكأنها تقدم عملًا عظيمًا لجمهوره وواصلت قائلة بزهو:

أما أميري..

بطل الظل بكل سيناريوهات العالم وأحداثه..

الذراع الفاعلة لحكام العالم الحقيقييُن..

آدم اليهود القادم..

والمسيا الذي لن يهزم لأنه لن يكون ضد التيار كالغبى الذي كان يحارب العالم كله بل سيركب الموجة القادمة ويسبح معها..

الرجل الذي أدى دوره بكل براعة وكان يمثل حتى بينه وبين نفسه ما رُسم له، حتى في تفكيره..

، ثم ضحكت عاليًا وهي تواصل قائلة:

حتى أنه كان ليصدق نفسه كراعى سلام..

فها هو يا أبله

ثم ومن بقعة مظلمة أمامه بدأ يخرج رجل حاول شاؤول تبين ملامحه،

قطعًا لم يكن يدري أنه ذات الرجل الذي كان بشقة عاديثيلا دومًا يختفي خلف خزانتها بل ويرقبه بكل لحظة حتى وهو يضاجعها، ولا يظهر إلا بعد خروجه، وأنه ذات الرجل الذي وصى به ها هنا بموقعه ليتم مهمته!

- بصعوبة بدأ شاؤول يتبين ملامحه حتى إستوضحها فشهق ذاهلًا وردد وهو يلفظ نفسه الأخير:

لا يمكن!!

وزير الدفاع بيتر تووم!

*****

في ذات الوقت الذي اجتاحت فيه قوات العرب والمسلمين ومن معهم الأراضي الفلسطينية المحتلة لتحررها، كان ذاته وقت خروج (آريئيل موشيه) مدير مكتب حاييم من عزلته الطويلة التي فرضها على نفسه في رهبته الإختيارية بصومعته لدراسة الإسلام ومقارنة الأديان والتبحر بها.

- وما إن رأى الشجر يخاطب المسلمين حقًا ليدلهم على اليهود المختبئين خلفه وما رآه من صمت شجرة الغرقد التي كان نوعام وحاييم يوصون بزرعها حتى فاضت عيناه وهو يردد:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله..

صدق نبي المسلمين محمد بن عبدالله..

أشهد أن..

غير أن القدر لم يمهله حيث وهو يردد الشهادة أتته ضربة سيف بظهره من يهودي كان بجانبه اعتقده مسلمًا حين سمعه ينطق بالشهادة.

*****

اقترب بيتر تووم من جثة شاؤول انتزع من يده رأس نوعام التي كانت تقبض عليها، ثم استدار لعاديئيلا متبسمًا بوجهها واقترب منها ولثم ثغرها بقبلة طويلة.

– وقال وهو يداعب شعرها القصير:
مستعدة يا حواء

– قالت بتبسم:
مستعدة يا آدم .. يا نوح اليوم وأبا اليهود المستقبلي
يا ساباتاى زيفي عصرنا ومسيا اليهود الجديد..
احتضنا بعضهم البعض ثم استدارا متوجهين تجاه باب مبنى رئاسة الوزراء حيث وصلت القوات العربية المظفرة وتعالت صيحاتهم بالخارج.

– وما إن خرجا خارج البوابة بمواجهة القوات الغاضبة والأهالي المحتقنة حتى رفعا أيديهما وقال بيتر بلهجة حانية وبلغة عربية مبينة:
كفوا أيديكم..

أنا بيتر توم وزير الدفاع السابق..

كنت دومًا بصفكم ومعارض لكل ما هو ضدكم

وهذا بيدي رأس نوعام ايتان رئيس الوزراء الإسرائيلي المجرم، قتلته بنفسي..

فأنا من الآن صرت منكم..

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

فتعالت الهمهمات من صفوف العرب أن هذا حق وهذا الرجل كان دومًا بصفنا، وأنه يجب العفو عنه ودمجه وسطنا، جزاءًا وفاقًا لمواقفه معنا ولإعلانه إسلامه والدخول بالدين الحنيف..

وأنه لك منا الأمان يا بيتر.

- تساءل أحد الجند بالصفوف الأمامية بدهشة مشوبة بالريبة موجهًا سؤاله لزميله الذي بجواره:

أو ليس ما على وجهيهما نكتة سوداء دلالة الكفر؟! أم أني أتخيل؟!

- نظر إليه زميله باستنكار وقال بلهجة لائمة:

الرجل مواقفه معنا معلنة منذ أن كان وزيرًا للدفاع ولقد حاول اليهود لعنهم الله اغتياله، وها هو يُمسك برأس رئيس وزراء إسرائيل بيده ويردد الشهادة، فما هذا الذي تقوله؟! أراك تهلوس لا تتخيل..

نحن هكذا العرب لا يُعجبنا العجب..ماذا تريد منه أن يفعل أكثر من ذلك ليثبت لك صدق نيته؟!

هيا رحب به بيننا وهادنه وأشعره بالإخاء وطبع علاقتك معه، مثل هذا الرجل يجب أن نعطيه أرضًا بيننا وبالقلب مننا ليبنى عليها بيتًا ويبدأ العيش وسطنا..

هو أصبح وسيصبح شريكًا بالوطن..هيا يا هذا هيا

بالأثناء علت التكبيرات حتى أشرق وجه الإثنان فنظر بيتر لعاديثيلا وغمز لها بعينه البعيدة عن بصر القوات العربية المهللة وعن بصر الجنديان بالصف الأول اللذان كانا يتحدثان منذ برهة!

*****

لن يسوغ الله للشيطان مشتهاه

*****

بذات المساء وبينما الاحتفالات بالانتصارات على قدم وساق كان الاحتفال احتفالين..

زواج المهدي من فاطمة..

وبينما الاثنان يزفان لبعضهم إذ ظهر نفر مدثر وجهه من لا مكان وصوب سهمه تجاه صدر المهدي.

كان عازمًا مصرًا على ما يفعل إلا أنه حين رأى فاطمة بثوب العرس

تحركت عاطفته وشعر أنه لا يجدر به فعل ذلك، إلا أنه وبذات اللحظة مر بباله وكأنه هاتف قول الدجال له وتذكره جليًا:

«وإني لمستخلفك على جبارين يأتون من بعدي لن يبقوا ولن يذروا..

فأحسن القيادة كما علمتك وكن حكيمًا قويًا..

وسدد وقت التسديد ولا تمشي وراء عاطفتك فتندم..

لا تمشي وراء عاطفتك فتندم.»

فقام بشد القوس وهو عازم على إكمال مشواره للنهاية متشوقًا لرؤية الجبارين الذين استخلفه عليهم سيده، فسدد وأصاب.

*****

بالأثناء إذ أوحى الله إلى عيسى: إني أخرجت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.

قبيل أن يصيب خالد المهدي مباشرة..

ولكنه لم يُحسن التصويب..

أصاب السهم كتف الإمام إصابة خفيفة.

- وما إن قدموا بخالد بين يدى المهدي بعد أن قبضوا عليه حتى قال له محاولًا إستتابته:

أوحى الله لنبيه عيسي أن يأخذنا إلى مكان بعيد عن متناول خلقٌ آن أوانهم لا قِبَلَ لبشرى بهم..

نتركك ها هنا تواجه مصيرك أو تتوب إلى الله عما تفعل، وتشهد الشهادتين وتأتي معنا

– فنظر له خالد في علياء وقال بتهكم جلي وبزهو غير مناسب لموقفه: ايجو افيكرولو..أنا أدحض يا..

، ثم واصل بتهكم وهو يعوج جانب فمه قائلًا:
يا إمام

– لم يجبه وإنما تقدمت فاطمة ولطمته بيدها على خده وقالت باكية:
ماتت أمك كمدًا عليك وقتلت أبيك وما يكفيك يا شيطان!
تريد أن تُحزنَ المسلمين أجمعين!
أتدري..
يقال إنه لا يبقى عليها إلا شرار الناس..
هل سمعت هذه المقولة من قبل؟
أتمنى أن تكون قد سمعتها وأرجو أن تتأملها مليًا لأنك ستعايشها ما كتب الله لك أن تحياه على هذه الأرض الظالم أهلها!!

*****



﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾

(الكهف: ٩٨)

بزلزلات متعاقبة تزلزلت الأرض..

تزلزلت كما لم تتزلزل من قبل..

ما الذي يحدث؟!

سؤال مر ببال كل حي على ظهرها، فزلزلة كهذه بأيام كهذه دليل مؤكد على حدث جلل..

حدث لم يحدث من قبل، وبالغالب لن يتكرر..

وقد كان الكل محق في ظنه.

ففي مكان ما

بدأ تشقق بالأرض يحدث على إثر هذه الزلزلة، تشقق بدأ كصدع صغير تحركت معه ذرات التربة التي تراكمت عبر قرون غابرة من الأزمان على ما تحتها، ليبدأ الصدع يكبر حجمًا ليظهر ما خبأته وأخفته التربة المتراكمة من تحتها، كتلة صلبة من معدن بدأ هو الآخر بالتصدع!

ومع ازدياد الصدع وعظم حجمه بدأت رائحة مقززة لا مثيل لها على سطح الأرض في التصاعد من جوفها، لو اشتمها حي للقى حتفه من عظم نتنها..

ومع الرائحة بدأ صوت يخرج كهمهة ثقيلة تصاعدت حتى صارت كالعواء ثم تدرجت أكثر بالتصاعد حتى وصلت حد الصراخ، لم تكن مفهومة لو أن أحدًا سمعها، هي فقط تشبه العويل أو النحيب..

كأن من يصدر هذه الأصوات يرثي أحدهم قد مات لتوه.

وهو بالفعل ما كان يحدث!!
فهم كانوا يرثون أباهم الروحي الذي فُقد..
والذي كانوا يتمنون أن يتبعوه ويعاصروه، ولكن الرياح لا تأتي دائما بما تشتهي السفن..
فقد مات قبيل ذلك..
مات قبيل خروجهم مناديًا إياهم بآخر صيحة له!

أصبح الصدع الآن رقعة كبيرة آخذة بالازدياد والتوسع مع كل زلزلة متعاقبة، ومع توسع الرقعة يزداد الصخب وتزداد الجلبة، حتى صارت الرقعة كالبلد.

وويل للكل..
ويل للكل منهم..
فقد بدأوا بالخروج..
على دقات طبول آتية من جوف الأرض خرجوا..
مزمجرين غاضبين حانقين حاقدين غاضبين، ممتلئين بكبت قرون وقرون ما إن اندلع فلن يبقي ولن يذر، مصممين على الثأر، الثأر من كل ما يدب في جسده روح على ظهرها.
خرجوا أفواجًا وأفواج متدافعة كحمم بركان ثائر لا يعترضه معترض، منظر لم يحدث من قبل ولن يتكرر من بعد، في كل اتجاه إتجهوا ولكل شبر قصدوا، يعلمون أنهم سيغزونها غزوًا..

سيغزونها كلها دون نقصان ولن يوقفهم بشر أو يعترضهم حيوان أو يرهبهم شيطان أو يرعبهم جان..

فهذا معتقدهم وإرثهم الثقافي المتغلغل بأعماقهم مترسخ بلاوعيهم، الذي تربوا وترعرعوا عليه وتجرعوه مع الرضاعة غذاء عقلي فكري روحي..

ستغزوا الأرض بما عليها وتخضع لكم السموات بمن فيها..

فسلطانكم سلطان لم يسبق له مثيل وجبروتكم ستئن منه الجبال..

يا أولاد الأقدمين يا من ليس كمثلكم مثل، خُدعتم غدرًا وحبسكم عنوة من حكم الدنيا شرقًا وغربًا..

ولقد زال بقرنيه وحان وقتكم تدين لكم دنيانا كما دانت له من قبل..

هكذا تعلموا.

وهكذا تكلموا..

وتغنوا على دقات الطبول..

يا أولاد الأفاعي قادمين إليكم نسقيكم ما حلا لنا من ألوان شراب العذاب القاتمة درجاته..

تتجرعونها شراب مر علقم مُلهبٌ أجسادكم بنار لا قِبَلَ لكم بإخمادها..

يا كل حي اخشع أو لا تخشع فستغادرها على أيادٍ لم تري لقوتها مثيل ولا حتى بكوابيسك..

نحن أحفاد من أجج النار وماج البحر..

نحن والباقي عدم.. وسنذيقكم العدم!

*****

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾

*****

تمت بحمد الله وعونه

الجيزة

٧-٧-٢٠١٦.....٧-٧-٢٠١٧

الساعة ٥: ٢٠ ص

*****

إهداء ومحبة إلى:

أستاذنا الكبير المفكر أ/ منصور عبدالحكيم

**

الأخ الغالي د/ علاء حموده

والذي اقتبست من مقالاته الأكثر من رائعة الكثير

**

رفيق دربي د/ حازم محمد نجيب

أول من قرأ الملحمة وأفادني بآرائه المثمرة فيها

**

أصدقائي الأدباء الداعمين دائمًا دونما ترتيب:

أ/ محمد مسعد ، م/ إسلام وهيب ، أ/ أحمد سعدالدين ، أ/ محمد صبحي ،

د/ سالي مجدي ، د/ حسين السيد ، د/ عمرو مرزوق ، د/ علا منصور ،

أ/ أحمد علي ، أ/ ناصر رمضان ، د/ عمرو البدالي ، أ/ وائل عبدالرحيم ،

أ/ محمود عبدالرحيم ، أ/ إنجي مطاوع ، كابتن/ أحمد إبراهيم ، م/ أحمد ناصر ،

أ/ محمود حجاج ، أ/ مينا أنور ، أ/ محمد ربيع ، د/ محمد سمير رجب ، أ/ حسن عبده

**

ومسك الختام الأعزاء آل ناصيف

أ/ وليد ناصيف ، أ/ محمد ناصيف ، أ/ أحمد ناصيف

**



خبر بالصفحة الأولى بجميع الجرائد العربية والعالمية:

- سيول وأعاصير تعصف بمنطقة الشرق الأوسط عدا إسرائيل.

- فك الحصار الغربي عن السواحل الإسرائيلية وإسرائيل تستعيد السيطرة على كافة موانئها.

-الجيش العربي الموحد المرابض بالجهة الشرقية يتكبد الكثير من الخسائر وأنباء عن تراجعه.

- إسرائيل تصرح : هذه عدالة السماء وإرادة الرب.

هذا وقد أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة إبان ظهور الشمس من مغربها عن قلقه الشديد إزاء ما يحدث بمنطقة الشرق الأوسط!!

رواية

د. محمد الفقي

